الماوية : نظرية و ممارسة – 19 -

شادي الشماوي

نصوص عن الإنتفاضات فى بلدان عربية من منظور الخلاصة الجديدة للشيوعية

ملاحظة لا بدّ منها : هذه ترجمة غير رسمية .

This is not an official translation.

مقدّمة الكتاب 19 :

ينافى الحقيقة و يجافيها القول بأنّ ما جدّ فى بعض البلدان العربية ثورة و توصيفه بأنّه ربيع عربي . الحقيقة الموضوعيّة التى ما فتأت تتجلّى أمام الكثيرين هي أنّ الأحداث بدأت تحرّكات نضاليّة فإنتفاضات عفويّة حوّلت القوى الرجعيّة المحلّية و الإمبريالية العالمية مسارها و أوهمت السواد الأعظم للشعب بانّها ربيعا و أنّها ثورة و أنّها ديمقراطية و أنّها غيّرت الواقع تغييرا نوعيّا .

لقد وقع التآمر على نضالات الجماهير الشعبيّة و مطالبها و لم يحصل فى أفضل الحالات (تونس و مصر) سوى إعادة ترميم دول الإستعمار الجديد و حفاظ الطبقات السائدة على مكانتها و رصّ صفوفها و مواصلته الحكم بتقديم وجوه جديدة على أنّها حاملة التغيير المنشود لمغالطة الجماهير الشعبية و تضليلها . أمّا فى أسوء الحالات ، فقد نجمت عن حبك المؤامرات الرجعية و الإمبريالية فى ليبيا و سوريا حرب أهلية رجعية بين أطراف رجعيّتها باتت بيّنة أكثر من أي زمن مضى لمن له عيون ليرى.

و قد أفلحت الرجعيّة و الإمبريالية فى مسعاهما لقوّتها من ناحية و لضعف شديد أو غياب كامل للحركة الثورية المسترشدة بالنظرية الثوريّة ، بالشيوعية الثوريّة على وجه الضبط . و مباشرة ، دون مراوغة، تبدو هذه النتيجة منطقيّة تاريخيّا من زاوية الوعي السياسي و الإيديولوجي المتدنّى للجماهير الشعبية صانعة التاريخ و من زاوية هامشيّة أو إنعدام وجود البديل الشيوعي الثوري حقّا و إنصهاره فى صفوف الطبقات الشعبية المعنيّة بالتغيير الثوري الحقيقي .

الطريقان اللذان فرضا فرضا على الجماهير الشعبيّة أن تسير فيهما لن يترتّب عليهما عدا تأبيد الإستغلال و الإضطهاد للطبقات الشعبيّة فلا الإمبريالية و ديمقراطيّة الطبقات العميلة أو عسكرها (كما فى مصر مثلا) قد يحقّقون المطامح الشعبيّة فى تحسين الأوضاع المعيشيّة فما بالك بالتغيير الثوري الذى لا يتمّ إلاّ بالنضال الطبقي الواعي و المنظّم لحركة ثوريّة تسترشد بنظريّة ثوريّة يكون محورها حزب طليعي شيوعي ثوري ؛ و لا الأصوليّة الدينية الرجعية بكافة المقاييس قادرة على تحرير البلدان العربية من براثن شتّى ألوان الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي . و الحقيقة التى سطع نورها حتّى أكثر فى هذه السنوات الأخيرة هي أنّ الإمبريالية و عملائها فى السلطة و الأصوليّة الدينية خارج السلطة يتنازعان لكنّهما يعزّزان بعضهما البعض و لا يخرجان عن نطاق النظام الإمبريالي العالمي . و للأسف لا يزال هناك من يعدّون أنفسهم من اليساريين و التقدّميين و حتّى الثوريين من ينكرون هذه الحقيقة و يدسّون رؤوسهم فى الرمال سالكين سياسة النعامة و يتذيّلون عمليّا لأحد هذين القطبين الرجعيين ، الممثّلين لأعداء الشعوب و تطلّعاتها .

واضح جلي أنّ الجماهير الشعبيّة تحتاج إلى طريق آخر و يقع على عاتق الشيوعيين الثوريين حقّا صياغة طريق آخر ، طريق التحرير الفعلي للإنسانيّة قاطبة من سلاسل الإضطهاد و الإستغلال القومي و الطبقي و الجندري ، بإتجاه مجتمع شيوعي عالمي ممكن و ضروري و مرغوب فيه ؛ و النضال بكلّ ما أوتوا من جهد و بلا هوادة وبالسبل و الطرق و الأشكال الممكنة و الضرورية جميعها – دون دوس المبادئ أو التنازل عنها و المساومة بها - فى سبيل السير فيه تحقيقا لهذا المشروع الشيوعي الثوري .

يحتاج المناضلون و المناضلات و الثوريّون و الثوريّات إلى القطع مع الأوهام الديمقراطية البرجوازية و التذيّل للقوميّة و الأصولية الدينية ، يحتاجون إلى الشيوعية الثورية حقّا و لا شيء غير الشيوعية

الثورية حقّا بما هي الدواء لداء الإمبريالية و عملائها و طاعون الأصولية الدينية . و الشعب كي يصنع التاريخ فى حاجة ماسّة و أكيدة إلى قيادة أحزاب شيوعية ثورية تطبّق نظرية شيوعية ثوريّة و تطوّرها .

زبدة الكلام ، ثمّة حاجة موضوعية لا أمسّ منها للتقدّم بطريقة أخرى .

لهذا إنتخبنا لهذا الكتاب جملة من النصوص التى نشرناها سابقا و إليها أضفنا مقالات أخرى للماويين الإيرانيين و الأمريكان من أنصار الخلاصة الجديد ، لكونها تعالج هذه الحاجة الموضوعيّة الأكيدة من أجل دفع عجلة التاريخ إلى الأمام . و الغاية من كتابنا هذا ليست قراءة هذه النصوص فحسب بل إتخاذها منطلقا لتعميق النقاش الذى لا يعنى طبعا رفض الكلّ أو القبول بالكل عن عمى أو بدوغمائيّة و إنّما التفاعل النقدي و الجدال و إستخلاص الدروس و العبر بإتجاه مزيد الوضوح و إستيعاب النظرية الثورية و تطبيقها و تطويرها و الإرتقاء بالممارسة العمليّة الثورية لإنجاز المهام الملقاة على عاتق الشيوعيين الثوريين حقّا فى سبيل تغيير الواقع تغييرا شيوعيّا ثوريّا و المساهمة فى الثورة البروليتارية العالمية و أسمى غاياتها ، الشيوعية على المستوى العالمي .

و ينطوى الكتاب 19 (أو العدد 19 من **" الماوية : نظرية و ممارسة "**) على :

6 - خطاب أوباما بشأن سوريا : أكاذيب لتبرير حرب لا أخلاقية .

الفصل الثالث : إلى الرفاق فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا - الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي):

الفصل الرابع : مصر و تونس و الإنتفاضات العربية : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه - مقال من مجلّة " تمايزات " :

ملحق 1 : من المقالات الهامة الأخرى .

ملحق2 : مقال إسرائيل ، غزّة ، العراق و الإمبريالية : المشكل الحقيقي والمصالح الحقيقيّة للشعوب

ملحق 3 : فهارس كتب شادي الشماوي.

==
==

الفصل الأوّل : بيان بوب أفاكيان و نصّ محاضرة ريمون لوتا :

1- مصر 2011 : ببسالة إنتفض الملايين...لكن المستقبل لم يكتب بعدُ.

بيان لبوب آفاكيان رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية.

(11 فبراير/ فيفري 2011)

www.revcom.us/avakian/Egypt/Egypt2011-en.html

وقد ألهمهم الشعب التونسي ، ببسالة إنتفض الملايين من الشعب المصري من كافة مناحى الحياة ، تحدّت نظام حسنى مبارك البغيض و أرغمت مبارك على التنحّى . فحطّم ذلك مقولة " لا يمكن أبدا تغيير الأمور" و مثّل دليلا قويّا على أنّه **لا ضرورة دائمة للظروف القائمة التي تتسبّب فى معاناة مريعة للغالبية العظمى من الإنسانية.** و فى كافة بلدان العالم ، بفضل هذه الإنتفاضات الجماهيرية ، بعمق شاع الفرح و الأمل لدى الشعوب المضطهَدَة و الشعوب المتعطّشة للقضاء على الإضطهاد . و ما إنفكّت رقعة هزّات التمرّد مستمرّة فى التوسّع و الإنتشار .

وبينما تنحّى مبارك ، لا تزال ذات القوى الأساسية التي حكمت الشعب المصري ببطش و إستغلّته تمسك بالسلطة. و رغم كلامها المعسول و مديحها لجماهير الشباب و غيرهم من الذين تمرّدوا ، و رغم وعودها ب" الحرّية" و " الديمقراطية"، فإنّها فى الواقع مصمّمة على تحقيق " إنتقال" مهما كانت التعديلات المدخلة خلاله فى الحقل السياسي ، سيبقى مع ذلك جماهير الشعب فى مصر و فلسطين و بلدان أخرى ذات أهمّية إستراتيجية بالنسبة للإمبريايلة الأمريكية ، تعيش فى ظلّ ظروف لا تطاق . و مع كلّ ذلك، فإنّ القوّات المسلّحة فى مصر التي من المفترض أنّها ستقوم بهذا " الإنتقال" هي ذات

القوات المسلّحة التي فرضت لعقود و بتفاني ووحشيّة حكم نظام مبارك، بينما راكم قادتها العسكريين الثروات متحوّلين إلى أكبر مستغِلّى الشعب المصري، أضف إليهم أنّ الإمبرياليين الأمريكان الذين ساندوا مساندة كلّية نظام مبارك و العملاء و أبقوهم فى مواقع السلطة طوال ثلاثين سنة ، دون أي إعتبار لمعاناة الشعب ، هم ذاتهم الذين يبحثون مجدّدا عن إلتقاط المبادرة و إصدار الأوامر الأخيرة فى ما يتعلّق بتحديد نوع " الإنتقال" فى مصر .

إنّ مخطّطات و مرامى هؤلاء المضطهِدين و المستغِلّين لا تمثّل ما يصبو إليه بيأس الشعب و ما يحتاج إليه. فالشعب يصرخ من أجل " الحرّية" و ينبغى مواصلة النضال إلى أن يتحقّق التحرّر الحقيقي من ربقة حكم الإمبرياليين و أذنابهم المحلّيين و شركائهم الصغار، التحرّر من كافة أشكال الإضطهاد و الإستغلال، التحرّر من كافة القوى التي عفا عليها الزمن و التي تستعبد النساء و الشعب بأسره على نحو يشبه ظلمات و إضطهاد القرون الوسطى، من القوى التي عفا عليها الزمن و التي تريد أن تستعبد الناس بإسم " الديمقراطية "..." الحرّية "... و يسوِّقُ للإستغلال الرأسمالي الإمبريالي على أنّه " التقدّم".

عبر التاريخ ، تكرّر مرارا ، كما هو الحال فى مصر (و كذلك فى تونس) أن إتخذت الهيمنة الإمبريالية و حكم المستغِلّين المحلّيين تعبيرا مكثّفا فى شكل نظام "رجل قويّ " سفّاح . و كان هذا هو الحال ، مثلا، فى إيران ، و زنزانات التعذيب أيّام حكم الشاه ، و فى الفليبين تحت طغيان ماركوس ، و فى أندونيسيا و العهد الوحشي المديد لسوهرتو؛ و جميعها دكتاتوريات وحشية ركّزتها فى السلطة الإمبريالية الأمريكية و أبقت عليها لمدد طويلة. وفى إيران ، أواخر السبعينات ،و فى الفليبين فى الثمانينات و فى أندونيسيا فى الفترة الأخيرة ، فرضت إنتفاضات الشعب على الإمبرياليين الأمريكان أن يتخلّوا عن هؤلاء الطغاة و أن يسمحوا ببعض التغييرات. لكن فى كلّ الحالات ، لم تؤدى الحصيلة النهائية إلى " الحرّية " الحقيقية للشعوب بل بالعكس تواصل تعرّضها للإضطهاد الوحشي على أيدى الذين حلّوا محلّ الحكام السابقين البغيضين ، فى حين ظلّت هذه البلدان ضمن الإطار العام للهيمنة و الإستغلال الإمبرياليين. لكن التجربة التاريخية أثبتت أيضا أن إستمرار الحكم الإضطهادي ، بشكل أو آخر، ليس النتيجة الوحيدة الممكنة .

ففى روسيا ، فى فبراير/ فيفري 1917 ، أطاحت إنتفاضة شعبية بطاغية وحشيّ آخر ، القيصر (ملك الحكم المطلق) . و هناك أيضا ، حاول الإمبرياليون الأمريكان و الأنجليز و غيرهم و الرأسماليون الروس مواصلة إضطهاد الشعب الروسي بشكل جديد، بإستخدام آليّات " الحكم الديمقراطي" و الإنتخابات التي فيما تسمح ببعض المشاركة الأوسع لمختلف الأحزاب ، ستظلّ تحت السيطرة التامّة لمستغلّى الشعب و ستضمن إستمرار حكمهم و إستمرار معاناة الجماهير الشعبية. و فى هذه الحال، مع ذلك ، تمكّنت الجماهير من التفطّن لهذه المناورات و المؤامرات ،و مضت قدما فى إنتفاضتها الثورية، عبر عديد المنعرجات و الإلتوءات و فى أكتوبر 1917 كنست و فكّكت مؤسسات و آليّات الدكتاتورية البرجوازية و أرست نظاما سياسيا و إقتصاديّا جديدا ، نظاما إشتراكيا . و لعقود، تمكّنت الإشتراكية من الإستمرار فى التقدّم صوب القضاء على علاقات الإستغلال و الإضطهاد ، كجزء من النضال العالمي من أجل تحقيق الهدف الأسمى، الشيوعية . **و الإختلاف الحيوي يكمن فى أنّه كان للإنتفاضات فى روسيا لبّ قيادة ، قيادة شيوعية، كانت تملك فهما واضحا وراسخا علميّا لطبيعة ليس فحسب هذا أو ذاك من الطغاة الوحشيين بل لطبيعة النظام الإضطهادى برمّته و للحاجة لمواصلة النضال الثوري لا من أجل الإطاحة بحاكم معيّن فقط و إنّما للقضاء على النظام بأسره و إستبداله بنظام**

يجسّد و يكرّس حقّا الحرّية و مصالح الشعب الأكثر جوهرية ، فى سياق سعيه للقضاء على كافة أشكال الإضطهاد و الإستغلال .

و على الرغم من أنّ الثورة فى روسيا قد وقع الإنقلاب عليها فى النهاية و من أنّه أعيد تركيز الرأسمالية هناك فى خمسينات القرن الماضى ، و من أنّ روسيا اليوم لم تعد تبحث عن أخفاء حقيقة كونها قوّة رأسمالية-إمبريالية، فإنّ دروس الثورة الروسية لسنة 1917 لا تزال صالحة ، وهي بالفعل دروس حاسمة اليوم. و أكثر هذه الدروس حسما هو الدرس التالي : عندما تكسر ملايين الجماهير الشعبية فى الأخير القيود التي حالت دون تمرّدها ضد مضطهِدِيها و مصادر عذابها، عندئذ ترتهن نتيجة أن يؤدّى أو لا يؤدّى نضالها و تضحياتها فعلا إلى تغيير جوهري ،و أن تمضي أم لا نحو القضاء على كافة أشكال الإستغلال و الإضطهاد ، **ترتهن بوجود أو عدم وجود قيادة ، قيادة شيوعية** تمتلك الفهم العلمي الضروري و على ذلك الأساس تستطيع أن تطوّر المقاربة الإستراتيجية و التأثير المطلوبين و أن تنظّم العلاقات ضمن الأعداد المتزايدة من الجماهير الشعبية المنتفضة من أجل قيادة الإنتفاضة الشعبية عبر المنعرجات و الإلتواءات، بإتجاه هدف التغيير الثوري الحقيقي للمجتمع بما يتوافق مع المصالح الجوهرية للشعب . و بدورها ، عندما تقطع الجماهير الشعبية مع " رتابة العادة " و تكسر القيود الشديدة التي كانت تكبّلها ، قيود العلاقات الإضطهادية التي ترزح تحت نيرها عادة ، عندما تحطّم ذلك و تنتفض بالملايين ، تكون تلك اللحظة الحيوية للتنظيم الشيوعي لمزيد تطوير علاقاته مع هذه الجماهير ،
و تعزيز صفوفه و قدره على القيادة.و فى حال عدم وجود تنظيم شيوعي من هذا القبيل ، أو وجوده فقط كمجموعات متناثرة معزولة، تكون تلك اللحظة حيوية لإنشاء تنظيم شيوعي و تطويره ليأخذ على عاتقه مواجهة تحدّى دراسة النظرية الشيوعية و تطبيقها بطريقة خلاّقة ، فى خضمّ الوضع المتفجّر ،
و النضال بإستمرار لتطوير علاقته بالأعداد المتزايدة من الجماهير المنتفضة و التأثير فيها و فى النهاية قيادتها نحو الثورة التي تمثّل مصالحها الجوهرية و الأسمى ، الثورة الشيوعية .

فى كتاباتى و خطاباتى المنشورة ضمن " الشيوعية : بداية مرحلة جديدة " و " بيان الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية " و فى وثائق أساسية أخرى لحزبنا ، سعينا جهدنا إلى أن نرسم بأعمق و أشمل ما أمكن الدروس الحيوية المستخلصة من التجربة التاريخية للثورة الشيوعية و البلدان الإشتراكية التي قامت بفضلها و المكاسب الحقيقية و العظيمة فعلا ، و الأخطاء و الإنتكاسات الجدّية
و التعلّم من أوسع تجارب المجتمع الإنساني و تطوّره التاريخي ، من أجل المساهمة بأقصى جهدنا فى التقدّم بالنضال الثوري و تحرير المضطهَدين عبر العالم . و مثلما يؤكّد القانون الأساسي لحزبنا :

" أخذ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقه مسؤولية قيادة الثورة فى الولايات المتحدة، قلب الوحش الإمبريالي ، مساهمة رئيسية منه فى الثورة العالمية و هدفها النهائي ، الشيوعية..."

" تحرير الإنسانية قاطبة : هذا و لا شيئ أقلّ منه هو هدفنا . و ما من قضيّة أعظم أو هدف أسمى من هذا له نكرّس حياتنا. "

بهذه الروح و آخذا بعين الإعتبار هذا الهدف ، أتقدّم بالمساندة و التشجيع الصريحين و من أعماق قلبي للملايين المنتفضة. و أدعو كلّ من يتطلّع حقّا لرؤية تطوّر النضال البطولي للجماهير المضطهَدة، بالقيادة المطلوبة ، بإتجاه التغيير الثوري الحقيقي للمجتمع و التحرير الحقيقي ، أدعوه لأن يتفاعل مع

و أن يستوعب وجهة النظر التحرّرية و الأهداف الشيوعية و أن يرفع تحدّى إعطاء هذا التوجّه التعبير المنظّم و توسيع تأثيره فى صفوف الجماهير المناضلة .

2- الإنتفاضات فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا أو لماذا ينبغى أن يتحوّل التمرّد إلى ثورة ضد الإمبريالية و الإضطهاد برمته.

لريموند لوتا

أودّ أن أشكر المنظّمين لهذه الندوة البالغة الأهمّية و التي جاءت فى الوقت المناسب. و أنا أعبّر هنا عن إمتناني لتوفيرهم لي فرصة أن أكون على المنصّة بمعيّة جامعيين و مفكّرين و أن أساهم فى هذا النقاش مع الحضور.و إنّ لأبحث عن تبادل الآراء و التعلّم منكم.

-I- مقدّمة :

عنوان مداخلتى هو "الإنتفاضات فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا أو لماذا ينبغى أن يتحوّل التمرّد إلى ثورة ضد الإمبريالية و الإضطهاد برمته." وقد إخترت هذا العنوان لأنّنى أعتقد أنّه يلخّص الدروس الهامة و التحدّيات الحيوية للأحداث الخارقة للعادة طوال الأشهر الماضية . فمن جهة ، هزّت الإنتفاضات الشعبية فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا الوضع السائد الإمبريالي فى المنطقة ووضعت الطبقات الحاكمة المحلّية فى موقف دفاعي.وقد أعلن جيل جديد من الشباب انّ " السير العادي" للمجتمع غير مقبول. و صاح العديد منهم بإستعدادهم للموت لتغيير كيفية حكم المجتمع.و هم بجرأة يرسمون نموذجا لقطاعات واسعة من المجتمع. و تتواصل شرارات التمرّد فى الإنتشار دافعة آخرين فى المنطقة نحو الوقوف فى وجه الأنظمة الحاكمة الهمجية و الخانقة المتداعية .

لقد أعطى سقوط بن علي فى تونس و نظام مبارك فى مصر دفعا معنويّا كبيرا للشعوب المضطهَدة و للشعوب فى كافة أنحاء العالم التوّاقة إلى القضاء على الإضطهاد. وقد فجّرت الإنتفاضات فكرة أن " الأشياء لا يمكن أن تتغيّر" .و قد تبيّن أنّه لا وجود ل " ضرورة دائمة" للظروف التي تعيش فى ظلّها الغالبية العظمى من الإنسانية و تعاني منها.فى 15 ماي إنطلقت إحتجاجات غير مسبوقة للفلسطينيين فى أربعة مناطق حدودية مع إسرائيل . فوقع تحدّي وضع سائد آخر كان يبدو " غير قابل للتحدّى" – طرد و سجن الشعب الفلسطيني .

و من جهة أخرى ، يجب أن نقدّر الوضع تمام التقدير. فقد فُرض على حاكم بغيض **مغادرة السلطة** فى مصر . لكن ذات القوى الأساسية التي حكمت و إستغلّت الشعب المصري **ظلّت فى السلطة .** و ظلّ فى السلطة أيضا ذات الجيش الذى مثّل حصن نظام مبارك الذى خدم مصالح الولايات المتحدة . و تستخدم الولايات المتحدة تأثيرها و قوّتها لتبقي على وضع مصر كدولة عميلة إضطهادية تلعب دورا معيّنا فى المنطقة. و تبحث القوى البرجوازية الليبرالية على غرار تلك المتجمّعة حول محمّد البرادعي عن إجراء الترتيبات فى صفوف الطبقة الحاكمة و الإتفاقيات مع الإمبريالية .و يدخل الإخوان المسلمون فى المنافسة من أجل السلطة و التأثيرفيها.

وفى نفس الوقت ، فى ليبيا ، إنطلق الإمبرياليون الغربيون بتعلّة الإعانة الإنسانية، فى تدخّل عسكري لإرساء نظام مطواع أكثر.و فى البحرين حيث ترسو بواخر الأسطول الخامس الأمريكي ، دعمت الولايات المتحدة القمع الذى تقوده المملكة العربية السعودية ضد المسيرات .
يشهد المشهد السياسي فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا تحوّلا مستمرّا فهناك ظروف مناسبة لتقدّم الجماهير. بيد أنّ سير الأمور فى إتجاه إيجابي يمكن أن يقود إلى تحرير حقيقي، يرتهن بنوع قيادة الجماهير. يرتهن بوجود قيادة شيوعية متسلّحة بفهم علمي لتطوّر العالم...و كيفية تغييره عبر الثورة . و حيث لا يوجد **هذا** النوع من القيادة ، من الحيوي بناؤه و تطويره.و هذا أيضا جزء من تحدّى الوضع الراهن .

لمداخلتى شقين أساسيين : جدال حول الديمقراطية و نقاش لما تعنيه الثورة فى عالم اليوم . و فى هذا السياق سأتطرّق للخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان للشيوعية و كيف تقدّم نظرية تحريرية و علمية لإطار القيام بالثورة التي يمكن أن تحرّر الإنسانية جمعاء . لكن بداية ، أرغب فى أن أبدأ بعرض خلفية مقتضبة عن الإمبريالية فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا.

-II- الإمبريالية و الشرق الأوسط :

الشرق الأوسط منطقة ذات أهمّية جغراسياسية هائلة بالنسبة للإمبريالية : فيما يتعلّق بالإمدادات فى الطاقة ، وفيما يتعلّق بالتجارة و بطرق النقل الحيوية لسير النظام الرأسمالي العالمي ، و كمحور نزاع ضمن القوى الإمبريالية.كانت الهيمنة الأمريكية على الشرق الأوسط حيوية فى هيمنتها العالمية بما فيها علاقاتها بالقوى الإمبريالية الأخرى . وتعنى السيطرة على إمدادات الطاقة فى المنطقة التمكّن من شرايين حياة مفاتيح بالنسبة للإقتصاد العالمي .

كيف كرّست الهيمنة الأمريكية ؟ كرّست من خلال الإعانة الإقتصادية و التجارة و الإستثمار... من خلال المؤسسات المالية العالمية مثل البنك العالمي و صندوق النقد الدولي... من خلال الأسلحة و التدريب العسكري، من خلال التدخّل السرّي و العلني – إطاحة الولايات المتحدة بحكومات و تركيز أخرى و من خلال حروب الغزو الهمجي للعراق فى 1990-1991 و مرّة أخرى فى 2003 . وقد زرعت الولايات المتحدة المنطقة بقواعد عسكرية و مراكز إستخباراتية . و هذا كلّه خدمة لإلحاق مجتمعات و إقتصاديات بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا بالمصالح الإقتصادية و الحاجيات الإستراتيجية للإمبريالية .

و يتطلّب تعزيز هذا الإلحاق بآلية الدولة الإستعمارية الجديدة – دولة عادة ما إتخذت شكل أنظمة قمعية للغاية يسيّرها جزّاران، مثل شاه إيران و حسنى مبارك مصر .

لكن الرابط المفتاح المحلّي فى سلسلة الهيمنة الإمبريالية و السيطرة على الشرق الأوسط هو دولة إسرائيل . فمنذ كانت إسرائيل قوّة إحتلال و حرس المنطقة لفائدة الإمبريالية الغربية : خائضة حروبا و شانة غزوات و ملحقة مناطقا أخرى بها لقد كانت إسرائيل ثكنة مسلّحة نووية مستقرّة نسبيّا فى خدمة مصالح الولايات المتحدة و القوى الإمبريالية الغربية فى هذه المنطقة من العالم القابلة للتفجّر و المنقّرة و الإستراتيجية . و قامت بذلك بمساعدة و حماية كبيرين من بلدان الغرب الإمبريالية و على أساس مواصلة إنتزاع أملاك الشعب الفلسطيني و سجنه و إضطهاده .

- III - الديمقراطية من أجل من و من أجل ماذا ، ثورة من أجل من و من أجل ماذا:

لقد كانت الإنتفاضات في الشرق الأوسط و شمال أفريقيا ملهمة حقّا. لكن إلى أين سيذهب كلّ هذا ؟ سؤالان يطرحان نفسهما : هل من الممكن حقّا القيام بثورة ضد الإمبريالية ؟ و إن كان ذلك ممكنا ، هل

بإمكان تلك الثورة أن تقود إلى مجتمع تحرّري فعلا ؟ إجابتى هي نعم بصوت عالي. إلاّ أنّه قبل أن نتطرّق بشكل أكثر مباشرة لهذه المسائل ، علينا أن نعالج ما الذي تحدّده الغالبية العظمى من الناس المشاركين فى هذه التمرّدات ، بما فيهم غالبية نشطاء " اليسار" و غالبية الناس الأكثر تقدّمية و حتى الواعين الثوريين ، كأهداف لهذه الإنتفاضات الجماهيرية .

إنّ الأطروحة السائدة هي أنّ الصراع فى الشرق الأوسط و فى العالم بصفة أعمّ ، هو نضال بين الدكتاتورية و الديمقراطية . و ترى هذه الأطروحة الصراع على أنّه صراع بين الأوتوقراطية و الحكم التسلّطي لرجل قويّ من جهة و مجتمع يسير وفق حكم القانون ، و الحفاظ على الحقوق الفردية ، و المسؤولية الديمقراطية . و بهذا المنظور ، أعلى تعبير للديمقراطية هو الإنتخابات الحرّة و التنافسية .

فكرة انّ الديمقراطية هدف إليه يتطلّع الجميع تفرز عفويّا فى صفوف الجماهير لكونها تعيش فى عالم الإمبريالية أين يتمّ الترويج للديمقراطية البرجوازية كقاعدة و معيار يطمح إليه ... لكون فكرة الثورة لإجتثاث النظام القديم و إيجاد نوع مختلف راديكاليّا من المجتمع و العالم قد وقع محوه من جدول الأعمال ... و لكون النظام ذاته يحجب بإستمرار الطبيعة الحقيقية للديمقراطية **البرجوازية** .

أعمال بوب آفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية محورية لإدراك الطبيعة و الجوهر الحقيقيين للديمقراطية . فقد ألّف كتابا بهذا المضمار عنوانه " الديمقراطية : أليس بوسعنا أن ننجز أفضل من ذلك ؟ ". وقبل عدّة سنوات ، صاغ هذا التعليق الثاقب :

" فى عالم يتميّز بإنقسامات طبقية ولامساواة إجتماعية عميقين ، الحديث عن " الديمقراطية " دون الحديث عن **الطبيعة الطبقية** لهذه الديمقراطية ، بلا معنى وأسوأ. طالما أنّ المجتمع منقسم إلى طبقات ، لن توجد " ديمقراطية للجميع" : ستحكم طبقة أو أخرى وستدافع عن وتروّج لهذا النوع من الديمقراطية الذي يخدم مصالحها و أهدافها. المسألة هي **: ما هي الطبقة** التى ستحكم وإذا ما كان حكمها ونظام ديمقراطيتها، سيخدم **تواصل** أو فى النهاية **القضاء** على الإنقسامات الطبقية و علاقات الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة المتناسبة معه ."

لنعلّق قليلا على هذا . يقوم المجتمع الرأسمالي على حرّية تنقّل الرأسمال، على حقّ الملكية و البيع و بأكثر جوهرية ، على حقّ إستغلال العمّال المأجورين الذين لا يملكون سوى قوّة عملهم التي عليهم بيعها لأجل البقاء على قيد الحياة . و فى هذا الإطار، توفّر الديمقراطية البرجوازية غطاء مفيدا للحكم الرأسمالي. تصرّ البرجوازية على ما يسمّى ب" موافقة المحكومين " عبر سيروراتها الديمقراطية ، مثل الإنتخابات حيث عادة ما تكون ما تسمّى ب" الإختيارات" مقبولة لدي الطبقة الحاكمة . و بينما يعتقد الناس فى إمكانية إحداثهم تغيير عبر هكذا إنتخابات ، تتحكّم البرجوازية فى إقتصاد المجتمع و سياسته و وسائل الإعلام و المؤسسات التعليمية التي تشكّل الرأي العام ، و بأكثر أهمّية ، تحافظ على إحتكارها شرعية إستخدام القوّات المسلّحة فى المجتمع . و في الولايات المتحدة تستخدم هذه القوات المسلّحة ، في نيويورك ،لإيقاف مئات الآلاف سنويّا من الشباب السود و اللاتينيين و الإعتداء عليهم . وهي تستخدم لخوض الحرب فى العراق و أفغانستان .

نعم ، تخدم هذه الديمقراطية طبقة معيّنة . و الديمقراطية فى الولايات المتحدة شكل لحكم طبقي ، دكتاتورية الطبقة الرأسمالية التي تخدم التملّك الفردي للثروة المنتجة إجتماعيّا و تعزّزه .

تتأتّى القوانين و الحقوق فى المجتمع الرأسمالي و فى المجتمعات التي تهيمن عليها الإمبريالية ، وهي في خدمة سير و متطلّبات المراكمة الإمبريالية . فمثلا ، من القانوني فى مجال الفلاحة تعزيز حقوق الملكية فى الهند و البرازيل - لشراء الأرض و إقتلاع الفلاحين من أراضيهم،و لإحتكار البذور ، و إستيجار

العمل و إستغلاله. و هذه الحقوق تسندها و تصونها دول الإستعمار الجديد. بيد أنّه لا وجود لحقّ الأكل و حقّ السكن لشعوب العالم.لماذا؟ لأنّ ذلك سيتعارض مع ديناميكية و متطلّبات المراكمة الإمبريالية .

تحثّ الإمبريالية على إستعمال الآليات الديمقراطية – الإنتخابية فى الأمم المضطهَدة لما يسمّى بالعالم الثالث- حينما يتناغم ذلك مع مصالحها الإستراتيجية . ففى أمريكا اللاتينية ، على سبيل المثال ، وقع تعويض سلسلة طويلة من الأنظمة العسكرية – الفاشية الموالية للولايات المتحدة بأنظمة حكم متعدّدة الأحزاب عندما صار ذلك أفضل و يمكن التعويل عليه بالنسبة للإمبريالية . بيد أنّ الطبقات المستغِلّة قد سيطرت على آليّات المساهمة الأوسع هذه – و إستمرّت هيمنة الإمبريالية و تدخلها و بصورة أعمق فى هذه المجتمعات. دون ثورة حقيقية ، دون تغيير للبنية التحتية الإقتصادية و للعلاقات الإجتماعية فى المجتمع ، فإنّ أية إنتخابات ستصبغ الشرعية على التوافقات الجديدة بين القوى الإجتماعية المدعومة من قبل الإمبريالية.

ما تنشره الولايات المتحدة عبر العالم ليس الديمقراطية و إنّما الإمبريالية و الهياكل السياسية لتعزيز الإمبريالية . لقد غزت الولايات المتحدة العراق و إثر التحطيم و الغزو المباشرين ، تموّل إنتخابات كجزء من إرساء و "مصادقة على" نظام سياسي إضطهادي جديد ستهيمن عليه... بفوّهة البندقية .

فكروا فى المسألة : هل أدّت الإنتخابات فى مجتمع تحكمه الطبقات المستغِلّة إلى إيجاد نظام إجتماعي عادل ؟ هل أدّت الإنتخابات إلى التخلّص من الطبقات المستغِلّة أو حتى إجبارها على إيقاف إستغلال الشعب ؟ أين أطاحت الإنتخابات بالقوانين الرأسمالية الجوهرية - حيث يتحكّم الربح في كلّ شيئ ؟

فكّروا في المسألة ، مجرّد تصويت " الغالبية " من أجل شيئ ، لا يجعل الأمر صحيحا. في الولايات المتحدة كافة أنواع الأحكام ضد زواج المثليين صادق عليها توافق شعبي . و حتى إن صوّت جميع الأمريكيين لبوش ، فإنّ ذلك لن يقلّل من أنّ الحرب فى العراق حرب غير عادلة و مجرمة . لا يعنى مجرّد تعبير الناس عن أنفسهم فى إنتخابات أنّهم يعبّرون عن مصالحهم العليا و الأكثر جوهرية . فى الواقع ، لأنّ الشعب يحيا فى مجتمع برجوازي و هو بإستمرار عرضة لقذف بالأكاذيب و بدعاية الطبقة الحاكمة ، فإنّه عفويّا لن يدرك الحقيقة الخاصّة و مصالح شعوب العالم . المسألة هي أنّ الشعب لا يتحكّم فى النظام عبر الإنتخابات بالأحرى ، الإنتخابات جزء من سيرورة عبرها تتحكّم الطبقة الرأسمالية فى الجماهير و تكسب الشرعية .

يدعو ممثّلو الإمبريالية إلى إنتخابات " حرّة و عادلة" فى مصر و بلدان أخرى . بيد أنّ ما يقصدونه من هذا هو أنّ السياسات الرسمية لا يجب أن يُهيمن عليها حزب برجوازي واحد فقط، موالي للإمبريالية . على الأقلّ ينبغى السماح لحزبين للتنافس فى الإنتخابات التي فيها الدفاع عن مصالح الإمبريالية هو المعيار و طريقة تحديد ما هو شرعي و مقبول . و النموذج يعمل بصورة رائعة فى الولايات المتحدة ذاتها حيث لديكم إنتخابات " حرّة و عادلة " حيث يتنافس الديمقراطيون و الجمهوريون- الحزبان البرجوازيان الإمبرياليان .

و الآن نشاهد أوباما يهلّل ل " المدّ الديمقراطي" فى الشرق الأوسط. إنّه يهلّل للتمرّد لأجل الإلتفاف عليه . و يحاول ان " يمضي قدما " فى هذه الصراعات و توجيه طموحات الشعب نحو سيرورات ستبقى على القوّة الأساسية و علاقات الملكية هي هي. و هناك عديد " اليساريين " الذين يحاججون بأنّ دمقرطة الحياة السياسية هي الشيئ الأكثر واقعية – و حتى الأكثر مرغوبية - الذى نقاتل فى سبيله . و يحاججون أنّه من الأفضل أن تكون لدينا حكومات يُعوّل عليها عبر الإنتخابات من أن تكون لدينا أنظمة قمعية عسكرية .
لكن مجدّدا ، ما هي الدروس التي نستخلصها من التاريخ ؟ فى الفليبين و أندونيسيا ، ركّزت الولايات المتحدة و حافظت على الدكتاتوريات الوحشية لماركوس و سوهرتو . و قد أجبرت الإنتفاضات

الجماهيرية ضد هذه الأنظمة الإمبرياليين على أن يتخلّوا عن عملائهم و أن يدخلوا بعض التغييرات فى أشكال الحكم. غير أنّ إضطهاد الجماهير تواصل و ظلّت المجتمعات ملحقة بالإمبريالية و تابعة لها .

ولنتوجّه إلى الأحياء القصديرية فى القاهرة أين يعيش ما يناهز الخمسة أو الستّة ملايين فى ظروف بؤس لاإنسانية - بلا ماء صالح للشراب و بلا قنوات صرف صحّي و بلا مدارس و لا بنية تحتية للرعاية الصحّية . كيف ستمكّن الإنتخابات الجماهير من إعادة صياغة المجتمع بينما توجد سلطة الدولة ، و هي متركّزة فى الجيش ، بين أيدى الطبقات المستغَلة المدعومة من قبل الإمبريالية ؟
و إلى كاراكاس بفنيزويلا . لقد أدخل هوغو تشافاز كافة ألوان برامج الرفاه الإجتماعي ومأسس ما يسمّى صميم الديمقراطية . و صارت نسب المشاركة فى الإنتخابات عالية نسبيّا فى الأحياء القصديرية و وسّعت الخدمات الإجتماعية لتشمل مدن الصفيح . إلاّ أن الواقع ينطق بأنّ كاراكاس مدينة من الأحياء القصديرية.
و الحقيقة هي انّ إقتصاد فنيزويلا منظّم حول النفط و إدماجه فى إطار الإقتصاد العالمي ما يحدّد السيرورات السياسية و الإجتماعية فى فنيزويلا . و تخدم سلطة الدولة الحفاظ على النظام الإقتصادي و علاقاته الطبقية . فى فينيزويلا لم يقع القطع مع الإمبريالية . ذلك أنّ هذا لم يكن مطلقا هدف تشافاز . بيد أنّه لا يمكن أن يوجد تحرير دون القطع مع الإمبريالية .

و هناك الكثير من " اليساريين " الذين فى حين يفهمون بعض حدود الحركات الراهنة فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا ، ينتهون إلى إستنتاج خاطئ جدّا . إنّهم يدافعون عن كون أقصى ما يمكن تحقيقه – و بالتالى هدف النضال هو- إيجاد " فضاء ديمقراطي". و بهذا يعتبرونه طريقا يمكّن القوى التقدّمية و الثورية من نشر سياساتها و تنظيم قواها لكي ، فى زمن آخر، بعيد المدى ، يوجد نوع من التغيير الأكثر ثورية .

لا يعدو هذا التصوّر التأجيلي كونه مجرّد تفريع آخر لمفهوم أنّ جوهر الصراع هو توسيع الديمقراطية و أنّ الثورة غير ممكنة حقّا . تتخلّى هذه المقاربة عن العمل الإيديولوجي الذي يجب القيام به حتى تحسم الجماهير فى الديمقراطية البرجوازية . هناك حاجة إلى أن تطوّر طليعة شيوعية حقيقية مسلّحة بفهم علمي و بمقاربة إستراتيجية ضرورية لتوسيع التأثير و مراكمة القوى من أجل الثورة و التقدّم إلى أبعد مدى ممكن صوب إفتكاك السلطة خلال الأزمات الكبرى فى المجتمع و في العالم .

نحن الشيوعيون لا نهمل نقص الحقوق الديمقراطية و عديد المظالم الأخرى التي هي الخبز اليومي لحياة الجماهير فى الأمم المضطهَدة - و التي تأثّر كذلك نسبيّا فى الفئات ذات الإمتيازات .

تقاوم الجماهير فى الشرق الأوسط الإضطهاد . و الصراع من أجل الحقوق الديمقراطية ضد الإضطهاد نضال من النضالات العادلة لكنه يجب ان يكون رافدا من روافد المساهمة فى بناء حركة و صراع من أجل الثورة . و ما ينشأ عفويّا كصراع ضد الطغيان و الفساد و الإمتيازات لا يجب أن ينتهي كما نشأ . يمكن لنضال الجماهير من أجل التخلّص من طاغية بغيض أن يصبح جزءا من النضال من أجل القضاء على النظام الإضطهادي برمّته. هذا هو التحدّى الموضوعي الذى يضعه أمامنا الوضع المناسب للغاية و إن كان متناقضا فى مصر و أجزاء أخرى من المنطقة . و هذه اللحظات لا تتوفّر على الدوام .

لكن مواجهة هذا التحدّى و تغيير الوضع فى هذا الإتجاه تتطلّب قيادة شيوعية ثورية قادرة على النظر عبر مناورات الطبقات الحاكمة و أن تدرّب الجماهير فى ما يتصل بالمؤامرات ... و قادرة على قيادة الجماهير فى إنجاز ثورة حقيقية تآمة . فى بلد مثل مصر ، تعنى الثورة لا شيئ أقلّ من القطع مع الهيمنة الإقتصادية للإمبريالية العالمية و فى نفس الوقت ، القطع مع كافة العلاقات التقليدية و الإضطهادية فى صفوف الشعب .

-IV- الثورة الحقيقية :

كان لصرخة " الحرّية " صدى شديدا و صائبا خلال إنتفاضات الشرق الأوسط و شمال أفريقيا. لكن ماذا يعنى أن نحوّل إمكانية" الحرية" إلى واقع ؟
فى بيان بوب آفاكيان " **مصر2011 : ببسالة إنتفض الملايين...لكن المستقبل لم يكتب بعدُ** " :

" ينبغى مواصلة النضال إلى أن يتحقّق التحرّر الحقيقي من ربقة حكم الإمبرياليين و أذنابهم المحلّيين و شركائهم الصغار، التحرّر من كافة أشكال الإضطهاد و الإستغلال ، التحرّر من كافة القوى التي عفا عليها الزمن و التي تستعبد النساء و الشعب بأسره على نحو يشبه ظلمات و إضطهاد القرون الوسطى، من القوى التي عفا عليها الزمن و التي تريد أن تستعبد الناس بإسم " الديمقراطية " ..." الحرّية " ... و يسوّقُ للإستغلال الرأسمالي الإمبريالي على أنّه " التقدّم" ."

يقدّم هذا البيان أجندا و نظرة مختلفين عن ما يبدو أنّه خياران لا ثالث لهما أمام الشعوب. الخيار الأوّل هو تبنّى نوعا من الديمقراطية البرجوازية على النمط الغربي و ممارساتها و مبادئها و حقوقها المحدّدة ، مثل الإنتخابات و " حكم القانون" . و و قد سبق و أن تحدّثت عن هذا. و الخيار الثاني الوحيد الآخر و البديل الوحيد الآخر ظاهرياً ، هو الأصولية الإسلامية التي تقدّم ذاتها على أنّها شكلا من أشكال معارضة الإمبريالية ، و وسيلة لتجنيب المجتمع إنحطاط الغرب و فساده و قوّة بمقدورها أن تقدّم المنطق و المعنى العميقين للوجود الإجتماعي .

كلاهما خياران عفا عليهما الزمن و هما يقبلان بإطار عالم قوامه الإستغلال و الإضطهاد: العالم الإمبريالي – بحروبه و تحطيمه للبيئة . إلاّ أن الناس واقعون بين كمّاشتي هذين الخيارين غير المقبولين . و هذه الديناميكية هي المأثّرة جداً فى تشكيل الوضع العالمي الراهن . و ينبغى تقديم طريق آخر للإنسانية لتجاوز هذه الآفاق المحدودة و المفيدة . و هذا ما يوجه إليه بوب آفاكيان الجماهير .

و مسألة تحرير النساء مسألة تعدّ حجر الزاوية في كسر حدود هذين الخيارين المرفوضين ؟ يتعلّق الأمر بإطلاق العنان لغضب النساء كقوّة جبّارة من أجل الثورة . إنّ إضطهاد نصف البشرية متجذّر بعمق فى الشبكة المركزية لإضطهاد المجتمع الطبقي . و " التحرّر" من الإضطهاد الذى تطالب به النساء لا يمكن بلوغه إلاّ عبر التغيير الثوري الأكثر راديكالية للمجتمع. و يمثّل فهم هذه المسألة اليوم حجر الزاوية فى صفوف المضطهَدين أنفسهم و جزءا من الترويج لأخلاق و ثقافة جديدين بإمكانهما أن يلهما الناس و يعدّاهما للقيام بالثورة لتحرير الإنسانية جمعاء – هذا عامل إيجابي للغاية حتى فى هذا الحقل .

و لنقفز معا إلى الوراء . لقد مثّل المشروع الشيوعي الذي بادر به ماركس قطيعة جذرية فى التاريخ . لم يرتئ ماركس الشيوعية و التحرّر كتحقيق للمساواة و إنّما بالأحرى كتجاوز لحدود المجتمع الإستغلالي و البرجوازي . فقد كتب :
" إنّ الإشتراكية إعلان عن إستمرار الثورة ، دكتاتورية البروليتاريا الطبقية كمرحلة إنتقالية ضرورية نحو إلغاء كلّ الإختلافات الطبقية و إلغاء كلّ علاقات الإنتاج التي تقوم عليها و إلغاء كلّ العلاقات الإجتماعية التي تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و تثوير كلّ الأفكار الناتجة عن هذه العلاقات الإجتماعية ."

و خلال سيرورة مديدة و مضطربة و غير مستقيمة شاملة ، تبلغ الثورة الشيوعية هذه " الكل الأربعة " على النطاق العالمي . إنّها تولّد مجتمعا إنسانيّا عالميّا لن يوجد فيه بعدُ إنقسام طبقي و تناقض إجتماعي

عدائي و فيه يغيّر الناس ، جماعيّا و بالتعاون العالم ، و يصبحون فيه محافظين على الكوكب و مغيّرين من ذواتهم .

و أوّل خطوة كبرى فى هذه السيرورة هي إفتكاك سلطة الدولة من طرف الجماهير بقيادة طليعة شيوعية . و هذا يعنى أكثر من تغيير فى النظام. إنّه يعنى إلحاق الهزيمة بالدولة القديمة و جيشها و تفكيكها . و يعنى إرساء سلطة دولة جديدة ثورية- دكتاتورية البروليتاريا، التي لها أشكال تعبير خاصّة فى الأمم المضطهَدة .

و تمارس سلطة الدولة الجديدة هذه الدكتاتورية ضد القوى الإستغلالية القديمة منها و الجديدة . و تصون حقوق الشعب . و تمضى فى إنجاز الثورة لتحقيق " الكل الأربعة " على نطاق عالمي . و تفتح سلطة الدولة الجديدة هذه الباب أمام مجال جديد تماما من الحرّية للجماهير الشعبية. و تركّز نفسها و تنطلق من المصالح الجوهرية لأكثر الناس إضطهادا و إستغلالا مريرين و من الجماهير عموما . و تمكّن الجماهير من النهوض بدور ما يفتأ يتّسع فى ممارسة السلطة السياسية .

نحتاج إلى سلطة الدولة الجديدة هذه للإطاحة بعلاقات الإنتاج الإستغلالية فى القاعدة الإجتماعية و لتركيز إقتصاد تحرّري. فى عالم قوى الإنتاج فيه عالية التطوّر و الطابع الإجتماعي ، ثمّة طريقتان لا غير فى تنظيم الإقتصاد. يمكن تنظيمه حسب منطق السوق و الديناميكية الساحقة للمراكمة الإمبريالية التي تعيّن أبعاد ما هو ممكن و مرغوب فيه و تؤدّى إلى تحطيم الكوكب.أو يمكن تنظيمه و تسييره حسب التعديل الواعي المعتمد على علاقات الإنتاج الإشتراكية: الملكية الإشتراكية و التخطيط الإشتراكي و النشاط الواعي للجماهير . و دون علاقات إنتاج مختلفة راديكاليّا ، فإنكم ستعودون إلى حضن الرأسمالية – الإمبريالية ، بكلّ الآفات المرافقة لها .

تصوّروا ثورة توجه الإقتصاد نحو تلبية أكثر الحاجيات الشعبية جوهرية و تطلق العنان للعلماء و المزارعين و غيرهم لتطوير وسائل للقيام بذلك بطريقة بيئية مستدامة .
تصوّروا ثورة تضع حدّا لمدن الصفيح ،و تهدف لتجاوز الإنقسامات الإضطهادية بين المدينة و الريف ، و تطوّر أصنافا جديدة من الصناعات الغذائية .
تصوّروا ثورة هدفها الإطاحة بجميع أشكال التفوّق الذكوري و البطرياركية- من لباس النقاب إلى كلّ شيء .ثورة تعترف تماما بإنسانية النساء و تطيح بكلّ الحواجز - من الحاجة إلى مراقبة الولادات و الإجهاض ، و رعاية الأطفال و المفاهيم الجندرية الخانقة ، إلى مساهمة النساء فى المجالات كافة .
تصوّروا ثورة تمكّن الذين سجنوا ليس فحسب فى الفقر و البؤس لكن أيضا سجنوا فى الجهل و العلاقات المتخلّفة ، من السير جنبا إلى جنب مع الذين حصلوا على أزيد تعليم و تدريب لكن طموحاتهم و جهودهم قد أحبطتها متطلّبات رأس المال و الإمبريالية ، لتولّوا معا مسؤولية متنامية فى التقدّم بالمجتمع و العالم بإتجاه تحرير الإنسانية .

تصوّروا ثورة تقودها طليعة شيوعية لها وضوح حول إلى أين ينبغى أن يفضي كلّ هذا و كذلك وضوح حول الحاجة ليس فحسب إلى توفير مجال بل لتشجيع و إطلاق العنان للمعارضة و النقاش و كذلك لخميرة و تنوّع كبيرين فى الفنون والعلوم ، فى الثقافة و الموسيقى ، و فى الفلسفة و الأخلاق و السياسة .

هذه هي الثورة التي تحتاج إليها الإنسانية . و فى حين أنّ إستراتيجيا القيام بالثورة و التحدّيات الخاصة التي يواجهها مجتمع ثوري يمكن أن تكون مختلفة فى إرتباط بالتقسيم الإمبريالي لأمم مضطهِدة و أمم مضطهَدة و بالوضع الخاص الذى يقوم عليه نوع المجتمع المعني .

-V- الخلاصة الجديدة ، إعادة إحياء حيوية و مرغوبية الشيوعية :

ليست المواضيع المفاتيح المناقشة خلال هذه الندوة و الحجج التي أقدّمها فى علاقة بهذه المسائل و الخلافات و التحدّيات التي طرحها النهوض فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا، ليست ببساطة مواضيعا خاصّة بهذه المنطقة أو بهذا الوضع . إنّها شديدة الإرتباط بالقضايا التي تواجه الحركة الشيوعية العالمية. هل ستظهر مرحلة جديدة من الثورة ، ثورة تغييرية حقيقية ، فى عالم يصرخ من أجل تغيير جوهري ؟ بحدّة تطرح المسألة التالية : هل ستصبح الشيوعية طليعة المستقبل أم من بقايا الماضي ؟

عند تفحّص هذا ، ألفت نظركم إلى بيان الحزب الشيوعي الثوري: " الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ". و فى هذا البيان ورد تحليل للمرحلة الأولى من الثورة الشيوعية التي عرفت إنتصارات الثورة البلشفية و الثورة الصينية و هزيمتهما. و فيه تلخيص بأنّ هذه المرحلة الأولى من الثورة مضت بعيدا و حقّقت أشياء ملهمة لا تصدّق ، فى القتال لتخطّي العوائق الحقيقية فعلا التي واجهتها و للتقدّم نحو عالم دون إضطهاد و إستغلال . بيد أنّه وجدت أيضا نواقص و أخطاء ، بعضها جدّي للغاية، لدى الذين كانوا يقودون هذه الثورات و المجتمعات الجديدة . و قد ساهمت هذه النواقص و الأخطاء و إن كانت ثانوية ، في إلحاق الهزيمة بهذه الثورات .

كلّ هذا ينبغى أن نتعلّم منه بعمق و من جميع النواحي لأجل المضيّ قدما في الثورة الشيوعية فى الوضع الجديد الذي نواجهه و لأجل إنجاز حتى ما هو أفضل خلال الموجة التالية من الثورة. إنّنا في مفترق طرق: من جديد، هل ستكون الشيوعية طليعة المستقبل أم من بقايا الماضي . يشرح البيان أنّه ضمن الذين كانوا يعتبرون أنفسهم شيوعيين أو متعاطفين بشكل واسع مع هذا المشروع لتحرير الإنسانية ، وجدت أجوبة ثلاثة لنهاية المرحلة الأولى من الثورات الشيوعية و المجتمعات الإشتراكية .

أوّلا، هناك ما تقدّم به بوب آفاكيان فى خلاصته الجديدة التي تدافع عن المبادئ الجوهرية للشيوعية و تقدّم علم الشيوعية بطرق جديدة جذريّا- فقد صاغ آفاكيان خلاصة علمية للتجربة الثورية للحركة الشيوعية و فى علاقة بالتيّارات الفكرية الأوسع العلمية منها و الثقافية و الفنّية .

و طوّرت هذه الخلاصة الجديدة ، في تعارض مع ما تبدو بدائلا لكنها في الواقع إجابات لنهاية المرحلة الأولى من الثورة ، شكليّا متعارضة ، لكنّها في عمقها تمثّل بقايا الماضي . و واحدة من الإجابات و فهم الشيوعية هي التشبّث على نطاق واسع و دون نقد و بطريقة دغمائية و دينية تقريبا ، بالتجارب الإشتراكية و النظرية الشيوعية السابقة . و ترفض هذه الإجابة المقاربة العلمية الشاملة لتلخيص الماضي و مزيد التقدّم بالنظرية الشيوعية .

و الإجابة الثانية تنبذ الماركسية و توجه نظرتها صوب القرن 18 و ما يُعتبر مُثلا ديمقراطية و مساواتية و نماذجا إجتماعية من الحقبة البرجوازية . في بعض الحالات ، تستبعد هذه النظرة كلمة الشيوعية ذاتها ؛ و فى حالات أخرى ، يلصق الذين يتبنّونها يافطة الشيوعية بالمشروع السياسي الذي يضع نفسه بصلابة ضمن حدود المبادئ الديمقراطية البرجوازية . و أحيانا، يترافق هذا بنضال جدّ إقتصادوي و غير قاطع مع الرأسمالية ، من أجل حقوق العمّال فى إطار النظام القائم . إنّه لإجرام أن نقود الجماهير فى هذا الإتجاه و نهدر تصميمها و طاقاتها .

ليست الخلاصة الجديدة لآفاكيان تجميعا ل" أفضل ما فى التجربة السابقة " و لنقد هذه التجارب . بالأحرى كما يوضّح البيان : " بناء على كل ما حدث قبلا ، نظريا وعمليا- وإستخلاص الدروس الإيجابية و السلبية من ذلك ورفع هذا إلى مستوى توليف/ تلخيص جديد و أرقى . "

لقد قدّم آفاكيان نموذجا من الإشتراكية كمجتمع حيوي و ديناميكي - يتميّز بخميرة فكرية و فنية و سياسية و معارضة و تجريب و مبادرة كبيرين- مجتمع يمثّل أيضا مرحلة إنتقالية ثورية نحو الشيوعية. إنّها خلاصة و مفهوم مختلفين عن الخلاصة و المفهوم اللذان وُجدا فى الإتحاد السوفياتي و فى الصين : حول العلاقة بين الفرد و الدولة و حول المعارضة ، حول الطبيعة و البيئة ، حول دور المثقفين و الفنانين- و علاقتهم بالجماهير القاعدية - و حول كيفية تخطّى الإنقسام بين الذين تدرّبوا فى حقل الأفكار و الذين مُنعوا من ذلك .

هي خلاصة و مفهوم مختلفين حول الشيوعية كعلم ، حول العلاقة بين البحث عن الحقيقة و التقدّم صوب الشيوعية ، حول التغيير الإيديولوجي و جوهريّا حول التناقض بين القيادة و المقادين - و كيفية الإشتغال على هذا و من خلاله . و قد عمّق آفاكيان كذلك فهم القاعدة المادية للأممية و كيف أنّ المجال العالمي ، فى المعنى الأخير ، هو الأكثر حسما ، حتى فيما يتصل بالثورة فى بلد واحد .

مع الخلاصة الجديدة ، أعاد آفاكيان ، على أساس جديد ، أكثر تقدّما ، إحياء حيوية و مرغوبية عالم كامل جديد و مغاير جذريّا. و قد أقام هذا الصرح على قاعدة أصلب من المادية و الجدلية .

بإختصار، فى هذه اللحظة من تاريخ العالم ، يصرخ عالمنا من أجل موجة جديدة من الثورة الشيوعية التغييرية ، راديكاليا و عمقا. وفي هذه اللحظة من تاريخ العالم ، كذلك توجد أسس موضوعية و نظرية للتقدّم الحاسم بالإنسانية إلى الأمام .

الأرض تهتزّ فى العديد من بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا و لها تداعيات عالمية . و فى هذا الوضع يتمّ تحدّي حقّ القوى الحاكمة و قدرتها بصفة جدّية . وهي الأرضية التي على أساسها يمكن إنشاء جيل جديد من الشيوعيين . إنّها أرضية تمكّن الشعب من أن ينجز قفزات كبرى في الوعي و التنظيم وهو يواجه الحكّام و الإمبرياليين في خضمّ الصراع بين التيارات و البرامج . و إمكانية إحداث إختراقات ثورية حقّا صعبة و حقيقية في آن . و ينبغى المسك بهذه الإمكانية !

شكرا

الفصل الثانى : مقالات تحليلية من جريدة " الثورة " :

1- يمكن لملايين الناس أن يخطئوا : الإنقلاب فى مصر ليس ثورة شعبية .

جريدة " الثورة " ، 2 أوت 2013

www.revcom.us/.../millions-of-people-can-be-wrong-the-coup-in-**egypt**-is- not-a-peoples-revolution-en.html

كلمة للناشر :

لقد تفاعل عدد من القرّاء مع مقالنا " الإنقلاب فى مصر : يعزّز الإمبريالية ، لا الشعب " و علّقوا عليه .

وقد كتب قارئ مصري :

*" مقالكم مخطئ تماما . لم يكن ما حدث إنقلابا كما تجعلكم وسائل إعلام الولايات المتحدة تعتقدون وإنّما كان عملا شعبيّا حقّا شمل فى الأساس **كافة** المصريين الذين نهضوا فى موجة واحدة ضد الإخوان المسلمين . و الجيش ببساطة إلتحق بتلك الموجة عندما شاهد الكره الجماهيري لعامة السكّان و الذى لا يمكن إنكاره للإخوان المسلمين . إلتحق الجيش عندما بات من الواضح أن الجانبين سيقطّعان بعضهما البعض و يحطّمان مصر فى هذه السيرورة .*

و حاجج ذلك القارئ :

*مقالكم لا يفعل سوى إجترتر ذات الإزدراء القديم بالمجمّع العسكري (الذى عادة ما أتفق مع ذلك) **لكن** هذه المرّة فى مصر ، آمنتم بذلك أم لم تؤمنوا ، ما حدث كان **ثورة** عظيمة شعبية حقّا ضد مافيا لامسؤولة و فاشية نامية لرجال يستغلّون الدين للتلاعب بالجماهير خدمة لمصالحهم الخاصة ومصالحهم التنظيمية. لم يحمل الإخوان أبدا مشاغل الأمّة أو الشعب (و فئات غير قليلة منه متكّونة من عديد الأقليّات). و قد إعترفوا حتى منذ زمن بعيد بأنهم سيستعملون " الديمقراطية " مرّة واحدة – لبلوغ السلطة – و أنّه لمّا يصبحوا فى السلطة ، سيفكّكون " الديمقراطية " ذاتها التى بواسطتها بلغوا السلطة .*

و :

*من التوريات التهكّميّة أنّ تغطيتكم للأحداث تنزلق عمليّا إلى المشاركة فى لعبة الإمبريالية بالتجاهل التام لواقع أنّها مثّلت الإحتجاج السياسي الأضخم فى تاريخ البشرية (حسب البي بي سي) شارك فيه أزيد من 33 مليون إنسان كانوا فى الشوارع ينشدون **رحيل** مرسى . . فى الواقع ، أنتم و مقالكم تلتقون ببساطة مع خطّ السى أن أن و مفاده أنّ ما جدّ كان إنقلابا ، منكرين فعلا على العالم أن سلطة الشعب- و ليس سلطة الجيش – هي التى أسقطتهم . إنّ وسائل الإعلام الأمريكية لا اسلّح قط و لن تسلّح قط الناس بذلك الفهم – ومن التورية التهكّمية أن مقالكم لن يفعل ذلك هو بدوره . "*

و تحاجج رسالة القارئ أيضا بأنّ الولايات المتحدة كانت توظّف الإخوان المسلمين و أنّ " *الشعب المصري قام بما قام لوحده – و كان سيقوم بذلك لوحده ، مع الجيش أو دونه* ".

و فيما يلى ردّ على هذه الحجج صاغه قارئ آخر إليه أبلغنا الرسالة . و نتطلّع إلى مواصلة الحوار و النقاش حول المسائل الحيوية المتصلة بفهم الأحداث الأخيرة فى مصر و العمل بمقتضى هذا الفهم .

===============

يأكّد مقال " الثورة " التى تشير إليه الحقيقة فى علاقة بالواقع الفعلي لما حدث و يحدث فى مصر .إنّه لا يتلاعب بالأمور لأية غايات سياسيّة و لا يعمّق الأوهام و الإحباط والإنخداع الذين يبدوان رائجين اليوم. و الأحداث الأخيرة و ما كشفته لا تفعل سوى مزيد إثبات و تعزيزحقيقة أنّ ما جدّ هو إنقلاب نظّمه الجيش – " حركة مفاجئة و حاسمة فى مجال السياسة ينتج عنها تغيير حكومة بشكل غير قانوني أو بالقوّة " . ما يجري فى مصر ليس ثورة شعبية .

نعم ، لنكون فى منتهى الوضوح ، محمّدمرسى و الإخوان المسلمون يمثّلان قوّة رجعية تضطهد قطاعات كاملة من الناس ، لا سيما النساء – و لا ينطلقون من أي إطار نظري محرّر أو حتى مناهض للإمبريالية جوهريّا . بيد أنّه هل يبرّر ذلك جرائم القتل التى إرتكبها الجيش المدعوم أمريكيّا – و القوى الليبرالية و الديمقراطية و العلمانية التى أطلقها لمساندة تحرّكاته ؟

لا !

<u>**لا يتحدّد الواقع بما يعتقده ملايين المصريين :**</u>

هناك تأكيد و طريقة تفكير كامنين فى كنه الرسالة و هما إشكاليين بعمق – و خاطئين و ضارين . وهذا التأكيد و هذه الحجّة هما أنّه نظرا لكون الجماهير بالملايين تتحرّك ، كلّ ما تفعله مهما كان صحيح و سليم ، و فى النهاية يخدم مصلحتها. يمكن أن يعتقد ملايين الناس أنّها ثورة شعبية ، غير أنّ الواقع الموضوعي هو أنّ ما وقع إنقلاب خطّط له الجيش خدمة لمصالحه ، بمباركة من الولايات المتحدة (" الأم أمريكا "). من ضمن الملايين الذين نزلوا إلى الشوارع ، ثمّة تأكيدات بيّنة بأنّ الجيش " إلى جانب " الشعب ، إلتحق بصفوف الشعب ، مثلما تأكّد أنت فى رسالتك ، " و الجيش ببساطة إلتحق بتلك الموجة عندما شاهد الكره الجماهيري لعامة السكّان و الذى لا يمكن إنكاره للإخوان المسلمين ".

هذا شكل خاص و مركّز من الأبستيمولوجيا الشعبوية (الأبستيمولوجيا هي فلسفة ما هي الحقيقة و كيف التوصّل إليها) بأنّ ما يعتقده الشعب يحدّد الواقع . (و الأبستيمولوجيا الشعبوية هذه تعبير عن مقاربة تحدّد الحقيقة بما يفكّر فيه الناس ، أي ، بالرأي العام . إنّها مقاربة لا تطبّق العلم لفهم الواقع الموضوعي فى سيره و حركته و ديناميكيته الكامنين ، إنّها لا تتحدّى الواقع الموضوعي و لا تدحضه و لا تغيّره و بالتالي فى نهاية المطاف تترك الواقع " كما هو ").

الجماهير الشعبية – بما فى ذلك ملايين الناس – يمكن نكون و فى هذه الحال هي ، مضطربة و منقادة فى إتجاه غير صحيح و تكون مخطئة بعمق .

<u>**ماذا خلف الإنقلاب :**</u>

هناك ملايين الناس الغاضبين من مُرسى فى الشوارع و هم يطالبون برحيله لكن من خطّط لذلك و نظّمه و أطلقه و ما هي غاياته ؟

تبيّن الأحداث الأخيرة و ما تكشف عنه أنّ موقف المعارضة – ونقصد الذين كانوا معارضين لنظام مرسى الأصولي الإسلامي و ساندوا الجيش المصري – و الجيش كانا يعملان اليد فى اليد لتقاطع المصلح بغية الإطاحة بمرسى .

لقد ورد فى تقرير ل " جريدة وول ستريت " :

" قبل أشهر من إزاحة الجيش للرئيس محمّد مرسى ، إلتقى أعلى جنرالات مصر بصورة منتظمة بقادة المعارضة ، و كان ذلك عادة فى نادي ضبّاط البحرية الواقع على ضفاف النيل . و كانت الرسالة هي : إن كان بمقدور المعارضة أن تنزل إلى الشوارع محتجّين بأعداد كافية ، فإنّ الجيش سيتدخّل و سيزيح الرئيس بالقوّة .

و مع حلول 30 جوان ، نزل ملايين المصريين إلى الشوارع منادين برحيل مرسى ، و بعد أيّام ثلاثة أطاح به الجيش " (19 جويلية 2013).

و أودّ أن أشير إلى أنّ الأمر ليس أنّ الولايات المتحدة – حتى بتأثيرها على كلّ من الإخوان المسلمين و الجيش – قد أعطت إشارة بداية كلّ خطوة من السيرورة و ناورت و تحكّمت فيها . و مع ذلك ، ما أضحى واضحا أكثر فأكثر هو أنّ الولايات المتحدة تدخّلت تدخّلا حيويّا فى لحظات حرجة . فمثلا ، نشرت ط النيويورك تايمز " رواية تشير إلى أنّ فى الساعات الأخيرة لمرسى كرئيس ، عُرضت عليه صفقة عبر وزير خارجية بلد عربي كان يعمل مبعوثا لواشنطن ، لوضع حدّ لإبعاد أعلى الجنرالات من السلطة الفعلية و لإعفائه من مهامه / من خلال القبول بأن يكون وزيرا أوّلا لحكومة جديدة تتمتّع بجميع السلط التشريعية و قد رفض مرسى ذلك ، حسب التقرير الصحفي .

و ناشر هذا هو أعلى مستشر من مستشاري السياسة الخارجية ،عصام الحدّاد ، الذى تحدّث مع آنيترسن، سفير الولايات المتحدة و سوزان رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي . و وفق " النيويورك تايمز" ، عقب المكالمة الهاتفية ، فى تقرير للحدّاد :

" قالت لنا أمّنا أنّنا سنتوقّف عن اللعب خلال ساعة " هذا ما سجّله مساعد من مساعدى مرسى وهو يتلاعب بتعبير مصري ساخر بشأن المتحكّم الغربي فى البلاد " أمّنا أمريكا " (6 جويلية 2013).

عندها إنطلقت عملية تولّى السلطة التى أطاحت بمرسى .

و يذهب هذا فى وجه الأسطورة الشعبية و انخداع الجماهير بصدد طبيعة ما حصل – أن الجيش ببساطة قد تدخّل تلبية و تحقيقا للإرادة الشعبية المعبّر عنها **عفويّا** ، مثلما يعبّر عنها و يكثّفها موقفك " إلتحق الجيش عندما بات من الواضح أن الجانبين سيقطّعان بعضهما البعض و يحطّمان مصر فى هذه السيرورة ."

ماذا تعنى سلطة الشعب ؟

تتحدّث بفخر عن " سلطة الشعب " . و المسألة الأكثر جوهرية هي " سلطة الشعب " لفعل ماذا ؟ ما هي المصالح التى يخدمها " سلطة الشعب " معينة ؟ هل توجد سلطة الشعب للقتال عن وعي من أجل المصالح الجوهرية و تحرير الشعب أم خدمة قطب رجعي و تعزيزه ؟

و كذلك صحيح أنّها كانت " عملا شعبيّا حقّا شمل فى الأساس كافة المصريين الذين نهضوا فى موجة. واحدة ضد الإخوان المسلمين " لكن ماذا عن أنصار الإخوان – أليسوا مصريين ؟ ماذا عن قتل الجيش الآن لمعارضي الإنقلاب – أليسوا مصريين ؟

مصالح الولايات المتحدة و الجيش المصري :

إنّ الجيش تجسيد مكثّف لإحتكار شرعية القوّة المسلّحة – وهو العامود الأساسي و فارض الدولة الرجعية و الإضطهادية . الدولة المصرية حارسة لحقوق الملكية و الهيكلة الإقتصادية القائمة على الإستغلال و التبعيّة للإمبريالية . و فيما لا يركّز ردّى على رسالتك عليه ، فإنّ عنصرا حيويّا منه كان يتعاون مع إسرائيل لقمع الشعب الفلسطيني بالقوّة – بما فى ذلك فرض الحصار الفظيع على غزّة . و يقف الجيش المصري فى الأساس فى تعارض و تناقض عدائس مع مصالح الشعب . و محاولة القتال من أجل ثورة تحريرية أصيلة تقطع مع الإمبريالية و العلاقات الإضطهادية السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية – و هذا يغدو واضحا بحدّة و خطورة .

هناك تورية تهكّمية ، ففى حين أنّ الملايين – و أنت منهم – يرون بجلاء مصالح الولايات المتحدة على أنّها نقيض جوهريّا لمصالح الشعب المصري و جماهير الشعوب عبر العالم ، فإنّ هذا نوعا ما لا ينطبق على الجيش المصري الذى ينته تاريخيّا ووضعت أسسه الولايات المتحدة – بنسق أكثر من مليار دولار من المساعدات الأمريكية سنويّا (و هذا لا يشمل المساعدات السرّية) ، ما يجعله فى المرتبة الأولى فى حجم المساعدات و فى المرتبة التالية له توجد إسرائيل . و مثلما يمسى واضحا بشكل متصاعد ، فإنّ يد و سيطرة الجيش المدعوم من قبل الولايات المتحدة تتعزّزان .

يتمّ إطلاق الناس لتحقيق أهداف رجعية جدّا – لتقوية جيش مصري رجعي و لإقتراف مجازر ضد أنصار الإخوان المسلمين . هل أنّ تأكيد هذه الحقيقة يعدّ إنكارا لطسلطة الشعب " أم " واسطة " لذلك كما قد يضع ذلك البعض ؟ لا ، إنّه يكشف المضمون الكامن فى هذه " الواسطة " ، مضمون سلطة الشعب ، و من و ما يقود إلى الإطار و الأهداف التى تقود موضوعيّا إلى ذلك – و يبرز بحدّة الحاجة إلى نوع مغاير راديكاليّا من القيادة و الوعي و القيادة الثورية و الشيوعية التى تسترشد بمنهج و أهداف تحرير حقيقي .

ما نحتاج إليه :

و يوصلنا هذا إلى نقطتى الأخيرة .

ما نحتاج إليه هو التقدّم بطريقة أخرى – فى تعارض مع ديناميكية ماك العالم مقابل الجهاد ، التى تهيمن على أنحاء كثيرة من العالم الآن ، بما فيها مصر . لا تفعل النداءات من أجل مجرّد الديمقراطية سوى التوجّه خلفا نحو أحد هذين الخيرين الرجعيين - و أساسا لا تنجو و لا يمكن أن تنجو من الإطار و العقلات الإمبريالية التى تهيمن على مصر .

بفضل مؤلفات بوب أفاكيان يُوجد خيار مختلف راديكالياً – فى إعادة تصوّره للإشتراكية و منهجه و مقاربته العامتين للواقع الإجتماعي و تغييره فى تعارض مع ماك العالم / الجهاد ، ما نحتاج إليه بصورة ماسة هو رفع رؤية الناس نحو هذا العالم الأفضل بكثير الضروري و المرغوب فيه و الممكن التحقيق – و إنطلاقا من ذلك الموقف والإطار من أجل مرحلة جديدة من الثورة الشيوعية ، يحتاج الناس

فى مصر إلى التفاعل معها و الصراع حولها ، و إستيعابها و النضال متسلّحين بها لتشكيل قيادة فى خضمّ النهوض والتمرّد الجماهيريين يمكن أن تقود الملايين على أساس علمي واعي لتحقيق هذا من خلال ثورة حقيقية – ثورة لا تترك الدولة و الجيش الرجعيين و الإقتصاد الإستغلالي و العلاقات الإمبريالية و العلاقات الإجتماعية الإضطهادية دون مساس – بل تعوّضهم بمجتمع إشتراكي حقيقي و إقتصاد و نظام سياسي جديدين بعلاقات إجتماعية تحريرية ، و هدف جميعها بلوغ عالم شيوعي .

هذا ما نحن فى حاجة إليه بصورة ماسّة . و ما لسنا فى حاجة إليه هو الإغتباط الذى يشجّع على الأوهام الخطيرة و يزرعها .

2- إضطرابات فى مصر : أسطورة " سلطة الشعب " والثورة الحقيقية اللازمة.

"الثورة " ، 25 أوت 2013

www.revcom.us/.../turmoil-in-**egypt**-the-myth-of-people-power-and-the-real- revolution-needed-en.html

كلمة للناشر :

فى 14 أوت ، شنّت قوّات الأمن الحكومي المصرية هجوما ضد أنصار محمّد مرسى تسبّب فى حمّام دم . فعدد القتلى جراء هجوم الشرطة و الطائرات المروحية و القنّاصة و الجرّارات قد يناهز 2000 شخص . و قد جرح الآلاف و الجيش يهدّد بالمزيد .

و هذا القمع الخبيث غير عادل تماما و تجب إدانته إدانة صريحة .

مرسى قائد الإخوان المسلمين . و قدوقع إنتخابته رئيسا فى 2012 و سيزيحه الجيش المصري من السلطة فى 3 جويلية 2013 بإنقلاب ساعدت الولايات المتحدة على التخطيط له . و ساندت عديد القوى التقدّمية فى المجتمع المصري تحرّكات الجيش بدعوى أنّ الجيش كان يعمل على الحفاظ على روح إنتفاضة فيفري 2011 التى فرضت بالقوّة نهاية حكم الطاغية حسنى مبارك . كان هذا إنخداع آمل . كان فى الواقع إنقلابا و قد خدم المصالح الأوسع للإمبريالية الأمريكية . و واصلت إدارة أوباما إرسال معوناتها العسكرية لمصر.

و منذ الإنقلاب ، طفق أنصار مرسى ينظّمون إحتجاجات و إعتصامات فى القاهرة و غيرها من المدن المصرية . و تبدو قوات الأمن المصرية الآن متحفّزة للقضاء على جيوب المساندة العديدة للإخوان المسلمين . و يتحرّك الجيش المصري ضد قوّة إضطهادية منافسة و قد تغرق مصر فى حرب أهلية رجعية .

ايدى الإمبريالية الأمريكية متخنة بالدماء . و لا شيء جيّد يمكن أن ينجم عن هذا بالنسبة للغالبية الغالبة من الشعب المصري .

أدناه ، ننشر مقتطفات من محاضرة لريموند لوتا أدخلنا عليها بعض التعديلات ، ألقاها فى مكتبة " كتب ثورية " بنيويورك فى 14 أوت 2013 . و توفّر هذه المقتطفات تحليلا للخلفية ما يحدث فى مصر و توجّه لفهمه – و البديل الثوري الحقيقي .

<u>فيفرى 2011 : إنتفاضة وليست ثورة :</u>

أسقط تمرّد 2010-2011 نظام مبارك و دلّل على أنّه لا وجود لضرورة دائمة للظروف والهياكل الموجودة التى فى ظلّها الغالبية العظمى من الإنسانية تعيش و بسببها تتعذّب . كان أمرا ملهما إلى حدّ كبير للشعوب المضطهَدة و الناس الذين يتطلّعون فى كلّ مكان إلى نهاية الإضطهاد و إلى عالم أفضل . إلاّ أن هذه الإنتفاضة لم تتحوّل إلى ثورة . لقد إضطرّ مبارك للرحيل لكن **نفس القوى الأساسية التى قد حكمت الشعب المصري و إستغلّته ظلّت – و تظلّ – فى السلطة .**

<u>1- و تبقى مصر أسيرة السوق الإمبريالية العالمية :</u>

إنّ الهيكل الإقتصادية المصرية مرتبطة بالرأسمال الأجنبي و القروض العالمية التى تشكّلها و بالإندماج التابع لمصر للإقتصاد العالمي . و الكثير من إستثمارات رأس المال الأجنبي الذى يرد على مصر متركّز فى الخدمات المالية و قطاع الغاز الطبيعي و قطاعات تفرز مواطن شغل قليلة .

لقد شجّعت الدولة المصرية التطوير المربح لقطاعات التصدير لا سيما السلع القطنية . و نجمت عن الهيمنة الأجنبية مضاربة بالأرض مستفحلة و جشعة ؛ و إستثمار منتفخ فى السياحة . و الجيش المصري هو محور كلّ هذا فهو يتحكّم فى 40 بالمائة من الإقتصاد.

و طريق التطوّر هذا برمّته يحوّل مصادر التمويل عن الفلاحة و رغم أنّه لمصر موارد فلاحيّة مميّزة و قدرة على تطوير فلاحة ثابتة ، فهي مرتهنة بالسوق العالمية للتزوّد بالحاجيات الغذائية وهي أكبر مورّد للقمح .

و قد إستفادت فئة قليلة من ثروة مصر بينما إستفحل الفقر و البؤس . و يعيش أربعون بالمائة من سكّان مصر قرب أو تحت مستوى الفقر . فهناك عائلات تعيش على دولارين فى اليوم . و يمثّل الشباب 75 بالمائة من العاطلين عن العمل . و فكّروا فى أنّ 30 بالمائة من المتخرّجين من الجامعات المصرية ليس بوسعهم العثور على شغل .

<u>2- و تظل دولة الإستعمار الجديد المصرية القمعية على حالها :</u>

تمثّل الدولة المصرية الإقتصاد والعلاقات الإجتماعية التى كنت أصف و تعزّزها. إنّها حامية حقوق الملكية و الهيكلة الإقتصادية المعتمدة على الإستغلال و التبعيّة للإمبريالية . و تمثّل هذه الدولة مصالح طبقة حاكمة تقوم على إستغلال الغالبية العظمى من السكّان ، طبقة حاكمة تطوّرت فى علاقة و فى إطار نوع من التطوّر الرأسمالي المرتبط إلى درجة كبيرة بالإمبريالية .

و يخدم الجيش و المؤسسات الإستخباراتية و شرطة النظام العام و الشرطة العادية و المحاكم العليا و البيروقراطية المنشأة فى عهد مبارك ، تخدم مصالح الإمبريالية و دكتاتورية الطبقات المستغِلّة فى

المجتمع المصري . و يركّز الجيش إحتكار القوّة المسلّحة الشرعيّة وهو العماد الأساسي للدولة الرجعية و الإضطهادية .

لزهاء 35 سنة ، كانت الدولة المصرية ، و الجيش قوامها الرئيسي ، حجر الزاوية فى الهيمنة اللإمبريالية الأمريكية على الشرق الأوسط و كانت تتلقّى حوالي 40 مليار دولار كمساعدة عسكرية من الولايات المتحدة . و فتحت مجالها الجوّي أمام الطائرات الأمريكية أثناء حرب الخليج لسنة 1991 و منحت للإمبريالية الغربية بما فى ذلك للإسطول البحري الأمريكي إمكانية عبور قنال السويس بلا عراقيل . و عقب ما سُمّي بإتفاق السلام المصري – الإسرائيلي الذى أُمضي فى 1979 ، صارت مصر شريكا ناشطا لإخضاع للشعب الفلسطيني بالعنف فساعد مبارك فى تشديد الحصار الإسرائيلي للفلسطينيين فى غزّة مانعا وُصول مواد أساسية لهم .

<u>إنقلاب 3 جويلية :</u>

لقد نهضت الولايات المتحدة بدور حيوي و حاسم فى إزاحة الجيش لمُرسى . و هذا لا يعنى أنّ الولايات المتحدة تقف وراء كلّ مسيرة و تحرّك جماهيري . لكنّها كانت القوّة المفتاح التى خطّطت للإنقلاب عاملة من خلال جهازها الدبلوماسي و مستشاري الأمن القومي و الأنظمة الأخرى بالمنطقة و بطبيعة الحال من خلال الجيش المصري .

و مع ذلك ، فى وجه الوقائع التى لا جدال فيها ، ظهرت رواية كبرى عن " سلطة الشعب " . " لم يكن الجيش هو من تولّى السلطة بل تحرّك بإِم الشعب ". و قد إنتشر هذا الإنخداع الكبير وسط الملايين . إنّه إنخداع ب " سلطة الشعب ". كانت المرحلة الأولى هي إزاحة مُبارك تلتها المرحلة الثانية : المطالبة بإنتخابات ثمّ مرحلة ثالثة إزاحة مُرسى .

يجرى مقال جريدة " **الثورة** " على الأنترنت

revcom.us

بعنوان " يمكن لملايين الناس أن يخطؤوا : الإنقلاب فى مصر ليس ثورة شعبية " ، تحليلا هاما بأنّه " لأنّ الجماهير بالملايين تتحرّك [ليس الأمر أنّ] مهما فعلت ينبغى أن يكون صحيحا و سليما و فى النهاية يكون فى مصلحتها . يمكن أن يغتقد الملايين أنّها ثورة شعبية غير أنّ الواقع الموضوعي هو أنّها إنقلاب من تخطيط الجيش و فى خدمته – بمباركة من الولايات المتحدة ...

جماهير الشعب – بما في ذلك بالملايين – يمكن أن تكون و فى هذه الحال هي مضطربة و مضلّلة وهي مخطئة بعمق ".

لقد إستنتجت قطاعات عريضة من الناس ، لا سيما من الشباب المتمدرس و الطبقات الوسطى ، و جلبت إلى التيّار الإيديولوجي أن الخطر الرئيسي على المجتمع المصري و على شعوب العالم منبعه القوى الأصولية الإسلامية . و هكذا يُنظر إلى الجيش حيثما و متى كان يعارض الأصولية الإسلامية على أنّه قوّة إيجابية فى المجتمع . و هذا إنخداع متعمّد . وهو سام . تجرى قيادة الناس لمعانقة برنامج رجعي يعزّز الجيش المصري و للسماح له بقتل أنصار الإخوان المسلمين .

" القطبان اللذان ولّى عهدهما " :

يوفّر تحليل بوب أفاكيان ل " " القطبان اللذان ولّى عهدهما " أداة قويّة و أساسية لفهم هذا النزاع و العمل على تغيير حدود الأشياء . على النطاق العالمي ، تتصادم قوّتان رجعيّتان سياسيّا و إيديولوجيّا و عسكريّا . كلّ منهما يدعو إلى إيديولوجيا إستعبادية ؛ كلّ من هتين القوّتين المتنازعتين يمثّل الوضع السائد . فى **" التقدّم بطريقة أخرى "** حلّل بوب أفاكيان هذه الديناميكية قائلا :

" ما نراه فى نزاع هنا هو الجهاد من جهة و ماك العالمية / ماك الحرب من جهة أخرى و هو نزاع بين شريحة ولّي عهدها تاريخيا ضمن الإنسانية المستعمَرة و المضطهَدة ضد الشريحة الحاكمة التى ولي عهدها تاريخيا ضمن النظام الإمبريالي . و هذان القطبان الرجعيان يعزّزان بعضهما البعض ، حتى و هما يتعارضان . و إذا وقفت إلى جانب أي منهما ، فإنك ستنتهى إلى تعزيزهما معا ".

إنّ النزاع بين هتين القوتين اللتين عفا عليهما الزمن- طرق إضطهادهما فى تنظيم المجتمع و إيديولوجيتهما و برنامجهما الإضطهاديين و ممثّليهما السياسيين – صدع كبير فى الكثير من أنحاء العالم ، و فى المجتمع المصري و هذا مصدر إنشقاقات فى صفوف الطبقات الحاكمة المصرية . و كلّ توجه يغذّي الآخر – جرائم كلّ منهما تدفع الناس إلى أحضانهما . و لا شيء من هذا يخدم المصالح الجوهرية للشعب .

ليس على الإنسانية أن تختار بين هذين الخيارين، هذين اللاحلّين . ما نحتاجه هو التقدّم بطريقة أخرى : فى معارضة و قطيعة مع ديناميكية ماك العالم مقابل الجهاد التى تهيمن على مناطق كثيرة من العالم ، بما فيها مصر .

و ينبغى أن نكون واضحين بشأن ما هي الثورة الحقيقية . إنّها لا تُبقى على الدولة و الجيش الرجعيين و الإقتصاد الإستغلالي و العلاقات الإمبريالية و العلاقات الإجتماعية الإضطهادية دون مساس. لا **!** الثورة تهدف إلى إلحاق الهزيمة و تفكيك الهياكل الإضطهادية و القوّات العسكرية للنظام القديم . و على ذلك الأساس ، تنهض بتركيز سلطة دولة جديدة و مختلفة راديكاليّا و إقتصاد إشتراكي ، بعلاقات إجتماعية تحرّرية و كلّها تهدف إلى خدمة النضال من أجل بلوغ عالم شيوعي دون طبقات - تعاون إنساني عالمي.

و الخلاصة الجديدة للشيوعية التى تقدّم بها بوب أفاكيان تجسّد السبيل **الوحيد** للخروج من جنون العالم الراهن و فظاعاته ، بإتجاه عالم يستحق فعلا أن نعيش فيه . إنّها الخيار العالمي التحريري حقّا من " القطبين اللذين ولّى عهدهما " .

تعالج الشيوعية التى أعيد تصوّرها الحاجيات الفعلية و الحقيقية للغالبية الغالبة من الإنسانية فى العالم . إنّها تناسب الإتجاه الذى يحتاج العالم أن يمضي فيه – و يمكن أن يمضي فيه . و الناس فى حاجة إلى المسك ب **" الشيوعية : بداية مرحلة جديدة . بيان للحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية "** ليتعلّموا الكثير بهذا الشأن .

ضرورة إرساء قطب شيوعي ثوري :

يترتّب رفع نظر الناس نحو هذا العالم الأفضل بكثير . و بُعد حيوي من أبعاد العمل الثوري الحقيقي هو خوض صراع إيديولوجي جاد فى المجتمع – و تغيير تفكير الناس كعنصر مفتاح فى بناء حركة من

أجل الثورة و مراكمة القوى من أجل إنجاز هذه الثورة . و هذا يعنى تحدّى " القطبين اللذين ولّى عهدهما " و ليس التوافق معهما .

• حقيقة لا يمكن أن توجد رأسمالية –" مستنيرة " أو غير " مستنيرة " – لا تستغلّ بخبث الشعب ولا تقود إلى تفقير البيئة و تخريبها .

• و حقيقة الإنتخابات و الديمقراطية البرلمانية و الحقوق الشكلية ضمن الأمم المضطهَدة التى لم تقطع مع الهيمنة الإمبريالية تتماشى تماما مع ممارسة الدكتاتورية ضد الطبقات المستغِلّة .

• و حقيقة لا يمكن أن يوجد إسلام أو مسيحية – " إنسانية " أو غير " إنسانية " – لا تضطهد النساء .

ينبغى على الحركة الثورية أن تتحدّى الناس ليتخلّصوا من عراقيل الدين و الإعتماد على القوى الخارقة للطبيعة و آلهة غير موجودة ؛ و جُملة القيم البطرياركية و الهيمنة و الجهل المفروضين المتغلغلين فى الإيمان و العادات و التقاليد . و كلّ هذا يمنع الناس من فهم عالمهم و يحول بينهم و قدرتهم على تغييره و تغيير أنفسهم .

ينبغى على حركة هدفها الثورة أن تبثّ فى صفوف الشعب الفهم الشيوعي العلمي للعالم و المجتمع و تقاتل من أجله .

و أساس من أسس مسألة تفجير الحصار الذى يضربه هذان " القطبان اللذان ولّى عهدهما " هو تحرير النساء . يتعلّق الأمر بإطلاق العنان لغضب النساء كقوّة جبّارة من أجل الثورة . فالإضطهاد نصف البشرية جذور عميقة فى الضفائر الجوهرية للإضطهاد الطبقي الإجتماعي – و التحرّر من الإضطهاد كمطلب من مطالب النساء لا يمكن بلوغه إلاّ عبر التغيير الإجتماعي الأكثر راديكالية . و إتخاذ هذه المسألة اليوم – بإعتبارها مسألة فى صفوف المستغَلين ذاتهم و كجزء من التشجيع على ثقافة و أخلاق جديدين يمكن أن يلهما الشعب و " يتناسب " معه للقيام بالثورة لتحرير الإنسانية جمعاء – هذا مكوّن أساسي لبناء حركة حقيقية من أجل ثورة على الأصعدة جميعها .

<u>دروس من التاريخ الحديث :</u>

لنجري عمليّة تجريب فكرية . و لنرجع إلى الوراء شريط الأحداث ، إلى 2009 ، قبل التمرّد. لقد كنّا نشاهد الإخوان المسلمين يعارضون مبارك ، و كان لديهم أتباع فى صفوف الفقراء . و كنّا نشاهد أيضا أنّ الأعداد النامية من قوى الطبقة الوسطى كانا مهمّشة فى نظام مبارك لكنّها كانت تبحث عن الإلهام فى الغرب – فى حين كانت القوى البرجوازية – الليبرالية المتنوّعة ذاتها تأتي إلى معارضة نظام مبارك .

و الآن و قد رأينا ما جدّ منذ 2011 ، و كيف أنّ نظرة هذين "القطبين اللذين ولّى عهدهما " و مصالحها الطبقية الممثلين لقوتين تابعتين للإمبريالية متنازعتين و تعزّز إحداهما الأخرى ، قد بلغت حدّ الهيمنة على الحياة السياسية و الإجتماعية - ما الذى كانتا تناديان به ؟ التذيّل لهذه القوّة أو تلك من هتين القوّتين؟ لا ، ما نحتاجه هو تركيز قطب شيوعي حقيقي يمكن أن يشرع فى التأثير فى الملايين .

و الوضع فى مصر اليوم – و فيه قطاعات عريضة من السكّان يتوحّدون حول الجيش الرجعي الذى يمثّل المصالح الإضطهادية للإمبريالية الأمريكية ، و قطاعات أخرى تتوحّد حول الإخوان المسلمين

المتخلّفين الذين يبحثون عن إعادة تنظيم المجتمع وفق الخطوط التيوقراطية – لا يفعل سوى التأكيد على الحاجة إلى هذا القطب .

هناك فعلا **طريق** للتحرّر هو الخلاصة الجديدة للشيوعية . و التحدّي هو المسك بها كحلّ ملحّ و شامل – الآن وسط هذا الوضع الفظيع لهجوم الجيش على الإخوان المسلمين – و جعلها قوّة جذب وصراع شديدين فى المجتمع و فى العالم .

==

3- أحداث ليبيا من منظور تاريخي ... و معمّر القذّافي من منظور طبقي ... و مسألة القيادة من منظور شيوعى .

حوار صحفي أجرته " الثورة " مع ريموند لوتا

www.revcom.us/a/226/Lotta-Interview-on-Libya-en.html

" الثورة " عدد 226 ، 8 مارس 2011

الثورة : نحن نتحدّث فى الوقت الذى يتعرّض فيه التمرّد فى ليبيا إلى قمع وحشي من طرف نظام معمّر القذّافي . فى مصر ، تنحّى مبارك تحت ضغط إنتفاضة جماهيرية و بموافقة بديهية من الجيش. لذا من الأسئلة الكبرى فى أذهان الناس سؤال ما هي أوجه الشبه و أوجه الإختلاف بين ليبيا و مصر .

ريموند لوتا : هذه نقطة إنطلاق هامة للنقاش .إنّ النمرّد فى ليبيا تعبير عن غضب عميق فى المجتمع الليبي . فقطاعات عريضة من المجتمع الليبي و قد ألهمتها الأحداث فى تونس و مصر ، قد نهضت ضد نظام قمعيّ. و هذا التمرّد فى ليبيا جزء من موجة عصيان تشمل الشرق الأوسط الذى تهيمن عليه الإمبريالية .

لكن عندما نقارن الأحداث فى ليبيا بتلك فى مصر ، هناك خلافان كبيران .

أوّلا ، فى ليبيا ، يُوجد وضع حيث المؤمرة الإمبريالية تتداخل مع هبّة جماهيرية مشروعة . وهو ما يجعل الأمور غاية فى التعقيد .

فى مصر ، كانت الإنتفاضة عموما ناجمة عن غضب جماهيري ضد النظام العميل المدعوم من قبل الولايات المتحدة التى كانت لديها قاعدة تعوّل عليها ضمن قيادة الجيش المصري و هياكله العليا . وهذا الجيش قد درّبته الولايات المتحدة و موّلته و جهّزته . و قدمثّل أهمّ مغنم حيوي بالنسبة للولايات المتحدة فى سعيها إلى فرض الإستقرار فى مصر خدمة لمصالحها . و أقصد هنا القدرة على فرض الإستقرار **من داخل** جهاز الدولة القائمة ... من أجل الحفاظ على مصر مجناح مفتاح فى هيمنة الزلايات المتحدة على الشرق الأوسط . و للولايات المتحدة كذلك مصالح إقتصادية واسعة و مباشرة فى مصر .

و الآن ما سيؤول إليه مصير التمرّد هناك لم يتحدّد بعدُ أصلا . الإحتجاجات لا تزال تنفجر ، و الناس يناقشون ما الذى تمّ تحقيقه و ما لم يتحقّق ، و الحراك لم يتوقّف . إلا أنّ ما أقصده هو أنّ للإمبريالية الأمريكية قدرات و مغانم هامة داخل مصر .

و الأمر ليس كذلك فى ليبيا إذ لا وجود لذلك النوع من الجهاز العسكري الذى له مثل هذه الروابط مع الولايات المتحدة . فهيكلة الدولة الليبية – و هنا أتحدّث عن الوزارات و القطاعات المفاتيح للجهاز الأمني – تنقسم على نفسها و تشهد إنشقاقات فى الردّ على التمرّد و الضغوطات الإمبريالية . ولا تملك الولايات المتحدة نفس نوع الممتلكات الإقتصادية الكبيرة فى ليبيا مثلما هو الحال فى مصر .

و هذا الوضع يخلق ضرورة و أيضا فرصة للولايات المتحدة و إمبرياليي أوروبا . إنّهم يجرون إتصالات و يبحثون عن دعم قوى المعارضة فى ليبيا ، التى يمكن أن تشكّل نواة نظام إستعماري جديد كلّيا ... نظام يكون أداة طيّعة أكثر فى خدمة مصالح القوى الإمبريالية الغربية . و لا يمكن إستبعاد ان تكون التحرّكات الإمبريالية قد ساعدت بعض قوى المعارضة منذ البدايات الأولى للتمرّد .

لذلك مثلما قلت ، فى حين أنّهناك نهوض جماهيري حقيقي و مشروع ، هناك أيضا تدخّل عناصر هامّة من المؤامرة الإمبريالية .هناك أشياء نحتاج إلى أن نحلّلها و نفهمها بعمق أكبر .

الثورة : لقد أشرت إلى إختلافين كبيرين .

لوتا : نعم . و الإختلاف الكبير الثاني بين ما يحدث فى ليبيا و الإنتفاضات فى أماكن أخرى من الشرق الأوسط هوالقذّفي عينه .معمّر القذّافي يختلف عن حسنى مبارك .

أعلم أنّ هذا ليس خطّ الرواية الرسمية لقسم الدولة هنا أو للرواية التى تبثّها قناة السي أن أن عن حاكم مجنون وأوتوقراطي... لكن القذّفي كان عمليّا يتمتّع بمساندة شعبية عندما وصل إلى السلطة فى 1969 ، خاصة من طرف قطاعات من الأنتلجنسيا و الحرفيين ومن الطبقات المتوسّطة . كانت لديه قواعد شعبية تساند حكمه لعدّة سنوات .

طوال ثلاثة عقود ، كان القذّافي يعتبر من قبل الكثيريرن داخل ليبيا و خارجها على أنّه شخص يقف من أجل المصالح الوطنية الحقيقية لليبيا ... كشخص وقف ضد الإمبريالية و الإحتلال الإسرائيلي لفلسطين .

والواقع أنّ ... القذّافي كان لعديد السنوات شوكة حقيقية فى حلق الإمبريالية ، لا سيما الإمبريالية الأمريكية . و ينبغى ألاّ ننسى أنّ رونالد ريغان فى 1986 شنّ هجمات بالطائرات و قذف بالقنابل أكبر مدينتين ليبيتين و حاول أن يقتل القذّافي و قتل فعلا واحدة من بناته.

لم يكن القذّافي مثل حسني مبارك خادما مفضوحا للإمبريالية ...رغم أنّ نظامه لم يقطع جوهريّا أو لم يتحدّى جوهريّا الإمبريالية .

الثورة : هذا يجرّنا إلى الحديث عن تاريخ ليبيا و القذّفي . و سيكون من المفيد أن تقدم لنا عرضا لبعض الخلفية التاريخية .

لوتا : حسنا ، لم تكن ليبيا موجودة بالفعل كدولة موحّدة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية . وحصلت على إستقلالها الشكلي فى 1951.

فى أواخر القرن الخامس عشرة ، كانت المناطق الساحلية لما هي اليوم ليبيا تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية التركية . و فى 1910 ، تحرّكت الإمبريالية الإيطالية لتحتلّ أرض ليبيا التى تقع إستراتيجيّا فى شمال أفريقيا وهي تطلّ على البحر الأبيض المتوسّط. و لمّا تقدذمت إيطاليا من طاولة الوليمة

الإمبريالية ، وجدت أنّ قوى إستعمارية أخرى قد فرضت بعدُ حضورها فى المنطقة . فبريطانيا كانت تحكم مصر و كانالفرنسيون قد إحتلّوا الجزائر. و إستعملت إيطاليا بين 1911 و 1943 وسائلا وحشية لتعزّز حكمها فى ليبيا . و يصف المؤرّخ غبد اللطيف أحميدة ذلك على أنّه أحد أكثر العمليّات الإستعمارية وحشيّة فى القرن العشرين .

و كانت إيطاليا على الجانب الخاسر فى الحرب العالمية الثانية و عقب هذه الحرب ، وضعت الولايات المتحدة و بريطانيا ثقلهما خلف نظام ملكي دستوري موالي للغرب فى ليبيا و ركّزت على رأسه الملك إدريس الذى سمح للولايات المتحدة بأن تقيم قاعدة ويلوس الجوّية ما مثّل أحد أكبر الخدمات العسكرية ما وراء البحار بالنسبة للولايات المتحدة ... و إستغلّت القاعدة للتدريب العسكري و لتجربة الصواريخ و فى مهام قتال و تعرّف .

<u>الثورة</u> : و طبعا ، كانت ليبيا منتجا هاما للبترول .

<u>لوتا</u> : عمليّا ، فقط فى 1959 ثمّ إكتشاف المدخرات الضخمة من البترول فى ليبيا . و تحركت الشركات الإمبريالية و الأوروبية فى زمن قياسي لتركيز عمليّات الإنتاج . و سرعان ما نمى القطاع البنكي خاصة إثر الإنتهاء من أشغال خطوط أنابيب نفطية تبلغ البحر الأبيض المتوسّط . و كانت مداخيل النفط مرتفعة فى ستينات القرن العشرين بيد أنّ الشركات النفطية الغربية كانت تنال حصّة الأسد من الأرباح . و ما كانت تدرّه الثروة النفطيّة على ليبيا كان يقع فى قبضة فئة صغيرة من التجّار و البنكيين و المضاربين .

و ظلّ الفقر منتشرا . و كانت إمكانيّات نموّ طبقة وسطى جديدة فى علاقة بالإقتصاد النفطي محدودة . و من ثمّة ، كان حقد الجماهير على نظام إدريس الملكي يتفاقم .

ثمّ هناك تأثير الأحداث فى المنطقة و عالميّا . ففى 1967 ، هاجمت إسرائيل مصر و سوؤيا بدعم من الولايات المتحدة . و فى ليبيا نظّم الطلبة و المثقّفون و العمّال تحرّكات و إضرابات جماهيرية . و وجدت أيضا إحتجاجات ضد حرب الولايات المتحدة فى الفتنام . و إنتشر عدم الإستقرارفى وجه التبعية الكلّية للحكومة الليبية للغرب.

و فى ستينات القرن العشرين ، كانت موجة نضالات التحرّر الوطني – فى آسيا و أمريكا اللاتينية و أفريقيا – تدقّ الإمبريالية و تهزّ النظام العالمي . و دفع هذا تماما مئات الملايين حول العالم لينهضوا و يقاوموا . فى ذلك الزمن كانت روح قومية جديدة تجلجل ، فى ذلك الزمن ، إنغمست أفكار الوحدة العربية ضد الإمبريالية . و فى ذلك الزمن ، كانت الصين الثورية تأثّر فى قوى إجتماعية كثيرة و كانت الماركسية – اللينينية جزء هاما من الخطاب الإيديولوجي المنتشر . فوفّر واقع وجود الولايات المتحدة فى هذا النوع من الحصار ، فرصا لعديد القوى الطبقية المتنوّعة التى أخضعتها الإمبريالية حيث رأت إمكانيات جديدة .

<u>الثورة</u> : إذن كانهذا الوضع يوفّر إطارا لمرحلة القذّافي .

<u>لوتا</u> : أجل ، كانالقذّافي ضمن مجموعة من ضبّاط الجيش الشباب المتأثرين بالأفكار القومية العربية و الأفكار الإجتماعية الإصلاحية لجمال عبد الناصر ، قائد مصر . و القذّافي ينحدر من قبيلة صحراوية فقيرة و كان الضبّاط الآخرون الراديكاليون فكريّا ينحدرون من خلفيّات الطبقات الدنيا . وكان الجيش واحدة من مؤسسات المجتمع الليبي القليلة التى كانت تسمح لهم لفرص التدرّب و الإرتقاء.

و هؤلاء الضبّاط العسكريين الشباب أغضبهم الفساد و ذلّ النظام الحاكم . و إعتبروا أنفسهم حاملي مشروع ليبيا الجديدة . و فى 1969 ، نظّموا إنقلابا ضد الملك و شكّلوا حكومة جديدة من صلب ما أطلقوا عليه مجلس القيادة الثورية .

الثورة : هل تستطيع أن تخبرنا بالمزيد عن برنامج القذّافي ؟

لوتا : حاجج القذّافي بأنّ السيادة الوطنية الليبية قد وقع بيعها وأنّ الرأسمال الأجنبي قد سُمح له بأن يتحكّم فى الشعب الليبي . و إتّهم النظام القديم بتبذير المصادر النفطية الليبية و القيام بالقليل للتخفيف من عذابات الشعب الليبي .

وقد فرض على الولايات المتحدة أن تسرّع فى جدولها الزمني لغلق قاعدة ويلوس الجوّية . و تحرّك ليأمّم البنوك . و جعل من الحكومة المساهم الأكبر فى الصناعة النفطية . و وعد بتطوير الزراعة و الصناعة و وجّه بعض الموارد لهذين القطاعين . و سنّ برامجا إجتماعيّة فى سبعينات القرن العشرين أدّت فى العشرين سنة التالية إلى تحسينات حقيقية فى تمدرس الجماهير و أمل الحياة و السكن . و تمتّعت هذه الأعمال و السياسات بمساندة شعبية .

لكن بالنسبة لخطاب القذّافي المناهض للإمبريالية ، فـإنّ المشروع برمّته نهض على الحفاظ على الإقتصاد الليبي المرتكز على النفط و توسيعه . لقد نهض على الإندماج المستمرّ لليبيا فى النظام الرأسمالي العالمي ... و تقسيمه للعمل و علاقات الإستغلال العالمية .

لقد عوّل القذّافي تعويلا كبيرا على أوروبا الغربية كسوق للنفط الليبي . و وظّف مداخيل النفط لإقتناء طائرات نفّاثة فرنسية و جلب الرأسمال الألماني إلى ليبيا ، و صار حتى من أكبر المستثمرين الكبار فى أكبر شركة صناعة سيّارات إيطالية . و إيطاليا ، القوّة المستعمِرة القديمة ، سُمح لها بمواصلة عمليّاتها فى ليبيا .

الثورة : لقد ركّزت على القاعدة الإقتصادية لبرنامج القذّافي ، لكن ماذا عن الأبعاد الأخرى لما كان يقوم به ؟

لوتا : سخّر القذّافي المداخيل النفطية لإعادة هيكلة المجتمع . كان يخلق نظام رعاية إجتماعية بمظاهره السياسية الخاصّة . و أرسى " اللجان الشعبية " على المستوى المحلّي من أجل توسيع دعمه السياسي و لإعادة توجيه الولاءات القبلية نحو النظام المركزي . و فى نفس الوقت ، حظر النقابات و التنظيم السياسي المستقلّ و كمّم النقد الصحفي للنظام .

و وظّف العائدات النفطية لبناء جهاز أمني و عسكري واسع النطاق ... بهدف إخضاع أية معارضة داخلية للنظام و أيضا لبثّ فكرة أنذ ليبيا نموذج و قوّة فى المنطقة ، فى الشرق الأوسط و أفريقيا .

و إيديولوجيّا ، مزج نظام القذذافي نظام الرعاية الإجتماعية و القومية العربية مع قيم متخلّفة . فقد جعل الإسلام الدين الرسمي . تحصّلت النساء على فرص أوفر من ذى قبل إلاّ أنّ الشريعة البطرياركية [الذكورية] إعتمدت كأساس للضوابط القانونية – الإجتماعية . وكان القذّافي من أشدّ المعادين للشيوعية ...و إدّعى أنّه وجد طريقا ثالثا بين الرأسمالية والشيوعية .

و الواقع أنّ القذّافي كان يُنشأ رأسمالية دولة ... تقوم على العائدات النفطية و تدين بالفضل للإمبريالية العالمية من أجل الأسواق و التكنولوجيا و النقل و إستثمار رأس المال .

الثورة : إنّك تقول إنّه لم يوجد أي شيء جذري فى الأصل فى هذا المشروع .

لوتا : كان القذّافي يغيّر الأشياء بيد أنّه كان يفعل ذلك ضمن الإطار القائم للهيمنة الإمبريالية ، و علاقات الملكية الرأسمالية و شبكة معقّدة من الولاءات القبلية و الإنقسامات الجهوية .

لم يود أي شيء تغييري حقّا بمعنى حصول الجماهير على نوع من القيادة و سلطة الدولة السياسية المختلفة جذريّا يمكن أن تخوّل لها أن تعيد تشكيل الإقتصاد و المجتمع بإتجاه تحريري حقّا .

لبوب أفاكيان هذه الصيغة الثاقبة حول الخيارات الثلاثة " فى العالم . و هنا أنا أستذكر كلماته وهو فى الأساس يقول التالي ذكره : الخيار الأوّل هو الإبقاء على العالم كما هو ... وهو أمر غير مقبول بتاتا . أو يمكن إدخال بعض التحسينات عليه فى توزيع الثروة و فى أشكال الحكم ، مع ترك علاقات الإنتاج الإستغلالية و العلاقات الإجتماعية الإضطهادية الأساسية فى المجتمع و العالم أساسا دون مساس و هذا هو الخيار الثاني .

أو ، و هذا هوالخيار الثالث ، يمكن أن ننجز ثورة حقيقية ، ثورة تهدف إلى تغيير كافة العلاقات الإستغلالية ، و كافة المؤسسات الإضطهادية و كافة التسويات الإجتماعية الإضطهادية و كافة الأفكار و القيم الإستعبادية ... ثورة لتجاوز تقسيم المجتمع الإنساني ذاته إلى طبقات . و هذا الخيار الثالث هو الثورة البروليتارية العالمية لبلوغ الشيوعية .

ينسجم برنامج القذّفي و نموذجه الإجتماعي و الإقتصادي مع الخيار الثاني الى يغيّر شيئا من مظاهر الوضع السائد بيد أنّه يبقى على الجوهر الإضطهادي لذات النظام الإجتماعي السائد .

الثورة : ما يطفح من الصورة العامة للقذّافي و من الإتهام الذى يوجّه له هو أنّه " رجل قويّ " بلا رحمة .

لوتا : تعلمون أنّهذا المفهوم عن " الرجل القويّ" مثل " الرجل من القشّ " . إنّه مفهوم يحجب **الجوهر الطبقي** للأشياء . هذا ما تسمح لنا الماركسية بفهمه .

أنظروا ،جميع المجتمعات فى هذه المرحلة من التاريخ الإنساني منقسمة إلى طبقات . و القادة لا يسبحون فى بعض الأثير . إنّهم يركّزون نظرة ومناهج و طموحات طبقات مختلفة . القذّافي و أولئك الضبّاط العسكريين الذين إستولوا على السلطة فى 1969 ، وهو ما تحدّثت عنه ستبقا ، ... يمثّلون و يركّزون نظرة **قطاع راديكالي من البرجوازية الصغيرة و البرجوازية الوطنية لأمّة تضطهدها الإمبريالية** .

لقد شعروا بالإحباط جراء القهر الإمبريالي . و من وجهة نظرهم الطبقية ، المشكل كما يرونه كان أن ليبيا كانت تقوم بصفقة سيّئة. لقد أرادوا أن يجعلوا آليّات السوق التى تستند على الإستغلال و إنتاج الربح " تعمل " لفائدة الأمّة برمّتها . لقد كان لديهم وهم أنّهم سيقدرون على إنتزاع تنازلات من الإمبريالية ... وعلى إجبار الإمبريالية على أن تتفق معهم . لكن الواقع هو أنّ هذه الرأسمالية العالمية تسير وفق منطق محدّد و تفرض ضوابطها على المجتمعات و الإقتصادات .

كانت هذه القوى البرجوازية تتكلّم بإسم الأمّة بأسرها . كانت ترى مصالحها متماهية مع مصالح كافة الطبقات فى الأمّة بيد أنّه صلب الأمّة هناك طبقات مهيمنة و أخرى مهيمن عليها .

و من الشعارات التى رفعها القذّافي و أعتقد أنّ وضعها فى ما يسمّى ب" الكتاب الأخضر " ، شعار " شركاء لا أجراء " . و بكلمات أخرى ، لدينا هنا نظام يقوم على الربح و الإندماج ضمن الأسواق الرأسمالية العالمية لكن بطريقة ما يمكنكم جعل جميع الأشخاص " " شركاء " متساوين . كانهذا خطابا شعبويّا وواهما على حدّ سواء.

الأجراء أو البروليتاريون لا يملكون وسائل الإنتاج . و من أجل البقاء على قيد الحياة ، يجب أن يبيعوا قدرتهم على العمل للذين يتحكّمون فى وسائل الإنتاج أي الرأسماليون . و الطبقة الرأسمالية تستغلّ العمّال فى سيرورة الإنتاج للحصول على الفائدة و لمواصلة الحصول على الفائدة على نطاق أوسع فأوسع أبدا .

و عندما لا تستطيع إستخراج أرباح كافية ، تطرد الأجراء . الشرط الأساسي للعمل المأجور هو الهيمنة عليه من قبل رأس المال و تبعيّته للمراكمة الرأسمالية . هناك تناقض عدائي بين العمّال و الرأسماليين .

فى ليبيا ، العمل المأجور أساس من أسس الإقتصاد . و اليوم هناك نسبة بطالة فى ليبيا تساوي 20 بالمائة . و الحقيقة هي أنّ الأجراء ليس بوسعهم أن يكونوا " شركاء " رأس المال . و سياسيّا و إيديولوجيّا ، هذه القوى البرجوازية الطموحة كانت تخشى الجماهير القاعدية ... كات تخشى أن تتجاوز الجماهير إصلاحيّتها المتمثّلة فى برنامج عقد صفقة مع الإمبريالية .

والنقطة التى أودّ أن أوضّحها هي أنّه مهما كانت تقلّبات القذافي تبدو جنونية ... إن أردنا فهم برنامجه ، وجب علينا أن نحلّل المصالح الطبقية و النظرة التى يمثّلها و كيف أنّ هذه المصالح كانت تتداخل مع الوضع العالمي . أقصد ، يمكننا أن ننعت باراك أوباما ب " الهادئ " و " الحريص " أو بما نشاء بيد أنّ ما هو عليه ، ما يمثّله و يركّزه هي المصالح الإستغلالية و الإجرامية للإمبرياطورية و نظرة الطبقة الحاكمة الإمبريالية للعالم .

الثورة : لقد ظلّ القذّافي فى الحكم مدّة طويلة و كان يتمتّع بهذه الإعتمادات الراديكالية .

لوتا : نعم ، حين عزّز القذّافي السلطة فى بدايات سبعينات القرن العشرين ، كان لدى النظام بعض الأشياء فى السياسة العالمية و فى الإقتصاد العالمي تخدمه . قبل كلّ شيئ ، كانت الولايات المتحدة تواجه هزيمة فى الفتنام و كانت قوّتها الإقتصادية تشهد تراجعا ما نجم عنه بعض المساحات.

ثانيا ، كان الإتحاد السوفياتي يتحدّى الولايات المتحدة عالميّا . و كان حينذاك يدّعي أنّه بلد إشتراكي . لكن الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي أطاحت بها الطبقة الرأسمالية الجديدة فى أواسط خمسينات القرن العشرين .وصار الإتحاد السوفياتي قوّة إمبريالية – إشتراكية . و فى أواسط سبعينات القرن العشرين ، كان يصارع من أجل التأثير و السيطرة على أماكن مختلفة من العالم . و جزء من إستراتيجيته الشاملة كان بناء أنظمة عميلة له فى مناطق مفاتيح من ما يسمّى بالعالم الثالث فشرع فى توفير المساعدة الإقتصادية و الدعم الدبلوماسي لأنظمة مثل النظام الذى كان القذّافي على رأسه و إبرام الإتفاقيات النفطية معهم ...و أضحى السوفيات المزوّد الأهمّ لليبيا بالأسلحة .

و العامل الثالث هو أنّه فى أواخر ستينات القرن العشرين و سبعيناته ، كانت الصناعة النفطية العالمية تشهد تغيّرات . و كانت الشركات النفطية الكبرى تدخل فى تسويات مع المنتجين للنفط فى العالم الثالث . و قد سُمح للتحكّم الرسمي فى الإنتاج بأن يمرّ إلى أيدى حكومات العالم الثالث و شركاتها النفطية التابعة للدولة . و مورست الهيمنة الإمبريالية من خلال التحكّم فى تكرير النفط و التسويق و التكنولوجيا و التمويل . و عندها كان للبلدان المنتجة مجال تحكّم أكبر فى ما يتعلّق بالإنتاج...مثلا تجمعات الشركات المنتجة الكبرى [الكارتالات] و منظّمة الأوبيك . و فى سبعينات القرن العشرين ، كان سعر النفط يرتفع . فلعبت هذه التطوّرات لفائدة القذّافي .

<u>الثورة</u> : إذن خوّل كلذ هذا للقذّفي بعض مجال المناورة الإقتصادية و السياسية .

<u>لوتا</u> : أجل ، لكن لفعل ماذا ؟ أنظروا ، لم تكن القوى البرجوازية الوطنية مثل القذّافي تنوى و ليس بوسعها أن تقود الجماهير لتقطع مع الإمبريالية و لتنجز ثورة إجتماعية تحريرية . و مثلما قلت ن لقد تململت جراء نير الإمبريالية إلاّ أنّها أيضا كانت تخشى الجماهير . و من جديد ، لهذا صلة بالطبيعة الطبقية لهؤلاء الحكّام : لقد أخضعتهم العلاقات الإمبريالية لكنّهم لم يروا أبعد من عالم فيه يتحكّمون **<u>هم أنفسهم</u>** فى العلاقات الإستغلالية ... عوضا عن عالم يلغى فيه الإستغلال .

و هكذا لدينا هنا القذّافي ...ضامنا سلطة حكمه ...سلطة يديرها و يتعاطى مع الإمبريالية ... و يبحث عن تعصير إقتصاد نفطي مرتبط بضوابط الإنتاج الرأسمالي العالمي . فأزيد من 95 بالمائة من صادرات ليبيا النفطية كانت تنبع من النفط و فى عقد 1973 – 1983 ، أمست ليبيا أحد أكبر ثلاثة مستوردين للسلاح فى العالم الثالث . كان هذا تطوّرا مشوّها و تابعا .

و مع مضيّ الوقت ، تحوّلت هذه القوى البرجوازية الوطنية إلى لبّ فئة برجوازية حاكمة إستغلالية معتمدة على الإمبريالية ومرتبطة بها .

و على الساحة العالمية ، نقذ القذّافي الأنظمة العربية المحافظة و قدّم نفسه على أنّه البطل الحقيقي لحقوق الشعب الفلسطيني . و أدلى بتصريحات مساندة لتحرّر أفريقيا . فمثّل ذلك جزء من شعبيته .

<u>الثورة</u> : فى ثمانينات القرن العشرين ، قدّم الإمبرياليون الأمريكان القذّفي على أنّه شيطان و حاكم مسعور .

<u>لوتا</u> : أجل ، لكن لا علاقة لهذا بقمعية نظام القذّافي أو بأسلوبه فى الحكم . أقصد كانت الولايات المتحدة تشجّع أنظمة عميلة قمعية و " رجال أقوياء طغاة " فى أمريكا الجنوبية – و تجاوزاتهم لحقوق الإنسان جعلت القذّافي يبدو معتدلا بإيجابية مقارنة بهم . مشكل الإمبرياليين الأمريكان مع القذّافي كان هلاقاته الوثيقة مع الكتلة السوفياتية . مشكلهم كان إصراره على دعم حركات و مجموعات راديكالية يمكن أن تفيد الكتلة السوفياتية فى زمن كان فيه النزاع بين الكتلتين المترأستين من الولايات المتحدة من جهة و الإتحاد السوفياتي من جهة أخرى يتّجه نحو صدام عسكري شامل .

و فى ثمانينات القرن العشرين ، صعّدت الولايات المتحدة من حملة شيطنة القذّافي . و كان ريغن وراء قتال مع طائرات ليبية سوفياتية الصنع على السواحل الليبية و شنّ هجوما عسكريّا على ليبيا أشرت إليه سابقا .لقد قرّرت الولايات المتحدة أن تحاصر النظام الليبي بعقوبات إقتصادية و ضغوطات دبلوماسية . و علّقت الشركات النفطية الأمريكية عمليّاتها بليبيا .

كانت ليبيا ، كما أشرت إلى ذلك ، من أهمّ المزوّدين بالطاقة لأوروبا الغربية . و مثّل ذلك مصدر نزاع بين الولايات المتحدة و إمبرياليي أوروبا الغربية . و أعتقد أنّه هناك دليل قويّ على أنّ هجمات ريغن العسكرية على ليبيا كانت تهدف أيضا إلى تقريب الإمبرياليين الأوروبيين الغربيين من خطّه ، فى وقت كانت فيه المواجهة مع الكتلة الإمبريالية الإشتراكية تتصاعد .

و تحت الضغط الأمريكي ، فرضت الأمم المتحدة عقوبات على ليبيا . و هذه التحرّكات الهادفة لعزل ليبيا بدأت خنق الإقتصاد الليبي و إنهيارات أسعار النفط العالمية بين الفينة و الأخرى ألحقت الأذى بالإقتصاد كذلك. و بالفعل كانت الصناعة النفطية الليبية فى حاجة إلى التحديث و إلى إستثمارات جديدة .

ثمّ فى 1989-1991 ، إنهار الإتحاد السوفياتي و كتلته . فكان ذلك منعرجا نوعيّا فى العلاقات العالمية ما وجّه ضربة كبرى لمشروع القذّفي إذ لم يعد يتمتّع بمساندة تلط القوّة العظمى . ومنحت نهاية الإتحاد السوفياتي مساحات حرّية جديدة للولايات المتحدة التى تحرّكت لتستغلّ هذا الوضع فى الشرق الأوسط و أنحاء أخرى من العالم الثالث.

و فى هذا الوضع المتغيّر، أخذ القذّافي يبحث عن علاقات أمتن مع الإمبرياليين الأوروبيين الغربيين . و مع نهاية تسعينات القرن العشرين ، أعيدت العلاقات مع بريطانيا العظمى . و سمح لإيطاليا بتأثير أكبر على قطاعات النفط و الغاز الطبيعي الليبيين .

الثورة : يبدو أنّ غزو الولايات المتحدة للعراق فى 2003 مثّل نقطة منعرجا أخرى .

لوتا : أعتقد أنّ هذا صحيح . فقد مارس ضغطا أكبر على القذّفي – هل ستكون ليبيا هي التالية ؟ و كان القذّفي يخشى أيضا تحدّى الأصولية الإسلامية لحكمه . لذلك شرع فى القيام بإنفتاحات على الولايات المتحدة . و عقب أحداث التاسع من سبتمبر ، طفق نظام القذّافي يتقاسم مع الولايات المتحدة المعلومات الإستخباراتية عن القوى من قبيل القاعدة ، و أعلن فى 2004 أنّه يتخلّى عن برامج متنوّعة نووية و عن أسلحة أخرى . و محت الولايات المتحدة ليبيا من قائمتها ل " الدول الإرهابية " . و غدا القذافي حليفا له قيمته فى حرب الولايات الولايات المتحدة ضد الإرهاب و أعطى بوش الضوء الأخضر للشركات النفطية الأمريكية لإمضاء عقود جديدة مع ليبيا . و طفق القذّافي يخوصص بعض القطاعات الصناعية . و علينا أننقول إنّ القذّافي لا يستطيع أن يحبس نفسه فى مناوشات مع الإمبرياليين . و فى السنة الماضية أمضى إتفاقا مع إيطاليا لقطع طرق عبور المهاجرين الأفارقة الذين لا يمتلكون أوراقا و القاصدين أوروبا عبر ليبيا . كان ذلك أمرا بشعا . فقد طلب المليارات لتمويل حراسة الحدود ... و أصدر تحذيرات عنصرية بأنّ أوروبا ستصبح " سوداء " إن لم تتخذ إجراءات صارمة لإعادة المهاجرين الأفارقة من حيث جاؤوا .

كان هذا هو القذّافي " الذى ردّ له الإعتبار " و قد إلتقى إبنه بهيلاري كلينتون ... كان هذا هو القذّافي الذى قبل منه معهد لندن للإقتصاد تبرّعات سخيّة ... القذّافي الذي يبيع إليه البريطانيّون الأسلحة الآن . وجد الإمبرياليون القذّافي مفيدا و " صالحا للعمل " .

و كما تعلمون فى بدايات فيفري 2011 ، أصدر صندوق النقد الدولي تقريرا حول الإقتصاد الليبي يمدح فيه حكومة القذّافي و " أجندتها الإصلاحية الطموحة " و" إنجازاتها القويّةعلى النطاق الإقتصادي العام "

(حسب ما ورد فى التقرير) . و " شجّع " السلطات على الحفاظ على هذا الطريق الواعد . أي مدح أعلى من مدح صندوق النقد الدولي !

لكن الآن ، عندما يناسبهم الأمر أكثر ، و هو منهم وقاحة حقّا ... عندما يكونبمقدورهم أن يستعملوا الغضب الجماهيري لتركيز نظام " أكثر صلوحية للعمل " يعود الإمبرياليون إلى رواياتهم الأساسية عن " جنون القذّافي " و " القّافي الرجل القوي ".

<u>الثورة</u> : لذا لنمضى بالنقاش إلى بعض ما يحدث فى ليبيا فى الوقت الحاضر و بعض القضايا و التحدّيات الأكبر المطروحة .

<u>لوتا</u> : حسنا ، لقد ركّزت كثيرا على الطبيعة الطبقية للقذّافي و على الطابع الإقتصادي – الإجتماعي لتطوّر النموذج الذى كان يطبّقه . و هذا هام لفهم كيف تسير الأمور و كيف أنّ أعدادا متنامية من الناس تحوّلوا إلى مناهضة القذّافي و نموذجه .

طوال العقد المنقضي ، كانت الثروة النفطية و الممتلكات المأمّمة مجالا لمجموعة تضيق أكثر فأكثر ، بما فيها العائلة الواسعة للقذّافي ... و قدر كبير من هذه الثروة يستثمر فى الخارج .

لم يكن النظام يحتمل أي نقد موجّه له. و غدت الصنصرة الواسعة النطاق لا تحتمل بصورة متصاعدة فى زمن كان الناس يبحثون فيه عنمنافذ للتعبير . كان يقع إيقاف المارضين . و كان هناك ضمأ للحياة السياسية خارج الهياكل الرسمية . ما سمّي ب " اللجان الشعبية " فقدت ثقة الناس فيها بشكل واسع ، إذ اضحت سلاحا لنظام حماية و أدوات شبكة مراقبة . كان هناك تعطّش للتنوّع الثقافي - إلى المدّة الأخيرة، لم تكن اللغات الأجنبية تدرّس فى المعاهد . و قد تراجعت الرعاية الصحّية حديثا . و تصاعدت نسبة البطالة .

وكان ردّ القذّافي المزيد من القمع ...فيما بحث عن تنشيط الإقتصاد بضخّ الرأسمال الغربي . و من التناقضات الظاهرية فى السنوات الأخيرة أنّه لمّا وقع رفع العقوبات وتخفيف الحصار ، لم تجد نداءات القذّافي القومية و المناهضة للإمبريالية ذات الصدى السابق . لقد ذهب " ألقه " النضالي ... و كان الولاء الذى تمتّع به فى السابق يتلاشي.

<u>الثورة</u> : ثمّ أشعلت الإنتفاضات فى تونس و مصر الفتيل .

<u>لوتا</u> : و نحن بصدد هذا الحوار الصحفي ، الوضع فى ليبيا غامض و دامي . فقد أعلن القذّافي عن نيّته القتال إلى النهاية للتمسّك بالسلطة . و بالضبط الآن ، تسيطر الحكومة المركزية على طرابلس و المناطق الغربية من البلاد فى حين أنّ قوات المعارضة تمسك بالشرق بأيديها . و تحوّلت عدد من الوزراء و الوجوه العسكرية إلى المعارضة و صاروا ضمن نواة حكومة أخرى آخذة فى التشكّل.

و كانبعض المنتمين إلى " مجلس الحكومة الوطنية المؤقتة " بنادون بضربات جوّية غربية لمساعدهم . و هذا مطلب رجعي يمثّل موقفا واهيا مواليا للإمبريالية .وهو لا يخدم مصالح الشعب الليبي الذى طالما عانى من الهيمنة الإمبريالية .

و ما يجب تذكّره هو أنّ هذا هو أوّل تمرّد فى المنطقة أوقف ضخّ النفط . فلليبيا أوسع الموارد النفطية المثبتة فى أي بلد أفريقي ،و ليبيا تزوّد أوروبا بقسط هام من حاجياتها النفطية . لذا يعدّ هذا بدروه من

عوامل التأثير فى الحسابات الإمبريالية. و الآن يستغلّ الإمبرياليون تعلّة " المشاغل الإنسانية" كإسفين إيديولوجي لتدخّل عسكري ممكن .

الثورة : و هذا يبيّن الطابع المعقّد لما يحدث .

لوتا : أجل ، من الأشياء التى نشدّد عليها هنا عند النظر فى الوضع فى ليبيا و الصراع المستمرّ فى مصر ، هي أنّ مفهوم الحركات " دون قيادة "... مفهوم غير صحيح و مؤذى للغاية . و الكثير من الناس التقدّميين و ذوى الأفكار الراديكالية يريدون أن يفكّروا أنّه يمكنهم التخلّص من القيادة . لكت القيادة تمارس فى المجتمع و فى العالم و تمارس عليهم هم أيضا .

فى ليبيا و كذلك فى مصر ، وجدت قوى طبقية و إجتماعية متباينة فى الساحة . و قد جلبت معها مصالحها و رؤيتها إلى المعركة ... و تنافست قوى متنوّعة من أجل القيادة و بحثت و تبحث عن دفع هذه الحركات فى إتجاهات معيّنة .

هناك محامون يتجمّعون شرقي ليبيا و يرغبون فى إعادة تركيز الدستور القديم لسنة 1952 الذى إستعمل لتفكيك نظام سياسي إجتماعي حينها . و نزل الأطبّاء و الأساتذة الجامعيون و الطلبة و الشباب الساخط و العمّال إلى الشوارع ... إنهم جزء من دائرة ممتدّة فيها قادة قبليين رجعيين و وزراء سابقين و عقداء يتصيّدون الموقع و القيادة . و هناك بعض الناس الذين يحاولون أن يعيدوا الأوضاع القديمة . و هناك شباب يرفع شعار "لا للقبلية ، لا للتكتّلات " . و ضمن هذه الدائرة يتآمر الإمبرياليون .

تتقدّم قوى طبقية مختلفة بقيادة و برنامج و أجندات تتناسب و مصالحها . و تبحث فئات مختلفة من المجتمع عن القيادة .

ما أحاول قوله هو أنّ المسألة ليست مسألة قيادة أو لا قيادة . لاَ ، المسألة هي ما هونوع القيادة ؟ فى خدمة أي أهداف ؟ مستعملين أي مناهج لبلوغ هذه الأهداف ؟ و حيث لمتوجد قيادة ثورية و شيوعية حقيقية ، قد بيّن التاريخ مرارا و تكرارا أنّ الجماهير تمنى بالخسارة ... الناس الأكثر إضطهادا و إستغلالا مريرا و الذين يصبون إلى تغيير جوهري و يحتاجونه بالصفة الأكثر يأسا ... يتمّ التخلّى عنهم و تقع خيانتهم.

فى بيانه الحديث عن مصر ،تحدّث بوب أفاكيان عن هذه القضايا بقوّة شديدة و أرغب فى أن أقرا مقتطفات من ذلك البيان :

" عندما تكسر ملايين الجماهير الشعبية فى الأخير القيود التي حالت دون تمرّدها ضد مضطهِدِيها و مصادر عذابها ، عندئذ **ترتهن** نتيجة أن يؤدّى أو لا يؤّدى نضالها و تضحياتها فعلا إلى تغيير جوهري ، و أن تمضي أم لا نحو القضاء على كافة أشكال الإستغلال و الإضطهاد ، **ترتهن بوجود أو عدم وجود قيادة ، قيادة شيوعية** تمتلك الفهم العلمي الضروري و على ذلك الأساس تستطيع أن تطوّر المقاربة الإستراتيجية و التأثير المطلوبين و أن تنظّم العلاقات ضمن الأعداد المتزايدة من الجماهير الشعبية المنتفضة من أجل قيادة الإنتفاضة الشعبية عبر المنعرجات و الإلتواءات ، بإتجاه هدف التغيير الثوري الحقيقي للمجتمع بما يتوافق مع المصالح الجوهرية للشعب."

و هذا يجرّنا إلى العودة إلى القضايا الطبقية ، إلى القيام بنوع الثورة التى تحرّر حقّا الإنسانية قاطبة ... و ما يستدعي التقدّم بالقطاعات الأساسية من الشعب كحجر أساس و قوّة محرّكة للتغيير الثوري و كمحرّرين واعين للإنسانية قاطبة . إنّه يستدعي قيادة قادرة على القيام بذلك.

و هكذا ثمّة دروس هامة تُستخلص من ما يجدّ . ثمّة تحدّيات كبرى علينا رفعها . و مثلما شدّد على ذلك بوب أفاكيان ، المستقبل لم يُكتب بعدُ.

4- سقوط نظام القذّافي فى ليبيا ... و دور الولايات المتحدة و الناتو فى ذلك .

مقال للاري افراست ، نُشر يوم الخميس 25 أوت 2011 على موقع :

www.revcom.us/a/244/fall-of-qaddafi-and-hand-of-us-nato-en.html

يبدو أنّ حكم معمّر القذّافي طوال 42 سنة للبيا ، بلد من بلدان شمال أفريقيا ، قد بلغ نهايته. فقد غزى المقاتلون المناهضون للقذّافي العاصمة طرابلس – أهمّ حصن لدي القذّافي و فى نهاية أسبوع 20-21 أوت و يوم الإثنين 22 أوت كانوا قد إستولوا على معظم المدينة (عند كتابة هذه الأسطر ، لا تزال حيثيّات مصير القّافي و أبنائه قيد المجهول) .

يُقدّم حكّام الولايات المتحدة و حلفاؤها الإمبرياليون الأوروبيّون – و منهم بريطانيا و فرنسا و إيطاليا – و الإعلام الناطق بإسمهم ، الإطاحة بالقذّافي و إنتصار " المتمرّدين " على أنّه إنتصار لل"ديمقراطية " على الطغيان و تزكية لتدخّلهم العسكري " الإنساني " فى ليبيا .

و عند إفتكاك القوات المناهضة للقذّافي لطرابلس ، أعلن الرئيس باراك أوباما : " يبيّن الشعب الليبي أنّ بحث العالم عنالكرامة و الحرّية لا زال أقوى من القبضة الفولاذيّة لدكتاتور ... مستقبل ليبيا صار الآن بين أيدى الشعب الليبي ".

و الأمر ليس كذلك البتّة . فالأحداث الجارية فى ليبيا هي فى المصاف الأوّل نتيجة هجوم الأمريكان و الناتو العسكري و السياسي و الإقتصادي على قوّات القذّافي ، طوال أشهر .

ويوم سقوط طرابلس بأيدى القوّات المناهضة للقذّافي ، ورد فى تقرير ل " النيويورك تايمز " : " خلال يوم السبت ، قد قام الناتو و حلفاؤه ب 7459 مهمّة أو ضربة جوّية مهاجمين آلاف الأهداف مستهدفين قاذفات الروكات و القيادات العسكرية الكبرى . و ما نتج عن ذلك لم يكن تحطيم البنية التحتية العسكرية الليبية و حسب بل قد قلّص بصفة واسعة أيضا قدرة العقيد معمّر القذّافي على قيادة التحكّم فى القوّات ما جعل حتى وحدات منخرطة فى القتال غير قادرة على التحرّك و إعادة التزوّد و تنسيق العمليّات " (" المراقبة الأشدّ و تنسيق الناتو ساعدا المتمرّدين على الإندفاع صوب العاصمة " ، 22 أوت) .

و لم يكن هذا الهجوم يقصد إلى تحرير ليبيا أو ضمان تقرير المصير لشعبها . بل بالعكس ، قد إستهدف تعزيز قبضة الإمبريالية على ليبيا .

خلفية : نظام القذّافي و التمرّد الليبي و دور الإمبريالية :

لبيا بلد من بلدان شمال أفريقيا وهي تعدّ 6 ملايين ساكن و تقع فى منطقة إستراتيجية من البحر الأبيض المتوسّط و لها موارد كبيرة من النفط الخام الخفيف و الثقيل . تمّ إستعمارها أوّل مرّة من طرف إيطاليا سنة 1910. و بعد الحرب العالمية الثانية ، صارت الولايات المتحدة القوّة الأساسية المهيمنة على ليبيا ، بما فى ذلك على قطاع النفط , لقد بنت الولايات المتحدة واحدة من أوسع القواعد العسكرية ما وراء البحار فى العالم – القاعدة الجوّية ويلوس – فى ليبيا . و فى 1969 ، نظّم العقيد معمّر القذّافي و مجموعة من الضبّاط العسكريين الشباب إنقلابا و إستولوا على السلطة التى كانت بأيدى الملكية الموالى للولايات المتحدة الحاكمة لليبيا آنذاك. و كانت قوّات القذّافي تلهمها القومية العربية و كانت غايتها هي التخفيف المباشر من خنق الإمبريالية لليبيا و من ذلك مزيد السيطرة و حصّة أكبر من ثرواتها النفطية . لكن مثلما وضع ذلك ريموند لوتا فى حوار صحفي مع " الثورة " : " القذّافي كان لعديد السنوات شوكة حقيقية فى حلق الإمبريالية ، لا سيما الإمبريالية الأمريكية ... رغم أنّ نظامه لم يقطع جوهريّا أو لم يتحدّى جوهريّا الإمبريالية ".

و مع نهاية تسعينات القرن العشرين ، كان القذّافي يبحث عن علاقات أمتن مع الإمبريالية الغربية و منها الأمريكية و فى 2004 أمضى رسميّا تحالفا مع الولايات المتحدة و فى ذلك السياق ساعدها فى ما يسمّى " الحرب ضد الإرهاب " .

خلال هذه العقود ، غدت أوضاع الشعب فى ليبيا أسوء إقتصاديّا و سياسيّا أيضا . و قد قمع النظام معارضيه بعنف و خنق آمال الناس و تطلّعاتهم إن لميسحقم تمام السحق .

إنتفاضة سرعان ما إستغلّها الغرب :

عندما أطاحت الجماهير بالدكتاتورية فى تونس فى جانفي 2011 ثمّ بنظام مبارك فى مصر فى فيفري ، وجد الناس فى العالم العربي و ضمنه ليبيا ذلك مصدر إلهام مدّهم بالشجاعة . و فى 15 فيفري ، إندلعت إنتفاضة فى بنغازي ، ثاني أكبر المدن الليبية (السبب المباشر فيها هو إيقاف ناشط من نشطاء حقوق الإنسان) . و سعى نظام القذّافي إلى قمعها بعنف.

و من البداية الأولى ، شاركت فى التمرّد قوى سياسية متنوّعة – منها ضبّاط عملوا مع للقذّافي سابقا و رجعيّون آخرون لهم صلات مع مختلف القوى الإمبريالية . (و نصّب المجلس الوطني الإنتقالي كقيادة للقوى المناهضة للقذّافي من قبل أغلب القوى العظمى فى العالم ، و هيمنت عليه قوى موالية للإمبريالية التى دعت إلى تدخّل أمريكي – الناتو فى ليبيا غداة تشكّله). (من أجل تحليل عميق أنظروا " الثورة تاور ريموند لوتا : أحداث ليبيا منمنظور تاريخي ... و معمّر القذّافي منمنظور طبقي ... و مسألة القيادة من أفق شيوعي " ، " الثورة " عدد 226 ، 8 مارس 2011).

و مهما كان الدور الذى لعبه القوى الإمبريالية أو لم تلعبه فى إطلاق هذا التمرّد ، فإنّها بسرعة كبيرة تدخّلت لتشكّله و تتحكّم فيه من أجل مصالحها الخاصّة . و فى 26 فيفري ، فرض مجلس أمن الأمم المتحدة – وهو جهاز تتحكّم فيه الولايات المتحدة و قوى عظمى أخرى – فرض عقوبات على عائلة القذّافي . و فى 17 مارس ، صوّت على السماح بمنطقة " حظر جوّي " فى سماء ليبيا لإلحاق الهزيمة

بالقذّفي و دعم القوى الموالية للإمبريالية . و فى 19 مارس ، بدأت الهجمات الجوّية الولى للولايات المتحدة – الناتو .

و مذّاك ، تصاعد بلا هوادة نسق التدخّل العسكري و الإقتصادي و السياسي للولايات المتحدة – الناتو . و بصفة متصاعدة جرى تنظيم قوّأت " المتمرّدين " و إدارتها من قبل الولايات المتحدة و فرنسا و بريطانيا (بريطانيا و فرنسا و الحلفاء الآخرين للولايات المتحدة وفّروا تغطية عسكرية للقوات داخل ليبيا " للمساعدة على تدريب المتمرّدين و تسليحهم ..") . و كانت العقوبات العالمية تعتصر نظام القذافي و تضعفه . و لم يغدو ممكنا الإندفاع النهائي للقوى المعارضة للقذّافي نحو طرابلس إلاّ بفضل قذف القنابل و المخابرات و التنسيق العسكري للولايات المتحدة و الناتو .

و قد صوّر تقرير ل " نيويورك تايمز " فى 22 أوت مدى التدخّل العسكري للولايات المتحدة – الناتو:

" مع إلتقاء القوات المتمرّدة فى ليبيا بطرابلس يوم الأحد ، ذكر ضبّاط أمريكا و الناتو تكثيفا للمراقبة الجوّية الأمريكية داخل العاصمة و خارجها كعامل كبير فى مساعدة ترجيح كفّة المتمرّدين إثر أشهر من التآكل المستمرّ لجيش العقيد معمّر القذّافي .

و قال الضبّاط أيضا إنّ : " التنسيق بين الناتو و المتمرّدين و فى صفوف المجنوعات المتمرّدة المرتخية التنظيم ذاتها صار تنسيقا محتّكا و مميتا أكثر فى الأسابيع الأخيرة ،رغم أنّ تفويض الناتو لم يكن إلاّ لحماية المدنيين و ليس للإنحياز إلى أحد الجانبين المتنازعين ".

لذا الآن من الواضح أنّ الولايات المتحدة و بريطانيا و فرنسا هي التى تشكّل أساسا الأحداث فى ليبيا ، و مهما كانت المحاولة الأولى و طموحات بعض الليبيين الذين أطلقوا شرارة التمرّد ، عند هذه النقطة ، غدت الآن موضوعيّا إمتدادات و بيادق بأيدى إمبرياليي أمريكا و الناتو .

<u>النفاق " الإنساني " ... و القتل :</u>

إدّعت الولايات المتحدة و الناتو أن تدخّلهما فى ليبيا كان لأسباب إنسانية – ببساطة لحماية المدنيين و ليس لتحديد مآل النزاع فى ليبيا . و قد تبيّن للعالم أن هذه الإدعاءات محض أكاذيب .

المئات و المئات من الليبيين قتلتهم قنابل الناتو و صواريخه . فوفق ناطق بإسم الحكومة الليبية هجوم واحد فى 9 أوت أودى بحياة 33 طفل و 32 إمرأة و 20 رجل (وكالة رويتر للأنباء 9/8 /2011) فى طرابلس ، عاصمة ليبيا ، كان يتركّز ما يناهز ثلث سكّان البلاد و قد غادرها عدد كبير من الناس عند تهاطل القنابل كالأمطار . و فى تجاوز للقانون الدولي ، حاولت الولايات التحدة و الناتو أن يقتلا القذّفي القذّفي راجمين بالقنابل فى عديد المرّات المركّب الذى يقطن به.

ومثلما أوضحت الأحداث بما لا يدع ظلاّ للشكّ ،و لم يبذل الإمبرياليون جهدا كبيرا لإنكار وحتى يقرّون بأنّ – تدخّلهم كان منذ البداية يهدف إلى التحكّم فى مجرى الأحداث و ليس حماية الأرواح. و بالفعل ، بعد يوم من سقوط طرابلس ، خرجت " النيويورك تايمز " خاملة عنوان رئيسيّا " إنطلقت المنافسة للحصول على النفط الليبي " (23 أوت 2011).

و لا شيء من هذا يعنى أنّه حتى إن كان الإمبيراليون قد نجحوا فى الإطاحة بالقذّافي ، أنهم قد رموا كلّ شيء و أنّ كلّ شيء سيمرّ بسلاسة حسب مخطّطاتهم و مراميهم (و منها وجود تناقضات فى صفوف

الإمبرياليين أنفسهم) . الزمن و الأحداث سيُخبراننا عن نتائج كلّ هذا و ستقوم " الثورة " بالتغطية اللازمة .

5- أجندا الولايات المتحدة فى سوريا – إمبريالية و ليست إنسانية .

مقال للاري أفراست في " الثورة " عدد 265 ، 8 أفريل 2012 .

www.revcom.us/.../US-agenda-in-**Syria**-imperialism-not-humanism-en.html

يدخل التمرّد ضد نظام بشّار الأسد سنته الثانية بعلامات تفيد أنّ الولايات المتحدة و حلفاءها يتحرّكون نحو مزيد التدخّل المباشر و العدواني .

إنطلق تمرّد الشعب السوري ضد حكم الأسد الوحشي و القمعي و الموالي للإمبريالية قبل سنة من الآن فى مارس الماضي ، و قد ألهمته الإنتفاضات الشعبية التى كانت تكتسح المنطقة ؛ و مذّاك مرّ بعديد الألتواءات و المنعرجات و شمل مروحة عريضة من القوى السياسية منها كلّ من الجماهير السورية و كذلك الإسلاميين الرجعيين الموالين لأمريكا و المنفيين و أعضاء سابقين فى الناظام . و كان ردّ الأسد فى منتهى العنف- مطلقا الرصاص مباشرة على المحتجّين وموقفا و معذّبا ما يشكّ فى أنّهم معارضون ، و قاصفا بالقنابل الأحياء بلا تمييز . و يقدّر عدد القتلى ب 8 آلاف قتيل و الجرحى بعدّة آلاف و هاجر منازلهم عدّة آلاف آخرون .

هجوم الأسد – الذى غطّته بشكل واسع وسائل الإعلام الأمريكية و الأوروبية – قد صدم عن حقّ وعي الكثيرين حول العالم . و بعد إتخاذ مقاربة أوّلية منخفضة الحدّة تجاه الإنتفاضة ، إستغلّ حكّام الولايات المتحدة الفرصة و الغضب الشعبي الشرعي إزاء المجزرة ليؤكّدوا أنّ من " واجبهم " و " مسؤوليتهم " التدخّل الأخوي وحماية الشعب السوري – و فرض تنحّى الأسد .

و فى 3 فيفري ، أدان الرئيس أوباما الأسد ل " إستهانته بالحياة و الكرامة الإنسانيين " و أعلن أنّ " المواطنين السوريين يجب أن يعلموا أنّنا إلى جانبهم ، و ينبغى أن يوضع حدّ لنظام الأسد " . و ندّدت سكرتيرة الدولة هيلاري كلينتون بالأسد على أنّه " مجرم حرب ". و وجدت كذلك دعوات لقوى بارزة فى الولايات المتحدة للتدخّل العسكري ، ظاهريّا لإيقاف القتل والسماح للشعب السوري بتحقرير مصيره بنفسه .

أجندا الولايات المتحدة : الهيمنة الإمبريالية – و ليست المساعدة الإنسانية .

و مع ذلك أنظروا ما يقوله الضبّاط و الإستراتيجيون الأمريكان عن دوافعهم للتدخّل فى سوريا و إزاحة الأسد ، و من البديهي أنّه تحرّكات حكّام الولايات المتحدة هذه فى علاقة بسوريا لا صلة لها مهما كانت بإيقاف العنف فى المنطقة أو تحرير الشعب السوري من الطغيان و الإضطهاد .

بالأحرى ، توضّح كلمات الإمبرياليين ذاتهم أنّ مناوراتهم و دسائسهم تهدف إلى إستغلال الإنتفاضة السورية للتخلّص من النظام المزعج و تقوية إسرائيل و التحكّم الكلّي للإمبريالية الأمريكية فى الشرق الأوسط – و أنّ أي " مساعدة إنسانية " يمكن (أو لا يمكن) أن يقدّموها هي نافذة للتسهيل احقيق ذلك الهدف . نحتاج أن نرى تحرّكات الولايات المتحدة فى سوريا فى إطار هذه المعركة من أجل الهيمنة بين

الولايات المتحدة و إسرائيل ضد إيران و تنامي إمكانية هجوم عسكري أمريكي و إسرائيلي ضد إيران . (ليس هذا المقال مجالا للغوص أكثر فى تحرّكات الحرب الأمريكية و الإسرائيلية ضد إيران لذلك ندعوكم للنظر فى التغطية و التحليل على الأنترنت بموقع

Revcom.us

و منها مقال " تهديدات و عدوان و تحضيرات للحرب ... و أكاذيب – الولايات المتحدة و إسرائيل تسرّعان فى حملتيهما ضد إيران " ، " الثورة " عدد 262 ، 11 مارس 2012).

سوريا هي النظام الوحيد فى الشرق الأوسط المتحالف مع إيران(رغم أنّ تأثير إيران فى العراق يتزايد).واقعة بين العراق شرقا و لبنان و البحر الأبيض المتوسّط غربا ، سوريا قناة للتأثير الإيراني الذى يمتدّ عبر العراق و سوريا و لبنان إلى البحر الأبيض المتوسّط .

" ترى إيران الحكومة السورية كخطّ جبهة دفاع ضد الولايات المتحدة و إسرائيل " يقول تقرير **للشؤون الخارجية "** لذا لا تدّخر إيران جهدا لمساعدة حليفها فى مواجهة إحتجاجات شعبية " . (" كيف تبقى إيران الأسد فى السلطة فى سوريا " ، **لقطة** عبدو جنيفي، 25 أوت 2011).

لهذه الأسباب عينها ، الولايات المتحدة و حلفاؤها ينظرون إلى الإطاحة بالأسد على أنّه على حدّ السواء إطاحة بحاكم مثير للمشاكل و وسيلة حيوية لعزل جمهورية إيران الإسلامية و إضعافها – إمّا كجزء من تداعى النظام قبل الحرب أو إعدادا للحرب . (و الإطاحة بنظام الأسد ستُغيّر ميزان القوى العسكري فى المنطقة و تقلّص قدرة إيران على الردّ على هجوم الولايات المتحدة و / أو إسرائيل).

إنّ النزاع مع إيران يدفع بصورة متصاعدة و بشكل عام السياسة الأمريكية فى المنطقة . هذا سبب من أسباب تغيير الولايات المتحدة موقفها ، بعد إحجام عن مطالبة الأسد بالتنحّى فى الأشهر الخمس الأولى من التمرّد ، و مناداتها بالمزيد من التدخّل بالقوّة فى سوريا لإضعاف إيران و محاصرتها .

أعرب دانيال بلاتكا من معهد المؤسسة الأمريكية ، مفكّر يميني معروف ، عن بعض المنطق الإمبريالي : " سوريا هي عورة إيران الهشّة ، وهي أهمّ حلفاء إيران الذين ينقلون الأسلحة و الأموال إلى الإرهابيين ... و إلتقاء فريد من نوعه بين الهدف الأخلاقي الأمريكي و المصالح الإستراتيجية الأمريكية يحاجج من أجل التدخّل فى سوريا ... حان أوان تسليح الجيش الحرّ السوري "(" ينبغى أن يقوم أوباما بشيء ملموس من أجل سوريا " ، 8 فيفري 2012),

و القوى الإسلامية مثل حماس فى فلسطين و حزب الله فى لبنان – تلك التى يصفها بلاتكا ب" الإرهابية " – و بصفة خاصة جمهورية إيران الإسلامية تمثّل قوى سياسية إضطهادية لا تُعدّ تحدّيا جوهريّا للرأسمالية- الإمبريالية العالمية . و مع ذلك ، أهدافها و مطامحها تصادم بحدّة مع أهداف و مطامح الإمبريالية الأمريكية و إسرائيل فى المنطقة . و قد نمت شوكة هذه القوى الإسلامية فى العقود العديدة الأخيرة بسبب ثورة إيران لسنة 1979 و ما إنجرّ عنها من دعم إيراني ،لكن بأكثر جوهرية بسبب كيف أنّ هجمات الولايات المتحدة و إسرائيل على شعوب المنطقة قد غذّت الأصولية الإسلامية المناهضة للولايات المتحدة .

و كتب مدير سابق لوكالة الإستخبارات الإسرائيلية ، الموساد ، فى " النيويورك تايمز " أنّ الإطاحة بنظام الأسد ستفرز إنهيارا إستراتيجيا لدى الحكومة الإيرانية " بقطع " وصولها إلى وكلائها (حزب الله فى لبنان و حماس فى غزّة) و يلحق الضرر بصفة واضحة سمعتها المحلّية و العالمية ، و على الأرجح يتفرض على نظام طهران النازف تعليق سياساته النووية " (" عقب آشيل الإيراني " ، إفرايم هالفى ، 7 فيفري 2012).

و القرار الذى إقترحه السيناتور جون ماك كاين فى 28 مارس حاجج من أجل تسليح المتمرّدين السوريين لأنّ " سقوط بشّار الأسد سيمثّل " أكبر ترتجع إسترتيجي لإيران فى ال25 سنة " ".

و هكذا الصدام المشتدّ بين هتين القوّتين اللتين عفا عليهما الزمن – الإمبريالية من جهة و الأصولية الإسلامية من جهة أخرى – و حاجة الولايات المتحدة إلى تعزيز تشديد تحكّمها فى الشرق الأوسط يدفعان إلى المواجهة فى المنطقة و إلى تحرّكات الولايات المتحدة فى المنطقة و خطر حرب أمريكية – إسرائيلية ضد إيران . و قد لخّص الكاتب و الصحفي البريطاني ، باتريك سيل ، المعركة حول سوريا على أنّها " معركة بين الولايات المتحدة من جهة ، و حلفائها و معارضيها مثل روسيا و الصين ...من جهة ثانية و ذلك من أجل الهيمنة على المنطقة ، معركة من سيكون الكلب الأكبر ... إنّه هجوم منسّق ، غارة ليس فحسب على سوريا بل أيضا على إيران . ترون ، إيران و سوريا و حليفهما حزب الله فى لبنان ، ثلاثي ، نوع من حلف طهران – دمشق – حزب الله الذى مثّل فى السنوات الأخيرة الحاجز الأساسي أمام الهيمنة الأمريكية و الإسرائيلية فى الشرق الأوسط . و تجرى الآن محاولة الإطاحة بذلك الحلف...لذا هذا ما نشاهده . إنّه صراع من أجل التفوّق فى المنطقة ، من أجل الهيمنة على المنطقة ..." (" صراع من أجل التفوّق فى المنطقة:النزاع السوري يتصاعد مع نقاش القوى العالمية لمستقبل الأسد "؛ " الديمقراطية الآن ! " 7 فيفري 2012).

<u>إستراتيجيا الولايات المتحدة : تغيير مدبّر لنظام موالى للولايات المتحدة :</u>

لقد تحرّكت الولايات المتحدة بحذر فى سوريا لعدّة أسبابا منها أوّلا ، أنّه كان من غير الواضح إن كان من الممكن إجبار الأسد على التنحّى . ثانيا ، لا ترغب الولايات المتحدة فى إشعال فتيل حرب أهلية بأتمّ معنى الكلمة فى سوريا أو فى المنطقة . و مثلما أشارت " النيويورك تايمز " تقع سوريا " فى مركز نزاعات إثنية و دينية و مناطقية تعطيها قابلية التحوّل إلى دوّامة تجلب قوى كبيرة و صغيرة فى المنطقة و أبعد منها " (" النزاع السوري يثير خطر نزاع أوسع نطاقا " ، ستيفان آرلنغر ، 25 فيفري 2012). و فى النهاية ، تخشى الولايات المتحدة أن يظلّ الجيش السوري قويّا و متماسكا فقد يكون أي تدخّل عسكري مباشر مكلفا و صعبا .

و مع ذلك ، قد صعّدت الولايات المتحدة بصورة مستكمرّة من ضغطها على نظام الأسد على عدّة جبهات مختلفة . و سعت لتنظيم تحالف عالمي مناهض للأسد .

و جاء فى تقرير " لأخبار عالم نربحه " أنّ " الولايات المتحدة بعدُ تدعم أشكال متنوّعة من التدخّل فى سوريا منها الجهود التركية لإستخدام العناصر العسكرية السورية المعارضة لتشكيل جيش تحت إمرتها، و المال و الأسلحة التى يُزعم أنّها تتدفّق إلى البلاد من قطر و العربية السعودية . السعوديّون تقريبا بلا أدنى شكّ يدعمون الأصوليين الإسلاميين من أتباع السُنّة ، مثلما فعلوا فى أي مكان آخر ", (" سوريا ، لا للأسد و لا للتدخّل الأجنبي ! " ، " الثورة " عدد 261 ، 26 فيفري 2012).

و تسعى الولايات المتحدة إلى التنسيق بين القوى الرجعية و تقويتها ، هذه القوى التى تحاول أن تقود التمرّد السوري و فى المدّة الأخيرة مجموعة الإستخبارات الإمبريالية ستارفور ، أصدرت تقريرا بأنّ القوى الخاصة للولايات المتحدة كانت تقوم بعمليّات داخل سوريا منذ ديسمبر . (رسائل ستراتفور : عمليّات خاصة داخل سوريا منذ ديسمبر وقع حجبها " جون غلازار ، 7 مارس 2012 على موقع

. (antiwar.com

وخطت إدارة أوباما خطوة أخرى فى التخطيط ل " مساعدة إنسانية و منطقة حظر جوّي و حظر بحري و ممرّ إنساني و ضربات جوّية محدودة " محتملة ، ضمن خيارات أخرى . (الجنرال مارتين دامبسي ، ذكر فى " الديمقراطية الآن ! " ، 8 مارس 2012). و فى نهاية مارس ، أعلنت إدارة أوباما أنّها ستوفّر " مساعدة غير مميتة " للمعارضة وهي خطوة كانت دوما مقدّمة لدعم عسكري . و كانت الولايات المتحدة تواصل عزلها الدبلوماسي لنظام الأسد ، بما فى ذلك بدفع قرار عبر الأمم المتحدة يدعو إلى إيقاف إطلاق النار و إيقاف هجماته العسكرية على المعارضة .

لا شيء جيّد يمكن أن ينجم عن تدخّل أمريكي فى سوريا – أو عن تحكّم الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط :

يجب أن نفضح و نعارض بشدّة الأجندا الإمبريالية الرجعية وراء الخطاب الأمريكي عن " التدخّل الإنساني " فى سوريا .

لنضع جانبا للحظة ما جلبته أكثر من 60 سنة من السيطرة الأمريكية على الشرق الأوسط – سلسلة من الفظائع من تدخّل و حرب و مجازر عرقية و تعذيبو طغيان . لنتوقّف ونفكّر فى العراق و أفغانستان و ليبيا . جميعها كانت تحت أنظمة قمعية و برّرت الولايات المتحدة العمليّات العسكرية على أنّها جهد أخلاقي لمساعدة شعوبها . لكن بعد ذلك قامت حروب الولايات المتحدة بما هو أسوء بكثير بالتسبّب فى وفايات و تدمير بلغ مستوى الكوارث و فرض أشكال جديدة من الإضطهاد و منها أنظمة كذلك وحشية و قمعية . لماذا ؟ لأنّ ما تجلبه الولايات المتحدة إلى العالم ليس الديمقراطية بل الرأسمالية – الإمبريالية و الهياكل السياسية التى تدعم الرأسمالية – الإمبريالية . لماذا يجب أن تكون سوريا – أو حرب أمريكية ضد إيران شيئا مختلفا ؟

---

6 - خطاب أوباما بشأن سوريا : أكاذيب لتبرير حرب لا أخلاقية .

مقال للاري أفراست بجريدة " الثورة " ، 31 أوت 2013

www.revcom.us/.../obamas-speech-on-**syria**-lies-to-justify-an-immoral-war- en.html

يوم السبت 31 أوت 2013 ، الرئيس باراك أوباما " أذهل العالم " على حدّ كلمات "النيويورك تايمز" بإلقاء خطاب وعد فيه بإعطاء الكنغرس الوقت لتقدير المسألة قبل شنّ أي هجوم على سوريا . و سيعقد الكنغرس جلسته مجدّدا يوم الإثنين 9 سبتمبر .

تحرّكات الولايات المتحدة لمهاجمة سوريا **ليست** مدفوعة بما إن كان النظام الرجعي فى سوريا إستعمل غاز الأعصاب ضد شعبه . و مثلما كتبت " الثورة " : " يرى حكّام الولايات المتحدة الفظائع و جرائم

الحرب – الحقيقية أو المخترعة – من خلال عدسات معوجّة و مشوّهة ل " كيف يعمل من أجلنا نحن " " و خطاب أوباما و خطّته ليسا حركة لتحقيق " إرادة الشعب " . فطبيعة هجوم الولايات المتحدة على سوريا تتحدّد بحاجيات **إمبراطورية** الولايات المتحدة . (و لأجل تحليل هام لدوافع هجوم الولايات المتحدة على سوريا ، أنظروا مقال " فقط عذاب و فظائع أسوء يمكن أن تنجم عن هجوم للولايات المتحدة على سوريا ".)

لقد كان خطاب أوباما حركة لفرض إطار معوجّ و مشوّه وخاطئ جدّا على الحوار و النقاش بصدد هجوم أمريكي على سوريا و بذلك يضع هجوم الولايات المتحدة ضمن كذبة كبيرة عن الدور التطوّعي الذى لعبته الولايات المتحدة و لا تزال فى العالم اليوم . سيكون هجوم أمريكا على سوريا جريمة حرب أخرى فى التاريخ المديد لجرائم حرب الولايات المتحدة . و يحمل مثل هذا الهجوم إمكانية الخروج عن السيطرة بطرق غير متوقّعة . لقد كان خطاب أوباما يهدف إلى صناعة رأي عام داخل الولايات المتحدة و كذلك إلى الضغط لتوحيد صفوف الطبقة الحاكمة حول الهجوم على سوريا . و قد ألقي فى إطار مروحة كاملة من النزاعات و التناقضات التى تضع تحدّيات أمام حكّام الولايات المتحدة . غايته هي صياغة نوع من التحالف مع قوى إضطهادية عالمية أخرى . و كلّ هذا يتنزّل فى سياق الإستعداد لهجوم على سوريا سيضاعف بشكل كبير عذاب الناس هناك و قد يطلق سلسلة غير متوقّعة من الأحداث التى يمكن أن تنفجر فى نزاع كبير .

إطار لا أخلاقي :

عرض خطاب أوباما نسخة من تاريخ العالم المعاصر قلبت الواقع رأسا على عقب . قال : " لكننا الولايات المتحدة الأمريكية و لا نستطيع و لا يجب أننغمض أعيننا عن ما حصل فى دمشق . من حطام حرب عالمية ، شيّدنا نظاما عالميّا و فرضنا قوانينا أعطته معنى . و قد قمنا بذلك لأنّنا نعتقد فى أنّ حقوق الأفراد فى الحياة بسلام و كرامة ترتبط بمسؤوليات الأمم , لسنا تامين لكن هذه الأمّة أكثر من أية أمّة أخرى كانت تنوى النهوض بمسؤوليّاتها ".

هذه إعادة كتابة لتاريخ جرائم الولايات المتحدة حول العالم و ضمنه الشرق الأوسط طوال أكثر من ال60 سنة الماضية ، إعادة كتابة لا تستحى و مليئة أكاذيبا – لماذا قاموا بهذه العمليّات ، ماهي طبيعتهم و أجندتهم حقّا و حول من هم و بفارق كبير على وجه الأرض هم أكبر مجرمي حرب و قتل جماعي بلا حدود بما فى ذلك قتل الأطفال.

ولنأخذ بُعدا من أبعاد الفظائع التى تسببت فيها الولايات المتحدة حول العالم ، و خسائر بعض الحروب التى دفعت إليها و غذّتها أو خاضتها مباشرة فى العراق و إيران فحسب – و كلّ هذا خدمة للإمبراطورية :

• 1972-1975 الآلاف من أكراد العراق وقع قتلهم و أزيد من 200 ألف صاروا لاجئين نتيجة تشجيعهم من قبل الولايات المتحدة على النهوض ضد نظام صدّام حسين ثمّ طعنهم فى الظهر ؛

• 1980- 1988 الحرب الإيرانية – العراقية : لقد ساعدت الولايات المتحدة على الدفع نحو هذه الحرب و على تغذيتها بتسليح و مساعدة الجانبين : و تقديرات المحافظين تضع الخسائر فى الأرواح بين 262

ألف و 367 ألف إيراني و 105 ألف عراقي . و يقدّر عدد الجرحى ب 700 ألف لدي الطرفين ما يجعل مجموع الضحايا يعدّ أكثر من مليون شخص .

• 1991 حرب الخليج الفارسي : غزت الولايات المتحدة و حلفاؤها العراق : و فى 43 يوما ، قتل أكثر من 100 ألف جندي عراقي و جرح ما يقدّؤر ب 300 ألف.

• 2003-2004 غزت الولايات المتحدة للعراق و إحتلّته وهي حرب قامت على الأكاذيب بشأن أسلحة الدمار الشامل : حسب أدنى التقديرات وقع قتل 150 ألف عراقي لكن على الأرجح أنّ بين 600 ألف و مليون عراقي لقوا حتفهم ؛ و هجر 4,5 مليون نسمة منازلهم (فضلا عن القتل الرجعي و الطائفي المتواصل).

و هذا فقط جانب ممّا جدّ فى الشرق الأوسط ! و أنظروا إلى تاريخ أي بلد فى آسيا و أفريقيا أو أمريكا اللاتينية – أو بالمناسبة القتل الجماعي للمدنيين الذى إقترفته الولايات المتحدة فى ألمانيا و اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية ، و ستجدون المزيد من مجازر المدنيين المصنوعة فى الولايات المتحدة و أو إقترفتها الأنظمة الموالية للولايات المتحدة الممارسة للتعذيب و الإستغلال و القمع الوحشيين و المخرّبة للبيئة .

<u>من إستهدف مرارا و تكرارا المدنيين ؟</u>

قال أوباما : " ما هي غاية النظام العالمي الذى شيّدناه إن لم يقع فرض حظر إستعمال الأسلحة الكيميائية الذى وافقت عليه 98 % من شعوب العالم و صادق عليه بالغالبية الساحقة كنغرس الولايات المتحدة ؟".

غاية هذا النظام العالميهي فرض سحق الحياة و تخريب البيئة و الإستغلال الإمبريالي للكوكب ، إعتمادا على منتهى العنف و منه إستعمال الأسلحة الكيميائية و النووية حيث يكون ذلك ضرورة معتبرة. لهذا **لا شيء** يقال عن كون الحليف الأوّل للولايات المتحدة و عميلها الأوّل إسرائيل لم تمضى على منع الأسلحة الكيميائية وهي كذلك تمتلكها .

لهذا إستعمال الولايات المتحدة للأسلحة النووية فى هيروشيما و ناغازاكي و التهديدلت المستمرّة بإستعمال الأسلحة النووية من كلّ من إسرائيل و الولايات المتحدة ، بما في ذلك الإستعمال الأحدث ضد إيران – يعامل على أنّه جزء طبيعي تماما من " دبلوماسية " الولايات المتحدة . و من ثمّة دعّمت الولايات المتحدة الطاغية تلو الطاغية عبر منطقة الشرق الأوسط ، طغاة بدعم من الولايات المتحدة قد قمعوا بخبث مواطنيهم (على غرار ما يفعله الجيش المصري الآن أمام أعيننا) قصد الحفاظ على هيمنة الولايات المتحدة على المنطقة .

سأل أوباما : " ما الرسالة التى سنبعث بها إن كان بوسع دكتاتور أن يقتل بالغازات مئات الأطفال على الملأ و لا يدفع أي ثمن ؟ ".

لقد إستخدمت الولايات المتحدة النابالم فى الفتنام – وهو سلاح كيميائي يلتصق بالبشر و منهم الأطفال ويجعلهم يحترقون . و قد زوّد حلفاء الولايات المتحدة نظام صدّام حسين بالأسلحة الكيميائية و التقنية اللازمة لصنع الأسلحة الكيميائية التى إستعملها حينها فى ساحة الحرب ضد إيران – الحرب التى دفعت إليها و فى جزء كبير غذّت نيرانها مخابرات الولايات المتحدة – بغاية الحيلولة دون إنتصار إيران فى

الحرب الإيرانية – العراقية بين 1980-1988. و أيضا أغمضت الولايات المتحدة عينيها عن إستعمال صدّام حسين الغاز ضد الأكراد لا سيما فى حلبجا فى 1988 و على ذلك توجد أدلّة قطعية على قتل على الأقلّ خمسة آلاف كردي لأنّ صدّام حسين لا زال يُعتبر حليفا ممكنا للولايات المتحدة و لا يجب القيام بأي شيء لقطع تلك العلاقة .

أمّا بالنسبة للإنشغال بالأطفال فبين 1990 و 1996 كانت الولايات المتحدة مسؤولة عن موت أزيد من 500 ألف طفل عراقي بإنكار حقّهم فى الماء النقي و الأدوية – و كذلك الغذاء المناسب – من خلال العقوبات . و حينها قال سفير الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة " نعتقد أنّ الثمن [عقوبات الولايات المتحدة ضد العراق التى نجمت عنها وفاة 500 ألف طفل] يستحقّ ذلك " . هذا هو جوهر الحديث عن " غضب لا يمكن وصفه " ، هذا ما يجعل جرائم رئيس سوريا الأسد الحقيقية فعلا شاحبة مقارنة بجرائم الولايات المتحدة الأمريكية .

<u>القوانين العالمية هي القوانين التى تحدّدها الولايات المتحدة ...و الولايات المتحدة لا تخضع لها :</u>

قال أوباما :" إذا لم نفرض محاسبة مثل هذا العمل المقرف ، ماذا سيقال عن تصميمنا على الوقوف فى وجه الذين يزدرون بالقوانين العالمية الأساسية ؟ "

و مع ذلك ، فى الخطاب نفسه ، يمنح أوباما نفسه حقّ " دوس القوانين العالمية الأساسية " – تحديدا قوانين الحرب التى بموجبها ليس " الهجوم العسكري قانونيّا إن لم يكن مباشرة مسألة دفاع عن النفس أو إن لم يكن عملية صادق عليها مجلس أمن الأمم المتحدة . يحبرنا أوباما بأنّ له حقّ تجاهل – أي " دوس " هذه القوانين : " أنا واثق من ما قامت به حكومتنا دون إنتظار مفتّشي الأمم المتحدة . أنا مستريح للتقدّم دون مصادقة مجلس الأمن الذى إلى الآن شُلّت حركته تماما وهو لا ينوى أن يحاسب الأسد ".

إذن ما هي الرسالة إن منحت قوّة إمبريالية عالمية عظمى لنفسها الحقّ فى مهاجمة من تختار مهاجمته فى أي وقت كان ، حتى و لو أنّ مثل هذا الهجوم يخرق القوانين و المبادئ التى حدّدتها هي نفسها ؟

إنّ المعاهدات و المنظّمات العالمية و ما يشار إليه ب " المجتمع الدولي " التى توجد فى عالم اليوم تخدم الإمبريالية الأمريكية و تعمل كمنتدى للتوسّط فى النزاعات بين الإمبريالية الأمريكية و القوى العالمية الأخرى . يوظّفها حكّام الولايات المتحدة فى خدمة مصالحهم. لكن حتى حين تعترض هذه القوانين طريقهم ، حينها يستبعدونها دون أن يرفّ لهم جفن .

<u>القيم التى تحدّد ماهية الإمبريالية الأمريكية :</u>

قال أوباما : " لا يمكن تنشأة أطفالنا فى عالم حيث لا نطبّق فيه صراحة ما نقوله و ما نوقّعه من إتفاقيّات و القيم التى تحدّد ماهيّتنا ".

هذا كلام القائد العام للإمبراطورية التى تجلس على قمّة عالم أين حياة الأطفال عالميّا يتهدّدها الجوع و الفقر و المرض و الحرب .أي هجوم للولايات المتحدة ضد سوريا متّصل بالحفاظ على هذا العالم الفظيع و الحفاظ على قوّة الولايات المتحدة لتواصل الهيمنة و تصون مثل هذا الكابوس الذى لا ينتهى .

هذه **هي** القيم التى تحدّد ماهية الولايات المتحدة و هذا **هو** ما توفّره الولايات المتحدة ل 1.9 مليار طفل حول العالم وهي تهدّد حتى الحياة المستقبلية على الأرض بتخريبها التعسّفي للبيئة .

حان أوان الإحتجاج ... حان أوان طريق آخر مغاير تماما :

إدّعى أوباما أنّه قد قرّر بعدُ مهاجمة سوريا و أنّ لديه سلطة القيام بذلك :" لكن إثر إتخاذى القرار كقائد عام إعتمادا على ما أنا مقتنع بأنّه فى مصلحة أمننا القومي ، أنا أذكر كذلك أنّنى رئيس أعرق ديمقراطية دستورية فى العالم . و لطالما إعتقدت أنّ قوّتنا متجذّرة ليس فى سطوتنا العسكرية فحسب بل فى كوننا مثال لحكم الشعب نفسه بنفسه و من أجل نفسه . و لهذا إتخذت قرارا ثانيا هو أنّنى سأبحث عن تصريح بإستعمال القوّة من قبل ممثّلي الشعب الأمريكي فى الكنغرس " .

إلاّ أنّ الخطاب المزدوج لأوباما و كلماته ذاتها تفضح أكذوبة "حكم الشعب نفسه بنفسه و من أجل نفسه". يقول مباشرة إنّه سيكون من الأفضل لمخطّطاته أن تمرّ عبر لغز الديمقراطية لجعل الناس ينخرطون فيها : " ومع ذلك ، فى حين أنّي أعتقد أنّ لي سلطة القيام بهذه العملية العسكرية دون تصريح خاص من الكنغرس ، أعلم أنّ البلاد ستكون أقوى إن إتبعنا هذا السبيل و ستكون عمليّاتنا أكثر فعاليّة " بكلمات أخرى ، هذا التأخير يتعلّق بتعزيز القبضة العسكرية للولايات المتحدة ضد سوريا و منافسين آخرين عبر العالم .

ما يحدث هنا هو تمرين فى الديمقراطية - لكنّه تمرين فى الديمقراطية الرأسمالية – الإمبريالية التى هي فى جوهرها دكتاتورية الطبقة الحاكمة الإمبريالية . شعر فريق أوباما أنّ لديه حرّية لكن أيضا ضرورة إلقاء هذا الخطاب و إطلاق هذه السيرورة التى يدعو إليها ، إلى جانب الحاجة إلى أيلاء عناية للمتابعين للوضع عالميّا ودفع الحلفاء إلى الإصطفاف فى خطّ واحد ومعالجة إستقطاب قوى عالمي معقّد و ذلك نظرا للنفاق العام المنتشر حول حالة أخرى من الأدلّة " الدامغة " و مغامرة عسكرية أمريكية أخرى .

لكن هذه ليست حكومة تناشد آراء الناس و تستمع إليهم . إنهم الحكّام الإمبرياليون الذين يرسمون حدود النقاش و إطاره ، مأكّدين على أن يحصر الناس تفكيرهم فى ذلك – لصنع رأي عام يدعم الجرائم التى قد قرّروا إرتكابها و يقبل بها .

ما من شيء جيّد فى هذا . هذا **لا يتعلّق** بسماح بإستثمار عام فى تحرّكات إستراتيجية للإمبريالية الأمريكية – إنّه يتعلّق بالإستعانة بالناس و **بتشريكهم** ضمن الحدود التى ترسمها الطبقة الحاكمة . إنّه يتعلّق بـ**الترويج** ليس لهذا الهجوم و حسب بل لكامل الإطار المقلوب رأإا على عقب و المعوجّ .

آخر شيء يتعيّن على الناس القيام به الآن هو تنفّس الصعداء . بدلا من ذلك ، يجب إغتنام اللحظة لتنظيم الإحتجاجات و النقاشات و لتوزيع تغطية " الثورة " لكلّ هذا - و على وجه العموم مضامين موقع

Revcom.us

توزيعا واسع النطاق ، بما فى ذلك ، فى الجامعات و التقدّم كقوّة ملموة صلب الولايات المتحدة ترفض كامل إطار خطاب أوباما و أجندته .

الفصل الثالث : من إيران إلى الرفاق الثوريين فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا - الحزب الشيوعى الإيرانى (الماركسى – اللينينى – الماوي):

من إيران إلى الرفاق الثوريين فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا

الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي):

غرّة ماي 2011

شعب تونس و مصر وسوريا و فلسطين ... هو شعبنا أيضا! لقد قسّمنا الرجعيون و الإمبرياليون بإقامة الحدود إلاّ أنّ الإضطهاد و الإستغلال المشتركين وحّدا قلوبنا .
حينما عزّز معذّبو الأرض – العبيد و الفلاحون و العمّال و النساء و غيرهم من المضطهدين- قبضتهم و أطلقوا طاقاتهم من الأرض نحو آفاق التحرّر، بدأ يكتب فصل جديد من التاريخ- فصل لم يعد فيه هؤلاء دون صوت أو دون وجه بل صاروا اللاعبين الأساسيين .

فى الوقت الذى بدا فيه أنّ النظام الرأسمالي-الإمبريالي العالمي و الأوضاع السائدة التي أرساها فى شتّى البلدان أبدية و بدت إمكانية عالم آخر بعيدة المنال ، إستهلّت نضالات الشعب فى تونس و مصر فصلا جديدا فى التاريخ و رسمت بسمة على وجوه المضطهَدين و المستغَلين فى العالم . لقد وجهت إنتفاضات هذه الشعوب صفعة كبيرة للجوّ القاتم من اليأس و الوجود " الأبدي" ظاهريّا للوضع السائد الإضطهادي الخانق فى هذه البلدان . و عندما تحوّلت الإحتجاجات الكلامية للأمس إلى تمرّدات غاضبة و باتت العصابات الحاكمة الفاسدة مطروحة أرضا بخزي ، إستهلّت مرحلة مثيرة فى سيرورة التطوّرات فى الشرق الأوسط.و عندما تحرّكت هذه الشعوب بقوّة لتمسك بمصيرها بين يديها ، مثلت نموذجا لمعنى القوّة و الأمل لكافة مضطهدى العالم لأنّها خلقت لحظات جعلت من تحقيق احلام غير ممكنة ظاهريّا أكثر واقعية .

لقد أضرم محمّد البوعزيزي فعلا برميل البارود فى هذه المنطقة التي بعثت بدورها بموجات إرتدادية إلى البحرين و اليمن و الأردن و الجزائر و سوريا...و وجّهت ضربات مدمّرة للأنظمة العميلة للإمبريالية فى العالم العربي و دفعت ملايين الناس إلى المشاركة فى الحياة السياسية ، فاتحة أبوابا على نموّ طاقتها الهائلة.

أكثر من أي تيّار إجتماعي و سياسي آخر ، الشيوعيون هم الذين رحّبوا بهذا الإنفتاح الجديد.هذا من جهة و من جهة أخرى ، هزّ تفجّر هذه البراكين الشعبية هزّا لبّ الدول الرجعية فى المنطقة و كذلك الإمبرياليين الأوروبيين و الأمريكان الذين يعتبرون هذه المنطقة مفتاحا لهيمنتهم العالمية . و هم يبذلون جهدهم لأجل تدجين هذه التمرّدات .

حقّا ألهمت إنتفاضات الشعب فى تونس و مصر مئات الآلاف من الشباب و الشيوخ فى إيران و أفرزت صلب الشعب الإيراني إحساسا بالصداقة و المصير المشترك مع شعوب هذه البلدان . فقد

وجهت هذه التمرّدات ضربة جيدة للأفكار العفنة و الشوفينية المناهضة للعرب التي أنتجها وروّج لها نظام الشاه و كذلك نظام جمهورية إيران الإسلامية. و قد ذكّرت صرخات الشعب فى شوارع تونس و مصر منادية ب " الشعب يريد إسقاط النظام " ، الشباب المناضل و الجسور فى شوارع طهران بأنّه يجب القطع مع البرنامج و الأهداف الرجعيين لقادة " الحركة الخضراء " – أي " إصلاح النظام " و " إعادة إحياء عصر الخميني " . و ما من شكّ فى أنّ إحتجاجات الشارع المناضل فى طهران و مناطق أخرى و التي صدحت بأعلى صوت " بن علي ، ثمّ مبارك و الآن سيد علي" [إسم الخامئنى] ألهمتها إنتفاضات تونس و مصر و عبّرت عن الترحيب بها.

و فى ظروف التمرّد هذه ، تعلّمت جماهير الشعب– سواء كانت إيرانية أم عربية أم لاتينية أم إفريقية أم آسيوية أم أوروبية إلخ- بأنّ المضطهَدين من جنس واحد و أنّ أعداءنا كذلك من جنس واحد . إنّنا ، الشيوعيون الثوريون فى إيران نحيى شعوب تونس و مصر و سوريا و كلّ مكان آخر التي نهضت من أجل أن تقبر الإضطهاد و الإستغلال . و نحن فخورون بها و نثمّن عاليا ما توصّلت إليه هذه الإنتفاضات من مكاسب إلى الآن .

و النضال من أجل إنجاز ثورة حقيقية بالكاد بدأ. كان بن علي و مبارك مجرّد قادة النظام. و كان نظاماهما يديران جهاز الدولة . و دولتاهما كانتا تحميان نظاما إقتصاديا إجتماعيا إضطهاديا و إستغلاليّا . و قد نهض الشغب لأجل الإطاحة بالنظام القديم و حقّق إنتصارات هامّة. و مع ذلك ، يظلّ أمامه طريق متعرّج لأنّ **النظام** القديم لا زال مهيمنا و لم تقع الإطاحة به . ونجمت فرص كبرى لولادة عالم جديد. بيد أ،ّ أخطارا كبرى تحفّ هي الأخرى بتمرّدات الشعب الحديثة الولادة.

و المسألة المطروحة هي : ما هو الطريق للتقدّم و كيف سيكون معبّدا؟ دون شكّ ، ليست إعادة الهزيمة المُرّة للثورة الإيرانية أمرا مفروغ منه . و يمكن لدروس تلك الثورة المهزومة أن تكون ذات قيمة عظيمة للمقاتلين فى بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا . حينما هُزمت تلك الثورة ، تمّت إضاعة واحدة من أندر الفرص للتغيير الثوري فى إيران و التغيّر الجذري لوجه الشرق الأوسط . فلنبذل قصارى جهدنا حتى نحول دون تكرار هكذا خسارة بأشكال متنوّعة آملين أن تحتفل شعوب العالم مستقبلا و بفخر بإنتصار ثورة حقيقية فى هذه المنطقة .

<u>هزيمة الثورة فى إيران :</u>

فى 1979 ، إنتفض الملايين من العمّال و الفلاحين و الطلبة و من القوميّات المضطهَدة و أطاحوا بنظام الشاه الذى ولد نتيجة الإنقلاب الذى نظّمته السى آي آي ضد نظام الد. مصدّق سنة 1953 . و قد فاجأ الحدث الكثيرين خاصة و أنّه قبل سنة من ذلك ، صرّح الرئيس كارتر من الولايات المتحدة بأنّ إيران فى ظلّ الشاه " واحة إستقرار فى الشرق الأوسط " . و نتيجة سقوط الشاه ، إهتزّت هيمنة الولايات المتحدة على الشرق الأوسط .

حين تفجّر المجتمع الإيراني ، صعدت إلى الساحة السياسية عدّة تيّارات مختلفة لتتقدّم بأجنداتها السياسية و الإجتماعية و تتحكّم فى مستقبل شعب إيران . وضمنهم وجد الأصوليّون الإسلاميّون الذين كانوا شركاء فى إنقلاب الشاه-السى آي آي سنة 1953. و تحرّكت القوى الإمبريالية كذلك بيأس و بنشاط لمنع الإطاحة التامّة بتبعيّة الدولة الطبقية الإيرانية للإمبريالية و إجتثاث النظام الرأسمالي من إيران . لذلك إختارت التوحّد مع الأصوليين الإسلاميين و عبّدت الطريق لإستيلاء الخميني و أمثاله و حلفائه على السلطة بغاية ذات أولويةّ هي المساعدة على تحويل الثورة إلى ثورة مضادة . و بأوامر من الولايات المتحدة ، غيّر جيش الشاه ولاءه فصار فى خدمة الخميني . و بقدر كبير من الأوهام رحّبت الجماهير ببساطة قلب بمدرّعات الجيش و بالجنود، مقدّمة لهم الورود . فمثّل تغيير الشعار

الشعبي " الحرّية –الإستقلال" إلى " الحرّية - الإستقلال - الجمهورية الإسلامية " إشارة إلى كارثة بصدد التطوّر غير أنّ الشعب لم يدرك ذلك .

وإثر سقوط نظام الشاه ، قاد التحالف الأصولي الإسلامي و على رأسه الخميني إلى إعادة هيكلة الطغيان القديم فى شكل جديد من الطغيان الديني . و فى هذا تلقوا دعم الأحزاب البرجوازية التي عارضت نظام الشاه . و فى إستفتاء نظّمه التحالف الحاكم الجديد ، صوّتت غالبية الشعب ب " نعم " لجمهورية إسلامية . و إضافة إلى الجيش ، وقع تنظيم قوّة مسلّحة سمّيت فرق بزداران [الحرس الثوري]. و بالإعتماد على الكوادر الأمنية لنظام الشاه – السافاك السيئ الصيت – جرى إصلاح الجهاز الأمني و أعيد تنظيمه . و عوّض الدستور القديم بدستور جديد تيوقراطي أكثر رجعية بمئات المرّات- و مع ذلك فى ظلّ الجمهورية الإسلامية مثلما فى ظلّ نظام الشاه لم تكن للقانون أهمّية .

و عقب عدّة أسابيع من صعود الخميني إلى سدّة حكم النظام الملكي الإسلامي ، شرع فى هجوم على حقوق النساء و أصدر قرارا بإجبارية لباس الحجاب . و مثّل هذا الهجوم السافر الصعقة الأولى لأوهام الشعب . وبات واضحا – على الأقلّ بالنسبة للنساء الثائرات فى إيران – أنّ ما إفتكّ السلطة ليس الثورة و إنّما الثورة المضادة الخبيثة . و أمر الخميني بالقمع الدموي لحركة العرب فى خوزستان [جنوب إيران] فهاجم الجيش و فرق بزدران الفلاحين الذين نهضوا للحصول على الأرض و القوميات المضطهَدة التي كانت تطالب بالمساواة القومية فى أماكن مثل تركستان سهرا و كردستان . و هاجمت عصابات حزب الله و القوات الأمنية نقابات العمّال و جمعيات الفلاحين و المنظّمات الطلابية و نقابات الممرّضين و العمّال فى المستشفيات و المعلّمين و الأساتذة فى المعاهد و الجامعات إلخ . و غالبية هذه المنظّمات الجماهيرية التي كانت قويّة شكّلت أثناء التعبئة و التنظيم فلإطاحة بنظام الشاه. و العديد منها كان يقوده الشيوعيون الثوريون الذين خرجوا من السرّية و عادوا من المنافي و كانوا ينظّمون النضالات الثورية و مسك جماهير العمّال و الفلاحين و الجماهير الكادحة بدواليب المجتمع . و إنفجر صراع حاد بين الثورة و الثورة المضادة .

و كان هذا الصراع يخاض فى إطار وضع عالمي أشمل .حينما نهض الشهب الإيراني للإطاحة بنظام الشاه و أسياده الأمريكان، كانت الثورة المضادة بعدُ تغلق المجال عالميّا . حيث تراجعت الحركات الإجتماعية فى الغرب و قد أخفقت الحركات المناهضة للإستعمار و القومية للخمسينات و الستينات فى آسيا و أفريقيا التي حقّقت إنتصارات فى ظلّ قيادة قوى برجوازية وطنية ، أخفقت ببؤس فى إنشاء مجتمعات " أفضل " . و فى غالبية هذه الحركات كانت القوى الشيوعية مهمّشة . و فى عديد الحالات ،حلّت نفسها فى إطار جبهات تقودها القوى البرجوازية أو سحقتها القوى الإسلامية أو الوطنية أو الإمبرياليون أنفسهم [مثال ، وقع قتل مئات الآلاف من الشيوعيين فى أندونيسيا فى الستينات فى عمليّات مشتركة بين الجيش الأندونيسي و السى آي آي].

و من العوامل العالمية الأخرى التي جعلت الوضع غير موات إلى درجة كبيرة للشيوعيين الثوريين هو وفاة ماو تسى تونغ سنة 1976 و ما تلاه من إعادة تركيز الرأسمالية فى الصين الإشتراكية سابقا . و مثّل هذا الحدث أسوأ هزيمة للثورة العالمية . فقد تحوّل بلد كبير ضخم سكّانيّا كان فى السابق حصنا للثورة البروليتارية العالمية ، تحوّل إلى حصن للنظام الرأسمالي العالمي . تغيّرت الصين من بلد يسير على الطريق الإشتراكي إلى بلد رأسمالي خبيث. فكان لهذه الإنتكاسة إنعكاس سيّئ على العالم قاطبة . و ضمن مضطهَدى العالم ضعُف إلى درجة كبيرة الشعور بأنّ الثورة الإشتراكية هي الطريق الوحيد للتحرير . و إنطلقت القوى المتحكّمة فى العالم فى حملات عالمية ، حملات " موت الشيوعية ". و إضافة إلى ذلك ، جعل النزاع بين الكتلتين الإمبرياليتين المتصارعتين – الكتلة الغربية بقيادة الولايات المتّحدة و الكتلة الشرقية بقيادة الإتحاد السوفياتي السابق – الوضع فى منتهى التعقيد .[حينها كان الإتحاد السوفياتي دولة رأسمالية إمبريالية و الإشتراكية لم تكن سوى قناع] .

وزيادة على الوضع غير المواتي ، لعبت كذلك القوى الشيوعية فى إيران دورا سلبيّا - أي أخفقت فى وضع برنامج موحّد للبلاد كافة من أجل الإطاحة بالدولة القديمة و تحطيمها و تركيز دولة جديد ببرنامج ثورة إجتماعية.علّق غالبية الشيوعيين آمالهم على التطوّر العفوي للحركة العمّالية و تحوّلها إلى ثورة إشتراكية . لكن الثورة ليست مسألة عفوية . و إن تُركت إلى العفوية ،فإنّ القوى المنظّمة للطبقات الرجعية بالتأكيد ستمسك بزمام قيادة الجماهير و ستفرض برنامجها السياسي و الإجتماعي . و لم تتعامل القوى الشيوعية مع الطابع التيوقراطي للنظام الجديد تعاملا جدّيا و حتى غضّت الطرف عن تمرّد النساء ضدّه [تمرّد ضد أمر الخميني بإجبارية لباس الحجاب ، دام خمسة أيّام بداية من 8 مارس 1979] . و موضوعيّا أكّد الطابع التيوقراطي للدولة على مهمّة خوض الصراعات الإيديولوجية و تطوير نقد جريئ للدين.بيد أنّ القوى الشيوعية فى إيران ، أدارت ظهرها لهذه المهمّة ، معتقدة أنّ المركزي فى نبذ التأثيرات الإيديولوجية للنظام الإسمي سيكون التشديد على " المشاكل الإقتصادية " و آملة أنّه مع " تفاقم سوء الوضع الإقتصادي" سيدخل العمّال فى إضرابات و بالتالى ينجزون إنتفاضة . و نتيجة هذه النظرة كانت نزعة إقتصادوية بحتة ركّزت على الإهتمام مشاكل العمّال " المباشرة" . لكن فى الواقع لإرساء الجمهورية الإسلامية ، جرى دوس أهمّ حقّ من حقوق العمّال - أي أنّ الثورة التي حملت فى طيّاتها إمكانية القضاء على الإضطهاد و الإستغلال وقع الإستيلاء عليها و حُرمت الطبقة العاملة من هذه الفرصة التاريخية. و كان **هذا** هو المشكل الأكثر إلحاحية بالنسبة للطبقة العاملة و القوى الإجتماعية الأخرى المضطهدة و المستغَلّة فى المجتمع . إلاّ أنّه حينئذ لم تكن القوى الشيوعية قادرة على التعبير عن هذه الحاجة و على تمثّلها .

و ظهر ، فضلا عن ذلك، إنحراف كبير بشأن طبيعة التعارض بين الجمهورية الإسلامية و الإمبريالية الأمريكية . إذ برز خطّ يميني داخل الحركة فصل النضال ضد الإمبريالية عن النضال ضد الحكم الرجعي للقوى الإسلامية.فى حين أنّ القوى الإمبريالية و الطبقات الرجعية " المحلّية " فى الواقع تمثّل لحظتان مختلفتان من نفس النظام الطبقي العالمي و للتناقض بين الأصولية الإسلامية و الإمبريالية الذى ميّز المسرح السياسي فى إيران و الشرق الأوسط ، طابع رجعي و بالفعل يمثّل طرفا هذا التناقض أنظمة إجتماعية رجعية فاسدة ينبغى الإطاحة بها .

و إجتمعت هذه العوامل الموضوعية و الذاتية و فتحت الطريق أما إستيلاء القوى الأصولية الإسلامية على السلطة فى إيران سنة 1979 . و قد جرت معالجة الأزمة الثورية التي أفرزها الصراع الطبقي فى المجتمع على نحو سلبي كانت نتيجته ثلاثة عقود من الآفات عانت منها الطبقة العاملة و الشعب الإيراني و كان لها الوقع السلبي الهائل على تيّار الثورة فى الشرق الأوسط و كذلك عبر العالم إذ هي عزّزت الجوّ العام للثورة المضادة . صحيح أنّ الشيوعيين الثوريين فى غيران كانوا متشتّتين وواقعين فى أزمة سياسية و إيديولوجية غير أنّهم قاتلوا ببطولة لمنع إجهاض الثورة و تحويلها إلى ثورة مضاد . و كانت المعركة على أشدّها بين الثورة و الثورة المضادة فى المصانع و الجامعات و الريف ، وفى نقابات المعاهد و المستشفيات و فى ساحات الحرب الثورية . وفى النهاية تمكّنت الجمهورية الإسلامية من تعزيز سلطتها .

وبالفعل يعدّ تعزيز النظام التيوقراطي فى إيران حلقة من حلقات الوضع العالمي العام و الهيمنة الإحادية الجانب للثورة المضادة .
والآن خلقت الإنتفاضات فى تونس و مصر موجة جديدة من الأمل فى العالم. و بوسع النضال فى هذه البلدان أن يقفز إلى مستويات أعلى و يجعل الشعب الثوري يواجه جدّيا الدول الحاكمة برمّتها وهي دول الطبقات الإستغلالية المحلّية المرتبطة بالنظام الرأسمالي العالمي و تستند إلى قوى قانونية و نظامية كالجيش .

إزاء هذا الفصل الجديد من الصراع الطبقي ، ما هي مهام الشيوعيين فى هذه البلدان و كذلك فى كافة المنطقة و فى العالم ؟ هل ستستطيع الموجة الجديدة من الصراع الطبقي ، تتخطّى الثورة المضادة و الموجات المناهضة للشيوعية للأربعة عقود الماضية و تضع الثورة على رأس جدول أعمال إنتفاضات الشعوب فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا و عبر العالم بأسره و هل ستستطيع أن تفتح أذهان الناس لتقبّل الشيوعية و الثورة الشيوعية بإعتبارها السبيل الوحيد للتخلّص من الأنظمة الرجعية فى هذه البلدان و من النظام الإمبريالي العالمي أيضا ؟

إعادة وضع الثورة على راس جدول اعمال الحركات :

إنّ الثورة مجال للنزاع و التحدّي بين مختلف الطبقات. و قد شاهدنا هذا فى تجربة إيران و اليوم يمكننا مشاهدة ذلك فى تونس و مصر و البلدان الأخرى التي عرفت نهوضا شعبيّا .

فى تونس و مصر و بلدان أخرى ، من جهة تسعى مراكز القوى المحلّية و العالمية إلى تهدئة الشعب و إرضائه بتقديم بعض التنازلات المحزنة أو غالبا بتغيير حرّاس النظام . و من جهة أخرى ، هناك فرصة و إمكانية عظيمة لتوجيه مزيد الضربات للنظام القديم و فى النهاية لتحطيمه عبر ثورة حقيقية. و هذان طريقان مختلفان راديكاليّا . لئن كسب الطريق الثاني، لا ظلّ للشكّ أنّ وجه هذه المنطقة و العالم سيتغيّر لصاح شعوب هذه المنطقة و شعوب العالم . غير أنّه لجعل الطريق الثاني المنتصر ، ينبغى أن يتوصّل ملايين الناس إلى معرفة ما هي الثورة الحقيقية و ما هي طبيعة المجتمع الذى يحتاجون إليه و يريدونه و ما هي طبيعة القيادة الطبقية التي بمقدورها أن تقود نحو تحقيق ذلك. ودون إكتساب الملايين للوعي على هذا النحو و تنظيم صفوفهم للقتال من أجل هذا الهدف ، بإمكان الأعداء أن يبيعوا أي شيء للناس بإسم " الثورة ". و قد رأينا هذا فى حال الثورة الإيرانية لسنة 1979. و بالنتيجة ، فى إيران ، ظلّ الوضع جوهريّا على حاله و حتى صار أسوأ . إذا إفتقد الشعب حركة شيوعية ثورية قادرة على تقديم إجابات على " ما الذى نريده" إنطلاقا من موقف البروليتاريا و المضطهَدين و المستغَلين الآخرين فى المجتمع و قيادة الجماهير فى القتال من أجل هذا الهدف ، إذا إفتقدنا ذلك ، فإنّ الطبقات الرجعية و ممثّليها سيفرضون أجندتهم الخاصّة على الجماهير و يقولون لها " ما الذى يجب أن تريد " .

تحطيم هياكل الحكم السياسي برمتها على أيدى شعب ثوري واعي و إنشاء دولة طبقية جديدة تهدف إلى و بإمكانها أن تفتكّ السلطة و ملكية وسائل الإنتاج من طبقات الرأسماليين و الملاكين العقاريين الكبار و كذلك الإمبرياليين، دولة ستستمرّ فى التخلّص من الإختلافات الطبقيّة و تلغى كافة العلاقات الإجتماعية الإضطهادية. و هذه السيرورة بأسرها عسيرة و دموية و لن تكون ممكنة البلوغ دون حزب ثوري (حزب شيوعي) و جيش شعبي حقّا.لكن كيف يمكن لهكذا سيرورة أن تنطلق ؟ هل ستظهر حركة شيوعية جديدة أجندتها المركزية هي قيادة ثورة حقيقية من صلب هذه الحركات الكبرى؟ و هذه مسائل ملحّة تستوجب الإجابة و بإمكان ثوريي هذه البلدان تقديم هذه الإجابة .

مناورات مختلف القوى السياسية و الإجتماعية لتحديد مآل الصراع:

عندما أضحى من الأكيد بالنسبة للقوى الإمبريالية أنّه لم يعد بإمكانها أن تنقذ عملائها بن علي و مبارك، غدت فجأة مناصرة ل " شعب " تونس و مصر لكي تجد نفسها فى موقع التحكّم فى الأزمة السياسية فى هذه البلدان و تمسك بالدقّة و تقود " العملية الإنتقالية" إلى نظام جديد . و قد عبّر أوباما عن السعادة لسقوط مبارك . و صرّح سركوزي بنيته إبقاء فرنسا " دائما " إلى جانب الشعب العربي و فى مواجهة الأنظمة الرجعية فى هذه البلدان ! هؤلاء الناس لا يعرفون حدودا للكذب و المغالطات . و الآن تحت قناع " التدخّل الإنساني" يغزون ليبيا وهم منشغلون بصناعة نظام ما بعد قذّافي بجمع

بعض الجنرالات و وزراء القذّافي اللئيمين السابقين الذين قفزوا بشناعة خارج السفينة المكسورة. بإختصار ، تعمل القوى الرجعية فى هذه البلدان و يعمل الإمبرياليون جهدهم لتقليص دور الجماهير إلى أدناه و لإيقاف تطوّر وعيها و حركتها من أجل تغيير جذري .

فى تونس ، يسعى بقايا بن علي للمحافظة على خنادقهم . و فى مصر يسعى الجيش الذى كان حجر الزاوية فى نظام مبارك إلى صيانة نظام مبارك دون مبارك . وفى العقود الثلاثة الماضية ، قاد هذا الجيش سيرورات ثلاث : واحدة ، حراسة وجود إسرائيل ، و ثانية ، قمع شعب مصر، و ثالثة ، فتح حدود مصر أمام الإقتصاد الليبرالي الجديد النزق الذى أدّى إلى فقر و بطالة غير مسبوقين من جهة و تكديس للثروة الطائلة الأسطورية بين يدي الرأسماليين المرتبطين بجهاز الدولة من جهة أخرى .

و كذلك تحاول قوى إجتماعية رجعية أخرى مثل الإخوان المسلمين أن تركب حركة الشعب و أن تتوصّل إلى صفقة جديدة مع الكتل المهيمنة من الطبقات الحاكمة. صحيح أنّ قوّة الأصوليين الإسلاميين فى مصر ليست كقوّة الأصوليين الإسلاميين فى إيران خلال 1979، إلاّ أنّ هؤلاء الرجعيين يمكن أن يعقدوا صفقة مع الإمبرياليين و إسرائيل - الذين يسعون بيأس إلى تركيز " إستقرار" فى مصر و منع إنتشار النار إلى بلدان أخرى فى المنطقة- و يخرجوا من مقبرة التاريخ و يغدون سادة الشعب. و تتفاوض القوى الأمريكية و الأوروبية مع قادة هذا الحزب و هم يعرضون عليه أن " يعدّل " إسلامه ليتحوّل إلى تنظيم شبيه بحزب العدالة و التنمية التركي و ليستعدّ للمشاركة فى السلطة . من وجهة نظر الإمبرياليين لا يطال هذا " التعديل " البرنامج الإجتماعي للإخوان بل يطال القبول بأمرين إثنين : اوّلا ، الإبقاء على إتفاق كامب دايفد مع إسرائيل و ضمان الوضع القائم لقناة السويس- وهما ركيزتان فى تبعية مصر السياسية و العسكرية للنظام الإمبريالي العالمي- و ثانيا ، عدم إعاقة رأس المال الأجنبي فى مختلف مجالات الإنتاج و السياحة - أي السلاسل التي تربط مصر بالنظام الرأسمالي العالمي .

تبيّن الأحداث فى مصر أنّه من أجل الحيلولة دون تحطيم حركة الشعب القادرة على قيادة ثورة حقيقية ، من الضرورة بمكان نقد الدين كبنية للإضطهاد و الإستغلال و نشر هذا النقد على نطاق واسع . و يشمل النضال ضد النظام القديم أيضا تحدّى البرنامج السياسي و الإقتصادي و الإيديولوجي للإخوان و هياكل سياسية إسلامية أخرى فى الشرق الأوسط (مثل قيادات الحركة الخضراء فى إيران و حماس فى فلسطين و حزب الله فى لبنان إلخ) . و اليوم نلاحظ أنّ هذا الوعي يَنبُت فى صفوف الجيل الجديد من المناضلين فى البلدان العربية و بخاصّة ذو دلالة هو رفع الحركة النسوية فى تونس مطلب فصل الدين عن الدولة .

و من الهام للغاية التوصّل لمعرفة الطرق و الوسائل المعقّدة التي يستعملها الأعداء الطبقيّون . للإمبرياليين و الطبقات الرجعية المحلّية الحاكمة فى بلدان ما يسمّى بالعالم الثالث تجارب كبرى فى منع الحركات الشعبية من بلوغ الإنتصار . و حيثما و كلّما لم تستطع أن تسحق هذه الحركات ، تقدّم خليطا من مختلف القوى الطبقية من النظام القديم بإسم " التغيير" و تدريجيا تعيد تركيز الوضع القديم . و تدمج فى هذا المسار كذلك مساعدة القوى السياسية البرجوازية التي كانت فى الأنظمة السابقة توجد فى موقع " المعارضة ". و أحيانا حتى بعض القوى الثورية التي قاتلت لسنوات عدّة للإطاحة بالدول الرجعية و قدّمت تضحيات جسام ، تسقط فى خدعة ما يسمّى " الحلول الديمقراطية " لهذه القوى و تشارك فى ألاعيبها السياسية و على هذا النحو تسبغ الشرعية على السيرورات " الإنتقالية " الرجعية و الإمبريالية و تسعدها على إصلاح نظامها القديم الذى تفكّك بفعل نضالات جبّارة.لنتذكّر السيرورات التي دفع بها الإمبرياليون و دفعت بها القوى الطبقية البرجوازية المحلية فى الفيليبين فى الثمانينات و كذلك فى أندونيسيا فى التسعينات . فى الفيليبين تمّت الإطاحة بماركوس البغيض و فى أندونيسيا بسوهرتو البغيض أيضا. وكان الإثنان على رأس نظامين رجعيين دمويين و فاسدين

و دولتين عميلتين للإمبريالية . و تمرّدت جماهير الشعب- من العمّال و الفلاحين و المثقّفين- ضدّهما لكن كذلك قفزت القوى البرجوازية و الرجعية التي كانت فى تعارض مع هتين العصابتين ، قفزت بنشاط إلى المسرح السياسي و عقدت صفقة مع الإمبرياليين و تحصّلت بموجبها على تقاسم للسلطة السياسية و بالمقابل ساعدت على تمرير سيرورة " إنتقالية " كانت تخدم مصالح الإمبرياليين و الرأسماليين الكبار و الملاكين العقّاريين الكبار لهذه البلدان . و أيضا تحوّلت الثورة الإيرانية إلى ثورة مضادة مفزعة بفعل تعاون الإمبرياليين و الأصوليين الإسلاميين و قوى قومية برجوازية .

إن كان لدي العمّال و الفلاحين و النساء و الشباب و المثقفين فى إيران ، سنة 1979 ، حزبا كالحزب البلشفي بقيادة لينين (خلال ثورة أكتوبر 1917) أو حزبا مثل الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسى تونغ (خلال الثورة الصينية التي حقّقت الظفر سنة 1949 ، عقب خوض حرب ثورية إستغرقت سنوات عدّة) ؛ إن كان لدي الشعب حزبا من هذا القبيل بإمكانه على الأقلّ توحيد جزء من الجماهير الناهضة حول برنامج ثورة ديمقراطية جديدة فثورة إشتراكية و بالتعويل على هذه الجماهير ينظّم جيشا أحمر لتحطيم الدولة القديمة – و بخاصة الجيش حجر زاويتها – و صدّ الأصوليين الإسلاميين ، لصارت إيران و لصار الشرق الأوسط بأكمله فى وضع مغاير جذريّا لما هو عليه الآن .

وفى السنوات الأخيرة كذلك ،جابهنا تجاربا مريرة . ففى النيبال ، قادت القوى الثورية بتوجيه من الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) حرب شعب ملهمة طوال سنوات عشر منذ 1996 . لكن إثر الإطاحة بالنظام الملكي / دخلت هذه القوى الثورية فى إتفاقية مع الإمبرياليين و القوى الرجعية و البرجوازية المحلّية و شاركت فى إدارة الدولة. و هكذا ساهمت فى إصلاح ذات النظام القديم ، و هذه المرّة تحت إسم الجمهورية . و لم يشهد وضع الجماهير النيبالية التي قدّمت التضحيات لسنوات عشر تغيّرا و ظلّت البلاد بين براثن النظام الرأسمالي العالمي و طبقات الرأسماليين و الملاكين العقّاريين الكبار شأنها فى ذلك شأن بلدان أخرى بتلك المنطقة .

و تبرز هذه التجارب أنّ كلّ طريق " وسطي" تنجم عنه إعادة هيكلة لنفس النظام القديم بأشكال جديدة. و لبلدان الشرق الأوسط تجربة كافية فى شتّى صنوف الطرق " الوسطية " . و لقد حان الوقت لوضع الثورة – الثورة الحقيقية - على رأس جدول أعمال هذه المنطقة .

ليست هناك حدود بين التجارب الحُلوة لإنتصار الثورة و التجارب المُرّة للثورات التي فشلت . إنّما هي تجارب عالمية لأنّ كلاًّ من البرجوازية و البروليتاريا طبقتان عالميّتان . و لا داعى لإعادة التجارب المُرّة السابقة و الآن تراقب شعوب المنطقة ما يحدث فى تونس و مصر لترى هل أنّه بإمكان الشعب فى النهاية أن يقطع " سحر" الهزيمة و يصنع ثورات حقيقية فى هذه المنطقة.

<u>أوهام الطبقات الوسطى :</u>

لتيّارات الطبقات الوسطى و نظراتها دائما وزن كبير فى الحركات الإجتماعية . و على وجه العموم تنحو هذه الطبقات نحو " الحلول " الوسطية . إنّها تعارض الإطاحة الثورية بالدول برمّتها و ترغب فى تحديد هدف التحرّكات فى مجرّد " إصلاح " الهيكلة السياسية للنظام ذاته. وهي تخشى " تجذّر" التحركات و ظهور قيادة شيوعية . و قد عزّزت الهيمنة الإيديولوجية للثورة المضادة على الجوّ العام فى العالم ، فى العقود الأربعة الماضية ، إلى درجة كبيرة هذه التوجّهات فى كافة أنحاء العالم . و قد إعتبرت القوى الإمبريالية ذلك كتيّار إيديولوجي مناسب لمصالحها فدعّمت تطوّره . ومع الهجوم الإيديولوجي للإمبرياليين و أتباعهم من المثقّفين المعادي للشيوعية ، توطّدت هذه النزعات و ساعدت على إنتشار الفكرة الرجعية و الإمبريالية ل" موت الشيوعية ".

وفى الوقت الراهن ، حتى و إن جرى فضح الرأسمالية بكلّ أشكالها فضحا مربكا ، لا سيما عولمتها الليبرالية الجديدة الأخيرة ، فإنّ الأصولية الإسلامية بيّنت وجهها القبيح ؛ و أثبتت القوى القومية تهرّبها من أن تدخل أدنى التغييرات لفائدة جماهير المضطهَدين و المستغَلين لكنّها لا تزال بلا خجل تقرع طبول " موت الشيوعية ".

آجلا أم عاجلا سيتحالف الممثلون السياسيون للنزعات الطبقية الوسطية مع الأحزاب السياسية فى السلطة و مع الإمبرياليين. وهم يقومون بذلك سيحاججون دوما بأنّه " ما من مخرج آخر فى الوقت الراهن". و مثال ذلك " الحركة الخضراء " فى إيران التي ظهرت فى 2009 عقب تزوير الإنتخابات من قبل العصابة الحاكمة لأحمدى نجاد ضد ما يسمّى الجناح " الإصلاحي" للجمهورية الإسلامية. و مرّة أخرى ، بيّن تركيز قيادة جناح من أجنحة النظام فى هذه الحركة كيف تقع الطبقات الوسطى تحت قيادة التيارات الرجعية و تحاول أن تجرّ معها كافة الحركة الشعبية . وفى النهاية ستعنى هيمنة هكذا تيّار على أية حركة موتها كحركة تغيير و تحرّر .

و عن وعي تسعى التيارات السياسية المعبّرة بشكل مركّز عن رؤية الطبقات الوسطى و مشاعرها إلى تحديد مهام الثورات فى إسقاط " الدكتاتوريين" ، لكن على المرء أن يتساءل : ألم تقع من قبل الإطاحة بدكتاتوريين على غرار الشاه و ماركوس و سوهرتو و آخرون أمثالهم ؟ أجل تمّت الإطاحة بهم إلاّ أن دولة طبقتهم و نظامها لا تزال قائمة الذات! و الإطاحة بهؤلاء " الدكتاتوريين" مهم للغاية لأنّهم تعبيرات مركّزة عن النظام الحاكم.غير أنّهم لا يمثّلون النظام برمّته. و لو ظلّ نظامهم و ظلّت هيكلة دولتهم على حالها، عاجلا أم آجلا، سيقع إنتاج " دكتاتور آخر". لا يجب أن نختزل " الدكتاتورية" فى الأشخاص الطغاة الذين يمثلون رموز هذه الأنظمة . كافة هذه الأنظمة دكتاتوريات الطبقات الرأسمالية . و دولها دول دكتاتوريات طبقية لهذه الطبقات **ضد** الطبقة العاملة و الفلاحين و الكادحين الآخرين فى المجتمع .

و حاليا ، فى غالبية العام ، يُعدّ غياب قطب شيوعي ثوري ضمن الإنتفاضات الإجتماعية من العراقيل الهام أمام توجه تحويل هذه الإنتفاضات إلى حركات ثورية. ولا يمكن معالجة هذه القضية بتبنّى الحلول " الوسطية " . و حتى على المستوى " التكتيكي" ، أفضل حلّ لهذه القضيّة هو بناء قطب شيوعي ثوري فى قلب الإنتفاضات الراهنة و عدم إرجاء هذه المهمّة لوقت " لاحق و مناسب أكثر" .

الحركة الشيوعية ، حاجة ماسة :

يحاول الإمبرياليون اليوم بمعيّة أطياف متنوّعة من القوى الطبقية ، قدر طاقهم منع الأزمة السياسية الراهنة فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا من التحوّل إلى أزمة ثورية . ما الذى ستفعله طبقتنا – البروليتاريا ؟

إنّ المهمّة الأهمّ و الأكثر إلحاحية بالنسبة للبروليتاريا هي تقديم حلّها الشيوعي والإشارة إلى الطريق الذى يجب سلوكه. فى الأسابيع العديدة الماضية ، غالبا ما عملت القوى الشيوعية فى الشرق الأوسط على كسب مساندة جماهيرية عبر التحوّل إلى قوى ديمقراطية و ليس عبر النشر الجريئ للنظريات و السياسات الشيوعية و بناء أسس شيوعية فى صفوف العمّال و الجماهير القاعدية فى المدن و الأرياف و النساء و الشباب الثائر و الطلبة المناضلين . لهذا يمكننا أن نقول إنّنا كشيوعيين لم نكن فى غالب الأحيان شيوعيين. هذا من جهة و من جهة أخرى ، كان الأصوليون الإسلاميون الذين تمثّل نظرتهم مجتمعا رجعيّا ظلاميّا يقومون بدعاية حماسية ناشرين إيديولوجيتهم و قيمهم المجتمعية . وبالطبع من الواجب هنا التذكير بأنّهم غالبا ما كانوا يتلقّون الدعم من القوى الإمبريالية و إسرائيل بينما كان الشيوعيون مطاردين و كان عليهم العمل فى السرّية . و مع ذلك لا ينبغى أن ننسى حقيقة

تاريخية ألا وهي انّه لم تصبح القوى الشيوعية قطبا فى المجتمع و لم تمدّ جذورها ضمن المضطهَدين و المستغَلين لا سيما الطبقة العاملة ، **إلاّ عندما** لم تخف أفكارها و قدمت بجرأة برنامجها المجتمعي و إستراتيجيتها السياسية الثورية لإفتكاك السلطة،على الساحة السياسية . و لم تدّخر جهدا من أجل القيام **بذلك** . إنّ جماهير المضطهَدين و المستغَلين تقدّرنا – نحن الشيوعيين - لأفكارنا و برنامجنا من أجل بناء مجتمع و عالم مغايرين و ليس ل " ديمقراطيتنا " و تعاطفنا مع مطالبتها بالخبز اليومي . تقديم و نشر موقفنا و طريقتنا و برنامجنا و إيديولوجيتنا الشيوعيين فى صفوف الشعب ليست مهمّة نرجئها للمستقبل . من الحيوي و الملحّ أن نفتح **طريقا آخر** متباينا مع تلك الطرق التي يروّج لها الإمبرياليون و الرجعيون و القوى البرجوازية .

لقد خبرت شعوب الشرق الأوسط و شمال أفريقيا أكثر الأشكال الوحشية للإستعمار و الإمبريالية ؛ و ذاقت إفلاس القومية فى نسخاتها المتعدّدة ، فكر مصدّق ، فكر عبد الناصر، فكر البعث ، فكر عرفات ؛ و قد خبرت الأصولية الإسلامية التي إستولت على الحركات المناهضة للإمبريالية فى هذه المنطقة و فرضت على الشعب أكثر العلاقات الإجتماعية و الثقافية الرجعية القروسطية بإسم " طريق التحرير".

و الحقيقة الكبرى التي تثبتها وقائع العقود العديدة الماضية فى بلدان الشرق الأوسط هي أنّه دون حركة شيوعية ،دون وجود قطب شيوعي فى المجتمع ، لن تكسب جماهير الشعب الوعي الضروري حول لماذا يقترح النظام السياسي الإقتصادي الإجتماعي الرأسمالي (سواء كان فى شكل جمهورية علمانية أم نظام ملكي أم أنظمة عسكرية) جرائما لا تحصى؟ و ما معنى النظام المجتمعي الجديد ؟ و فضلا عن ذلك ، دون الوعي الضروري لا يمكنهم الحكم على الطبيعة الحقيقية للقوى السياسية النشيطة فى الساحة و ما تدعو له و تعد به . دون حركة شيوعية (و بهذا نقصد حركة شيوعية ثورية تقف فى وجه النظام الحاكم و ليس ما يسمّى أحزابا شيوعية غدت جزءا لا يتجزّأ من سير الأنظمة السائدة) لن تتمكّن الجماهير مطلقا من رؤية نظام سياسي و إقتصادي و إجتماعي مغاير جذريّا- لن تتمكّن مطلقا من معرفة حقيقة الثورات الإشتراكية للقرن العشرين فى روسيا و الصين و التغييرات المذهلة التي طرّأت على الوضع الإنساني .

<u>للقيام بثورة يجب أن يوجد حزب ثوري:</u>

لأجل قيادة الصراع من أجل الثورة يجب أن يوجد مركز سياسي – لكن ليس أيّ مركز سياسي- يجب أن يوجد مركز مركز له خطّ ثوري – مركز يسطّر الخطوات اليوميّة و عينه على إنجاز ثورة . ليس بوسع البروليتاريا و الجماهير الأخرى المضطهَدة و المستغَلة أن تعبر مظفّرة طريق الثورة المليئ منعرجات و إلتواءات دون أن تملك قيادتها السياسية الخاصّة ، حزبها السياسي. ليس بوسعها أن ترى و تحلّل المصالح الطبقية وراء الوعود و الإدعاءات التضليلية للأحزاب السياسية القائمة بالتعويل فقط على إنفعالاتها.و الحزب السياسي ليس طائفة أو تجمّع سياسي من ضمن تجمّعات أخرى فى المجتمع . إنّه نظرة للعالم و برنامج سياسي و إجتماعي . إنّه طريق .

الحزب الشيوعي حزب طبقة. و البروليتاريا هي الطبقة التي يعتمد عليها سير المجتمع الإضطهادي . و البروليتاريا نفسها ضحية لسير هذا النظام . لهذا بالإطاحة التامّة بهذا النظام ليس للبروليتاريا ما تخسره سوى قيودها. لكن البروليتاريين كأفراد ليسوا واعين بهذه الحقيقة . و ينحو العديد منهم إلى الدخول تحت جناح برامج الأحزاب البرجوازية . و يجب أن نكون صرحاء و نزهاء مع الجماهير الشعبية. يجب أن نبيّن لها أوهامها و أن نشير إلى أن مستوى الوعي المتدنّى عادة ما يفضى بالجماهير إلى أن تساعد بنزاهة و براءة أعداءها هي. و من مهام الأحزاب البروليتارية أن تجلب هذا الوعي إلى المضطهَدين و المستغَلين و أن تنظّمهم من أجل الثورة البروليتارية .

و علاوة على ذلك ، لا يمكن أن تحقّق ثورة بروليتارية النصر دون جبهة عريضة تضمّ كافة الطبقات و الفئات الغاضبة.كلّ الذين أقرفهم النظام يمكن أن يجدوا موقعا تحت راية الثورة البروليتارية و يتحدوا مع البروليتاريا دون أن يصبحوا هم ذاتهم شيوعيون . عوض ان تتحد البروليتاريا مع البرامج الديمقراطية البرجوازية لتيارات غاضبة أخرى ، على هذه التيّارات الأخيرة أن تتحد مع البروليتاريا حول برنامج **الديمقراطية الجديدة .** نعم ، نحتاج إلى جبهة ! غير أنّه ينبغى أن يكون واضحا على أي أساس من الإستراتيجيا السياسية تقام الجبهة ؛ لتعبيد أية طريق ، و للقتال من أجل أي برنامج مجتمعي ؟ بإختصار :بقيادة أية طبقة ستكون ؟

لنناضل ضد النزعة السائدة فى العالم ، النزعة المناهضة للشيوعية و لقيادة حزب شيوعي . لنشدّد على أنّ جماهير الشعب تحتاج إلى قيادة شيوعية . ذلك أنّ الشيوعيين وحدهم هم الذين يقدّمون حلاّ حقيقيّا لتحرّرها . لنكنس التراب الذى أهاله الإمبرياليون و الرجعيون على أحلام الشعوب فى التحرّر و لنضع جانبا تعلاّت مثل:خطوة خطوة، و بعد تغيير ديمقراطي ، و بعد الإطاحة بالدكتاتوريين إلخ .

<u>مرّة أخرى الثورة ، مرّة اخرى لنحثّ الخطى من أجل إفتكاك ثوري للسلطة :</u>

يجد الشيوعيون الثوريون اليوم أنفسهم ، فى بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا ، ضعفاء و قليلي العدد ... و مع ذلك إن قامت هذه القوى الصغيرة ذاتها بالتحليل الصحيح لتجارب القرن العشرين للثورات الإشتراكية فى روسيا و الصين ، و على ضوء تلخيص المكاسب العظيمة المحقّقة و كذلك الهنات الهامّة لهذه الثورات ، يتوصّلون لفهم أكثر تطوّر لطبيعة وروابط المجتمعات الإشتراكية المستقبلية و دول دكتاتورية البروليتاريا ؛ و إلى ذلك يحلّلون التغييرات التي حصلت فى الهياكل الإقتصادية – الإجتماعية لمختلف المجتمعات فى المنطقة و على ضوء ذلك يرسمون إستراتيجيا ظفر ثورية لهذه البلدان – عندها يمكن لهذه القوى الصغيرة أن تأثّر تأثيرا ضخما فى الوضع الموضوعي .

و مهمتنا ليست محدّدة بالوضع القائم. فكلّ وضع يعجّ بالتناقضات و يمكن أن يتغيّر عبر العمل الثوري . و بإمكان المبادرات الجريئة للقوى الشيوعية الثورية – طالما أنّها مرتكزة على الديناميكية الموضوعية – أن تأثّر تأثيرا تغييريّا كالصدمة على الوضع و أن تغيّر معايير الساحة السياسية لصالح ثورة حقيقية .

و من الواضح أنّ الثوريين لا يستطيعون أن يقودوا ثورة كما يحلو لهم و بالإعتماد فقط على الإرادة . لكن من الواضح أيضا أنّ فى الجوّ العام الإيديولوجي الراهن الذى صاغته عقود عديدة من الحملات العالمية ل" موت الشيوعية" و " موت الثورة " ، الخطر الأساسي ليس الإرادة و المبالغات الثورية . وفى الوقت الراهن، تعدّ " الواقعية " التيّار الرائج . كما صار رائجا أيضا تقديم تنازلات للأصوات " الديمقراطية " و دعوة الشيوعيين للهدوء و تبنّى رؤية وبرنامج الديمقراطيين .

بيد أنّه لا يمكن للشيوعيين و لا ينبغى عليهم أن يمضوا مع هذا التيّار لأنّ ملايين الناس طفقوا يشاركون فى الحياة السياسية و فى هذا المجال المضطرب يبحثون عن طريق ؛ و هم ينظرون إلى مستقبل له مغزى – مستقبل ممكن فقط عبر تغييرات ثورية إشتراكية .

<u>الثورات الإشتراكية للقرن العشرين و ما بعدها :</u>

من واجب الشيوعيين فى العالم فى إتحاد مع شيوعيي تونس و مصر و سوريا و فلسطين ... أن يصرخوا بأنّ الإشتراكية أفضل ألف مرّة من الرأسمالية و بأنّ الشيوعية التي هي هدفنا النهائي وقوامه

أفضل مئات المرّات المضاعفة من الإشتراكية . لقد مثّلت الثورات الإشتراكية للقرن العشرين إنتصارات كبرى من أجل تحرير الإنسانية . وفى ظلّ قيادة الشيوعيين الثوريين و عبر إنجاز الثورة الإشتراكية ، جرى تحرير الصين . و قبل ذلك ،كانت بلدا يعدّ مئات الملايين من الفلاحين الذين ينهشهم الجوع و تنهشهم العبودية ، و نساء عبيد للرجال و كانت مدن كبرى مثل شنغهاي يتقاسمها المستعمرون الفرنسيون و البريطانيون و الألمان و على مطاعمها كانت تكتب " ممنوع على الكلاب و الصينيين" !

قبل الثورة الإشتراكية لسنة 1917، كانت روسيا ترزح تحت نظام إقطاعي قاسي و كان يحكمها الطغيان القيصري. و كان الإضطهاد القومي على درجة من القبح و الإنتشار فى روسيا بحيث قيل إنّها كانت " سجن الأمم ". وكان عمّال المصانع يموتون بسبب موض السلّ بنسب عالية فى مساكنهم بالحياء الفقيرة.

و قبل الثورة الإشتراكية ، كانت الصين ترزح تحت نير الإستعمار و الإقطاعية. و كانت بلدا جائعا و كذلك متخلّفا تغلغل فى أوصاله الدين و الخرافات . وبفضل الثورة تخلّص المجتمع من كافة هذه الآفات فى غضون بضعة سنوات. و بفضل الثورات الإشتراكية ، أنجزت روسيا و الصين فى سنوات قليلة ما أنجزته البلدان الأوروبية فى قرون . قارنوا هذه التعبيرات التي لا تصدّق بالحركات المناهضة للإستعمار فى الخمسينات و الستينات فى آسيا و أفريقيا و التي كانت تحت قيادة القوى القومية . و أفرزت هذه الحركات حماسا و أملا كبيرين لكنها لم تقدر أبدا أن تجتثّ العلاقات الإقطاعية المتخلّفة و القطع مع النظام الرأسمالي العالمي. و إثر صراعات كبرى و تضحيات جسام من قبل الشعب أعيدت هيكلة أنظمة الإضطهاد و الإستغلال بوجه مغاير.

و الآن لننظر إلى حال إيران . ركبت القوى السياسية الإسلامية ظهر الحركة الشعبية المناهضة للنظام الملكي و توصّلت إلى السلطة.و لم تحافظ على أسس النظام عينه فحسب بل جعلته أسوأ حتى . و الفرق بين الثورة الإشتراكية و " الثورات " الأخرى فرق شاسع نوعيّا. يجب الإعتراف بهذه الحقيقة و نشرها بجرأة و زرعها فى وعي ملايين الجماهير . و أيضا يجب الإعتراف بأنّ هذه البلدان الإشتراكية لم تقدر على تجاوز تواصل العلاقات البرجوازية و إعادة إنتاجها وواجهت محاصرة النظام الرأسمالي العالمي. وفى النهاية ، جرت إعادة تركيز الرأسمالية فى تلك البلدان و قُبرت الإشتراكية . و اليوم من الممكن رؤية أنّ الصين غدت مجتمعا من أكثر المجتمعات إستغلالا و إضطهادا على الأرض. و المسألة ليست مسألة ما إذا كانت الإشتراكية نظاما إجتماعيّا أرقى و إنّما هي مسألة كيف نبنى المجتمعات الإشتراكية المستقبلية على نحو أفضل من المجتمعات الإشتراكية التي عرفها القرن العشرون ؟ كيف يمكننا أن نصدّ خطر إعادة إنتاج العلاقات الإضطهادية و الإستغلالية و أن نحافظ على هذه المجتمعات فى وجه هجمات البرجوازية و النظام الرأسمالي العالمي و فى نفس الوقت نبقيها مجتمعات ديناميكية و نابضة حيوية.

أي نوع من الثورة و في ظلّ أي نوع من القيادة :

لقد أدرك العديد من الشباب المناضل فى البلدان العربية أثناء هذه التجربة القصيرة للأشهر القليلة الماضية حقيقة أنّ النظام (المتكوّن من قيادات و مؤسسات سياسية و إقتصادية) لن يغيّر من طرق ووسائل إضطهاده و إستغلاله . و هكذا، يبحث عن إجابة على " ما العمل؟ " . و يجب على القوى الشيوعية الثورية لهذه البلدان أن تقدّم الإدابة . و إذا لم يعالج هذا المشكل ، عاجلا أم آجلا ستبخّر طاقة الشباب و أمله ، هذا الشباب الذى مثّل القوّة المحرّكة فى هذه الإنتفاضات . و المنتصرين فى هذه اللعبة سيكونون من القوى الطبقية التي تستعمل إيديولوجية طبقتها و برنامجها المجتمعي و التي تستنهض و تنظّم قاعدتها الإجتماعية حول تلك الإيديولوجيا و ذلك البرنامج المجتمعي.

هذا من جهة و من جهة أخرى ، إذا وقع ربط الشباب الثوري بالرؤية الشيوعية لتصبح قوام نضالاته ، فإنّ الحركات فى هذه المنطقة ستشهد تغيرا نوعيا هائلا وسيقع كسب فرص ثورية عظيمة. كيف يتواصل النضال ؟ بأي أهداف ؟ ما هي الثورة التي نحتاج إليها و ما هي القيادة الثورية اللازمة ؟ كيف نخرج هذه المجتمعات من أحابيل براثن الإمبريالية و كيف نوفّر نظاما سياسيا و إقتصاديّا و إجتماعيّا فى إطار محاصرة الإمبريالية العالمية ؟

هذا النوع من الأسئلة ينبغى على كلّ حزب ثوري أن يقدّم لها الإجابات. و يتعيّن على حزب يطمح لإنجاز ثورة أن يحلّل حدود الحركات الراهنة و أوهامها و ينهض و يقود الجماهير لتحدّى النظام بأكمله و فتح المجال للتطورات و نشر التيّار الشيوعي الثوري فى المنطقة.

عموما ، يمكن قول إنّ بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا تحتاج إلى نوع من الثورة سمّاه ماو تسى تونغ الثورة الديمقراطية الجديدة. إنّها ثورة بقيادة البروليتاريا و حزبها الطليعي تكسر سلاسل الإقطاعية و كذلك الرأسمالية المرتبطة بالنظام الرأسمالي العالمي و ترسى الإشتراكية . ترسى هذه الثورة السياسة الديمقراطية الجديدة و الإقتصاد الديمقراطي الجديد و الثقافة الديمقراطية الجديدة من أجل تعبيد الطريق لتركيز مجتمع إشتراكي – مجتمع يناضل فى سبيل الشيوعية على النطاق العالمي . فى مثل هذا المجتمع سيجرى الإنتاج بحيث يعالج مشاكل الفقر و الإنقسامات خدمة لمئات الملايين من العمّال و الفلاحين و المدرّسين و النساء و الرجال المعطّلين عن العمل و ليس فى خدمة الثروة المراكمة من قبل عصابات الدولة و الذين يدعمونها. فى مجتمعنا سيجرى القضاء على إضطهاد الملاكين العقّاريين للفلاحين و الرأسماليين للعمّال و الرجال للنساء و الأمم الكبرى للأمم الصغرى . و تحلّ ثقافة حرية التعبير و التمرّد على الظلم و كلّ ما هو رجعي محلّ ثقافة الطاعة . و تحلّ النظرة العلمية الشاملة و البحث العلمي العميق عن الحقيقة و إستخدام ذلك لتغيير العالم محلّ الخرافات . و هدف هذه الثورة ليس كسب الحقوق المتساوية ضمن النظام الإمبريالي العالمي – وهو أمر مستحيل على كلّ حال بالنسبة للبلدان ذات الهياكل التابعة أو المهيمن عليها. إنّ التطوّر الإقتصادي الذى يطبّقه البنك العالمي و صندوق النقد الدولي فى المنطقة وفى أي ركن آخر من أركان العالم يذهب ضد مصالح الشعب وهو إستغلالي و إضطهادي . دون كسر قيود التبعيّة لنظام الرأسمالي العالمي ، لن نستطيع أن نرسي قواعد إقتصاد جديد يخدم حاجيات الشعب و التطوّر المنسجم (وليس المشوّه) للإقتصاد الوطني . و الديمقراطية الجديدة فترة إنتقالية قصيرة نحو مجتمع جديد راديكاليّا – مجتمع إشتراكي. والإشتراكية وحدها قادرة على أن تقطع مجتمعاتنا عن الرأسمالية العالمية. لن يكون التطوّر الإقتصادي للمجتمع المستقبلي مدفوعا ب " يد السوق اللامرئية " و إنّما ستوجّهه بوعي الدولة الإشتراكية و جماهير الشعب.ما الذى يجب إنتاجه و كيف ينتج ، من أجل من و لأجل ماذا ؟ أسئلة ستلقى أجوبة واضحة بطبيعة طبقية معيّنة . و ستكون المبادرة الجماعية للعمّال و الفلاحين و الحرفيين فى المجتمع حاسمة فى تطوير هذا الإقتصاد الجديد و ليس توريد الرأسمال و التقنية الأجنبيين. وسيعوّل الإقتصاد على التعبئة الإجتماعية و ستنشر القيم الإشتراكية و الأممية .

بإختصار ، أي مظهر من مظاهر التطوّر الإقتصادي ، أي شكل من التنظيم الإقتصادي ، أي شكل من تنظيم سيرورة العمل سيتحدّد بهدف التخلّص من الإختلافات الطبقية ، و علاقات الإنتاج الإستغلالية و الإختلافات الإجتماعية مثل إضطهاد النساء و الإضطهاد القومي و التطوّر غير المتوازن بين الجهات المختلفة .

<u>حول إمكانية الثورة:</u>

بوسع هذه القوى الصغيرة التي إستطاعت أن تستنهض و تنظّم قطاعا من الشعب أيضا أن تلحق الهزيمة بالقوى التي تبدو غير قابلة للهزيمة ، قوى الدول الرجعية و القوى الإمبريالية و أن تقود الثورة نحو النصر . ويُفاقم سير النظام الرأسمالي تناقضاته و يقذف به فى أتون أزمات حادة. و من الممكن أن تمتدّ أزمة من مكان إلى أماكن أخرى و أن تتوسّع بصورة كبيرة الإنهيارات و الإنشقاقات فى هياكلها و مؤسساتها الحاكمة . فى فترة قصيرة ، ستكشف الأزمات واقع الإضطهاد و الإستغلال الرهيبين لمئات الملايين و تدفع بهم إلى النشاط السياسي . ستفضح الأزمات الطبيعة الرجعية للأحزاب السياسية الخدّاعة بسرعة مذهلة و ستحطّم شرعيتها لدى جماهير الشعب . و تفاقم الأزمات العداء و النزاع الداخلي ضمن الأعداء . كلّ هذا متداخلا سيجعل السيطرة على الوضع بالنسبة للطبقات الحاكمة جدّ صعب و أحيانا مستحيلا . فى مثل هذه الظروف يمكن لقوى ثورية صغيرة - ثورية حقّا ، أي تملك برنامجا لتغيير جذري سياسي و إقتصادي و إجتماعي و ثقافي- أن تصبح قطبا ضمن الجماهير الغاضبة و تجعل برنامجها مطلبا ضروريا لدي ملايين الناس الذين هم على إستعداد للقتال من أجله و حياتهم على أظافر أصابعهم .

زمننا زمن تحدّيات. يقترف النظام الرأسمالي جرائما على نطاق غير مسبوق و طبيعته الفاسدة تنفضح بإستمرار . و بإستمرار تحطّم الرأسمالية الحدود و تدفع بأعداد ضخمة من السكّان من زاوية إلى أخرى من الكوكب و تصبّها صبّا فى إناء يغلى. مهما كنّا نحن البروليتاريون – سواء فى قباء دبيّ أو مدن صفيح مناجم امريكا أو الصين ، فى مصانع التعدين أو حقول إستخراج النفط ، فى الأهواز أو ليبيا أو الجزائر...مهما كانت القومية التي إليها ينتمون : بنغاليون ، باكستانيون ، أكراد ، فلسطينيون ، مصريون قبايليون ، عرب ، أتراك ... **نحن طبقة عالمية واحدة .** نحن جميعنا عبيد النظام الرأسمالي العالمي. فلنتّحد و نضع الشيوعية و الثورة على رأس جدول أعمال هذه المنطقة و لنتحوّل إلى بشائر تحرير الإنسانية. لنحتفل بالفصل الجديد الذى إستهلّه الشعب فى بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا و لنسعى جاهدين لرفع الراية الحمراء لأممية البروليتارية إلى أعلى القمم .

الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي- اللينيني- الماوي) – ماي 2011

الفصل الرابع : مصر و تونس و الإنتفاضات العربية : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه - مقال من مجلّة " تمايزات " :

مصر و تونس و الإنتفاضات العربية : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه

(مقال سمويل ألبار بمجلّة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ،" **تمايزات** " عدد 3 / 2014)

Demarcations Issue 3, Winter 2014

الرابط على الأنترنت :

http://www.demarcations-journal.org/issue03/egypt-tunisia-and-arab-revolts-impasse.htm

ملاحظة لا بدّ منها : هذه ترجمة غير رسمية .

This is not an official translation.

كلمة لكاتب المقال :

شرعنا فى تأليف المقال التالي فى بداية 2013 . و قد صدرت و نشرت نسخة سابقة منه (" الربيع العربي فى طريق مسدود – هل هناك مخرج منه ؟ ") و وزّعت فى مارس من هذه السنة باللغة الأنجليزية (فى مصر) و بالفرنسية (فى تونس). و مذّاك شهدت المنطقة و شهد العالم تطوّرات دراماتيكية و صارت بعض المسائل و الديناميكية أوضح وثبتت أفكار معيّنة فى الممارسة و تقدّم فهمنا .

و صيغت هذه النسخة المنقّحة و الموسّعة بفضل تبادل أفكار و آراء مع أناس من تلك البلدان و بوجه خاص بفضل تعاليق و إقتراحات ناشري مجلّة " تمايزات ".

و ينطوي هذا المقال على جزئين . يتناول جزؤه الأوّل بالبحث قضايا و حججا برزت فى تلك البلدان و غيرها من الأماكن و يركّز على تجربة مصر و ظروفها . و جزؤه الثاني تحليل أشمل لما ستكون عليه الثورة الإشتراكية فى مثل هذا البلد و كيف يستطيع الشيوعيون الشروع فى جعل هذه الرؤية قوّة حية و ملموسة فى صفوف الشعب .

تعدّ مصر و تونس ساحتان أمامية لأنّهما البلدان الوحيدان أين أطاحت الإنتفاضات الجماهيرية بالأنظمة . و لم يحدث ذلك فى ليبيا (أين لعب التدخّل الغربي الدور الحاسم) ، و لم يحدث لا فى اليمن (أين ظلّ النظام القديم تقريبا هو هو) و لا فى سوريا و لا فى البحرين أو بلدان عربية أخرى حيث لم يتغيّر النظام القديم منذ 2011 . وقد أثار إنتصار هتين الإنتفاضتين قضايا جوهرية موضوع نزاع ليجعلها

أوضح ، رغم الإختلافات الكبرى بين البلدين . و هذا صحيح بصفة خاصة فى ما يتعلّق بمصر حيث دون التنبّئ بالمستقبل ، يمكن أن نقول إنّ مرحلة تشارف على النهاية .

الجزء الأوّل

من شعب موحّد إلى شعب مقسّم :

"الشعب يريد إسقاط النظام " ! تعبّر هذه الكلمات عن وحدة إرادة نادرا ما رأيناها تاريخيّا و غالبا ما نتذكّرها ، حيث الناس بملايينهم نهضوا فجأة و ما كان يبدو أبديّا تداعي فجأة أيضا . نظامان – ظاهريّا عاتيان بقدر ما هما عنيفان – إنهارا و موجات الصدمة شملت الكوكب . لكن الإنتفاضات العفوية ضد الطغاة المكروهين التى بدت و كأنّها توحّد الشعب أو على الأقلّ أوسع القطاعات الناشطة منه ، أبرزت ظاهرة معقّدة و متناقضة . و الآن الشعب أبعد ما يكون عن الوحدة فى مصر و تونس ، تتنازعه عصابتان رجعيّتان تحت الرايات الحربية للإسلام السياسي و/ أو الديمقراطية الرأسمالية المدعومة من طرف الإمبريالية الغربية .

لقد كان هذان التيارات يعملان لمدّة طويلة فى تونس و مصر حتى منذ لحظة فرض ملايين الناس فى الشوارع طرد بن علي و مبارك. لكن قبل ذلك كان الشعب موحّدا نسبيّا وكان يمسك المبادرة بيده ممليّا على العسكريين فى البلدين التراجع و التخلّى عن الرجل القويّ الذى كان يعتبر فى وقت ما أحد ركائز الإستقرار . و طفقت الألسنة التى أجبرها القمع و التقاليد و إنقسام المجتمع إلى طبقات على الصمت تتكلّم فكان الناس يستمعون إلى كلّ شيء بذهن مفتوح و كان عدم الرضاء العميق على النظام القائم غير قابل للهزيمة .

و الآن الناس ليسوا متأثّرين و حسب بهذه التيارات بل إلى درجة كبيرة يهرعون إلى الإلتحاق بهذه الكتل أو تلك من " الكتل المتنافسة " التى يقف على رأسها ممثّلين للنظام الرجعي و أعداء لأفضل الطموحات التى قاتل الناس و ماتوا من أجلها منادين ب " الكرامة " و ب " الخبز و الحرّية و العدالة الإجتماعية " . و فى حين أنّ الإسلاميين جعلوا عديد الناس يخشونهم و يرمون بأنفسهم بين ذراعي الجنرالات ، فإنّ حصن الجيش المجرم ينحو نحو تعزيز دعوة الإسلام السياسي . و أسوء مشكل هو أنّ عددا كبيرا من الناس قد وقع إقناعهم بأنّه لا وجود لبديل آخر عدا شكل أو آخر من الحكم الرجعي .

من جهة ، تقف المكوّنات الليبرالية للقيم الغربية المتميّزة ب " الحرّية " لا سيما " السوق الحرّة " التى سحقت الغالبية العظمى من الناس فى كلّ بلد ، و الإعتقاد المناسبة لها فى الديمقراطية الرأسمالية من النمط الغربي و نظامها الإنتخابي الذى لم يأت أبدا بتغيّرات أساسية فى أي مكان . ليس لديهم سوى النزاع و القمع يوفّرانهما للجماهير المدينية المفقّرة و لغالبية السكّان الكثيفين فى المناطق الريفية . ففى مصر عندما تخلّى الليبراليون عن الكلام المنمّق عن حكم الغالبية و الحقوق السياسية و حكم القانون و مدّوا ايديهم إلى " القوات المسلّحة للأمّة " التى رغم إدعاءات العديد ممن يسمّون ماركسيين فى مصر ، لم تكن مطلقا " القوات المسلّحة للشعب و الأمّة " . لقد كان الجيش دائما العماد الأساسي للطبقات المستغِلّة الحاكمة المصرية المرتبطة بالإمبريالية و قد غذّته و قادته من أنفها الولايات المتحدة طوال العقود الأربعة الأخيرة .

لم تكن القوات المسلّحة لتقفز إلى الحلبة بهذه السهولة إن لم تتلقّى المساندة الجماهيرية التى نظّمها الليبراليون و " اليساريون " و منهم المنظّمات الشبابية التى عبّأت للمظاهرات فى ساحة التحرير و

ساحات أخرى فى 30 جوان 2013 لدعم الجنرالات لإنقاذهم من الحكم الإسلامي ، و ثمّ لإصباغ الشرعية على إنقلاب 3 جويلية . فى تلك الأشهر كان بعض الذين يحاولون الآن أن يفصلوا أنفسهم عن جرائم الجيش يصرخون " الشعب و الجيش يد واحدة ". (1).

هذا الشعار الذى ظهر خلال الإنتفاضة ضد مبارك و بلغ قمّته عندما تخلّى عنه الجيش ، لم يفعل سوى التلاشي لاحقا تلك السنة لمّا أطلق الجيش النار على المسيحيين و الشباب و آخرين كانوا يتظاهرون ضدّه . حينذاك كان الإسلاميون يغازلون الجيش عوض معارضة ذلك القمع العنيف . و فى ما بعد أعطاهم الجيش موافقته على تشكيل حكومة و لو أنّه أبدا ما تخلّى عن الوزارات المفاتيح و مواقع أخرى و قوّة الفيتو . واليوم يمثّل ذلك الشعار أكثر من وهم . فى مواجهة الفوضى الحالية الصعبة و المخيفة ، هو برنامج لإعادة تركيز النظام القديم و أسوء . لا يمكن أن تحدث عملية " إعادة تركيب " لإعادة اللعب من جديد .

و من الجهة الأخرى ، يوجد الإسلاميون الذين يدّعون أنّهم يمثّلون " التحرّر " من الهيمنة الغربية و النفاق و الإذلال فى حين أنّهم يمأسسون الإقتصاد و العلاقات الإجتماعية و التفكير المتخلّفين الذين ساعدوا على إبقاء مصر ضعيفة و عُرضة لهيمنة رأس المال الأجنبي . مشروعهم هو مزج الإستغلال و الإضطهاد و اللامساواة مع عزاء ديني كاذب و إحسان جامع منافق و تضامن خانق ل " الجماعة المؤمنة " التى تلغى التفكير النقدي .

إنّهم لا يبحثون عن تحرير الأمّة فما بالك بأن يجعلوا ممكنا إزدهار إبداع الناس و المظاهر الإيجابية لثقافتهم كجزء متحرّر من الإنسانية جمعاء ، قادر على البناء على أساس كافة المكاسب الإنسانية . مبدؤهم الأكثر محورية – " الإسلام هو الحلّ " – يمنع توحيد الغالبية العظمى من الناس . عوض ذلك يرغبون فى توحيد الذين يريدون الخضوع لهم إنطلاقا من إيمان ديني خاص و إجبار البقية على القبول . وهو ما يستبعد المسيحيين و أتباع فرق إسلامية أخرى (مثل الصوفيين) و السُنّة الذين يرفضون الحكم التيوقراطي و اللاأدريين و الملحدين ، أو بكلمات أخرى ، نسبة كبيرة من السكّان . و حلّهم لل" فوضى" المنسوبة للغرب هو فرض الدولة للسلطة الدينية و العلاقات بين الناس يُمليها النظام الأبوي الذكوري المحوري فى رؤيتهم للنظام الإجتماعي و الأخلاقي .

لا يمكن توحيد " الشعب " بتفكير آمل :

و حتى و لو أنّ بعض معطيات أحداث جويلية و اوت 2013 تشبه أحداث 2011 ، على غرار الحشود الهائلة التى كانت تملئ الشوارع ، فإنّ لها طابعا مختلفا . و بالفعل ، كلمة " الشعب " لا تعنى ذات الشيء الآن .

هل كون الحكومات الإسلامية وقع إنتخابها فى تونس و مصر و أنّه بوسع الإسلاميين أن يوحّدوا أعدادا كبرى فى كلا البلدين ، أو العكس ، أنّ جنرالات مصر إستطاعوا أن يجعلوا الملايين يساندون إنقلابهم ، يجعلنا نغضّ النظر عن أمر أساسي أكثر حتى ألا وهو أنّ الجانبين يمثّلان إستعبادا للغالبية العظمى من الشعب – سواء فهم الشعب ذلك أم لم يفهمه ؟ لقد كانت الحشود فى ساحة التحرير و فى الإسكندرية و مدن أخرى ، المطالبة بتنحّى مبارك فى جانفي 2011 تمثّل أقلّية من السكّان ، بيد أنّها كانت تمثّل مصالح الشعب . و حشود 30 جوان 2013 و بعده المساندة للإنقلاب – و كذلك المساندة للإخوان المسلمين – مهما كانت كبيرة ، لم تكن تمثّل تلك المصالح الشعبية .

و مع ذلك ، عقب سقوط مبارك ، غالبية ما يسمّى نفسه يسارا و غالبية المنظّمات الشبابية التى شقّت الطريق فى مقدّمة الحركة المناهضة لمبارك أمست تطوّح بين هذين البديلين الرجعيين .

و على سبيل المثال ، ساندت المنظّمة التروتسكية المصرية ، الإشتراكيون الثوريون ، مرشّح الإخوان المسلمين ، محمّد مرسي ، فى الإنتخابات الرئاسية بتعلّة أنّ إنتصاره سيمثّل صفعة لقوى النظام القديم . (2) . ثمّ لمّا إكتشفت فجأة أنّ الإسلاميين يتصرّفون كإسلاميين ، و لمّا تراجعت المساندة الشعبية لحكومة الإخوان ، ساعدت على تنظيم المظاهرات فى صالح الجيش و باركت الإنقلاب معتبرة إستبعاد مرسي " ديمقراطية الثورة الشعبية ، ديمقراطية مباشرة تخلق الشرعية الثورية " . و بعد ذلك ، لمّا تصرّف الجيش الرجعي كجيش رجعي – مستعملا قنّاصة و سيارات مصفّحة و مجرمين معروفين و كلّ شيء آخر إستخدموه ضد متمرّدي ساحة التحرير طوال 2011- و خاصة بعد أن وجد حتى محمد البرادعي و قادة ليبراليون آخرون من الضروري أن ينأوا بأنفسهم عن مجازر الطغمة العسكرية و التحالف معها بدأ يتفكّك ،عندها تبعهم الإشتراكيون الثوريون إلى خارج ذلك التحالف .

و رغم إدّعائهم بأنّهم لم يقدّموا " أبدا و لا يوما واحدا " مساندة سواء للإخوان أو للجيش ، فى الواقع قد ساندهما الإشتراكيون الثوريون . و كذلك من غير الصحيح أن أي من هؤلاء الذين يهيمنون اليوم على الساحة السياسية ، الجيش و القادة السياسيون الليبراليون او الإسلاميون ، قد " خانوا الثورة " على حين غرّة . فقد بيّنت الأحداث أنّه لم توجد ثورة و أنّ هذه القوى الطبقية الحاكمة قد خدمت دائما المصالح الرجعية ، و لم تغيّر أبدا طبيعتها و أهدافها و قد وقعت المناورة بها وسط أوضاع معقّدة و متغيّرة . كلّ حركة ثورية لا ينبغى أن تفهم هي نفسها ذلك و حسب ، بل أن تبذل قصاري جهدها لتوصل ذلك الفهم لأكبر عدد ممكن من الناس ، عوض التذيّل لتركيبات متنوّعة من الديمقراطية البرجوازية و الأوهام الموالية للغرب و الأوهام الدينية التى قد نشرها الجانبان المتحاربان الآن صلب جماهير الشعب و التى تسبّبت لزمن طويل فى عذاب الشعب .

و الأفكار التى نظّرت لها هذه المجموعة (التى لا هي ثورية و لا هي إشتراكية) تجسّد مفاهيما أوفر إنتشارا بشكل أقلّ وعيا ذاتيّا و هذا ما يجعل من المهمّ دحضها : " عدد الناس الذين تظاهروا فى ذلك اليوم الأسطوري [30 جوان] يقدّر بأنّه فاق 17 مليون مواطن وهو حدث غير مسبوق فى التاريخ . و هذا يتجاوز فى دلالته أية مشاركة لبقايا النظام القديم أو المساندة الظاهرة للجيش و الشرطة . إنّ المظاهرات الجماهيرية للملايين نادرة إلى أقصى حدّ فى تاريخ الإنسانية و تأثيرها على وعي الشعب و ثقته فى نفسه و فى قدرته على تغيير مجرى التاريخ يفوق حدود الشعارات المرفوعة و البدائل السياسية المعروضة ".(3)

حقّا ؟ هذّا المنطق – أنّ عدد الناس المساندين لشيء أهمّ من الشيء الذى يتمّ الدفاع عنه – هو ما جرّ الإشتراكيين الثوريين إلى مساندة الإخوان المسلمين و إسلاميون آخرون لسنوات ، و قد ساندوا حكومة مرسى ذاتها التى ينادون اليوم بالإطاحة بها . وفق هذا المنطق ، بما أنّ الإسلاميين فى تونس بإمكانهم أن ينظّموا مسيرات أكبر(وأكثر حيوية) من سياسيي " اليسار" المتراجع و الليبراليين ،على" الثوريين" بعدُ أن يساندوا حزب النهضة. و مواصلين ذات المنطق ، ينبغى علينا أن نستخلص أنّ ظهور أعداد غفيرة فى المسيرات الجماهيرية للنازيين فى نورمبورغ (حوالي المليون فى 1938) " تجاوز حدود الشعارات المرفوعة و البدائل السياسية المعروضة " و مثّل قفزة " نادرة إلى أبعد الحدود " فى " وعي وثقة الشعب فى نفسه و فى قدرتهعلى تغيير مجرى التاريخ " . و الذين خرجوا لمساندة بابا أو آخر –

لعلّها من أعظم الأحداث الجماهيرية العالمية فى العقود الماضية - بثلاث ملايين فى ريو بالبرازيل فى جويلية 2013 ، يجب أن يكونوا متقدّمين " إلى أبعد الحدود " . و هذه المقارنة الأخيرة مفيدة بصفة خاصة لأنّ التعليل الذى يتقدّم به الإشتراكيون الثوريون للتذيّل للإسلاميين هو أنّ معظم المصريين يؤمنون بالدين – كما لو أنّه ليس بوسعهم أبدا بلوغ أي فهم آخر و إنّما محكوم عليهم بالتخلّف و بظلام الجهل .

إنّ مظاهرات جوان و جويلية الموالية للجيش فى مصر لم تكن تشبه مظاهرات النازيين – لقد كانت مضطربة و أسيئت قيادتها – لكن لها نتائج ضارة إلى أبعد الحدود : لم تمكّن العسكريين من الإنقضاض على الفرصة و العودة إلى الحكم بصفة مباشرة فقط ، بل وضعت أيضا المبادرة بأيدى الجنرالات و وفّرت إمكانية إيجاد وضع غير موالي – فظيع . لم يكن هذا تراجعا هائلا للحركة التى إنطلقت بالمطالبة ب "الخبز والحرّية و العدالة الإجتماعية " و حسب و إنّما مثّل إنقلابا فى المسار و خسارة كبرى" لوعي الشعب و ثقته فى نفسه و فى قدرته على تغيير مجرى التاريخ . " و هذا التلخيص للمجموعة التروتسكية ، لنستعير كلمات لينين ، يشبه أن نتمنّى للناس تكرار الأمر ، يوم جنازة . ما يحتفى به هو بالضبط الأكثر مأساوية حول هذه المظاهرات و الوضع مذّاك : ملايين الناس يتوحّدون حول شعارات و بدائل سياسية – من الجانبين و ليس فقط من جانب واحد – تمثّل طريقا مسدودا و تعكس إضطرابا منتشرا و من الوارد قاتلا . على الثوريين أن يتجاوزوا أنفسهم و ينقدوا إن كان الملايين قد إستيقضوا على الحياة السياسية و لن يفرض عليهم العودة إلى النوم .

أجل ، يمكن للمشاركة الجماهيرية فى الحياة السياسية أن تمثّل فرصا للتقدّم الثوري ، لا سيما فى زمن مثل زمن إزاحة مبارك عندما كان الناس يضعون النظام القديم موضع السؤال و ينوون التضحية للقضاء عليه . لكن التذيّل لما يُعتبر أغلبية كان على الدوام غلط ، حتى قبل أن يؤدّي إلى الحدّ المخزي لتبرير مدّ أيديهم للجيش للتخلّص من حكومة الإخوان المسلمين ثمّ وصف الإنقلاب – مقدّمة لحمّام دم - بإنتصار الشعب . هذا مثال للضرر الذي يمكن ان يحدثه ما إصطلح عليه ب" الإبستيمولوجيا الشعبوية " (4).

إنّ ما يفكّر فيه الناس مهمّ . و من واجب الشيوعيين المتسلّحين بفهم علمي للواقع أن يعملوا على التقدّم بذلك الفهم – ذلك الوعي – فى صفوف الجماهير الشعبية ذاتها ، التى لا يمكن لفهمها العفوي أن يتخلّص من براثن أفكار الطبقات الحاكمة – الإيديولوجيا السائدة – و ظروف حياتها التى أوجدتها أنظمة الإستغلال التى تغذى الجهل و تفرضه بالقوّة . هذه نقطة أساسية للفهم الشيوعي الثوري للثورة و للخطّ الفاصل بين الذين يهدفون إلى إلغاء كلّ العراقيل المادية و الإيديولوجية أمام مستقبل يكون فيه البشر جماعات و أفرادا أحرارا فى التغيير الواعي للعالم و لأنفسهم و أولئك " المنقذين المتواضعين " (للإقتباس من نشيد الأممية) الذين ليس بوسعهم رؤية مثل هذا العالم و الذين يعتبرون الجماهير الشعبية أنعاما.

أجل ، على الثوريين أن يعملوا على توحيد غالبية الجماهير الشعبية خلال سيرورة الأحداث لكن يجب أن تكون أيّة وحدة صلبة على أساس بديل ثوري حقيقي – علمي ، و ليس على أمنيات – و بالفعل ، هؤلاء " الإشتراكيين " و غيرهم يساهمون فى تقسيم الشعب وفق خطوط رجعية . سيوجد على الدوام إستقطاب فى صفوف شعب حول أقطاب إيديولوجية و سياسية – و ما نحتاجه هو إعادة صياغة الإستقطاب بحيث يكون أحد الأقطاب عمليّا يمثّل حلاّ ثوريّا و ليس إستقطابا رجعيّا بين حلّين رجعيين.

و بينما كان الناس من كافة الطبقات الإجتماعية متّحدون فى الأساس ، و إن كانت الوحدة بعيدة عن أن تكون تامة ، فى الإطاحة ببن علي ومبارك ، فإنّ الإستقطاب السياسي اليوم غير مناسب من وجهة نظرة الثورة . فى كلّ من مصر و تونس ، الطبقات الدنيا من المناطق الريفية و الأحياء القصديرية و الطبقات الوسطى المدينية منقسمة فيما بينها و ضد بعضها البعض . و هذا الوضع سيئ بما فيه الكفاية ، لكنه ينطوى على إمكانيات أسوأ حتى : كارثة دموية فيها تتقاتل الطبقات الشعبية ليس من أجل مصالحها المشتركة الحقيقية بل ضد تلك المصالح و ضد بعضها البعض مثلما هوالحال فى سوريا ، منتقمين لإضطهادهم الخاص ضد أمثالهم من المضطهَدين . قد يبدو من غير المعقول أن تنزلق مصر و تونس و بلدان عربية أخرى إلى هذا المسار ، و صحيح أنّ مصر و تونس و سوريا مختلفة جدّا ، إلاّ أنّه قبل سنتين من الآن كان غير معقول لدي غالبية السوريين أن يتصوّروا إمكانية إنتهاء بلدهم إلى ما إنتهى إليه اليوم .

و تجدر اليوم عقد مقارنة بين الوضع المزري فى سوريا الآن بتاريخ الحرب العالمية الأولى ، ليس لقول إنّ وضع اليوم متساوي مع وضع الحرب العالمية لكن للتشديد على ما يمكن أن ينهض به تحليل نظري ، إن كان صحيحا و يعترف بالبديل الثوري الذى لا تعترف به " الحكمة السائدة ". حينها كافة " الإشتراكيين" الأوروبيين ، بإستثناء بارز للينين و الحزب البلشفي فى روسيا ، إنتهوا إلى مساندة كلّ لطبقاته الحاكمة فى الهجوم المتبادل . و وُجد إعتقاد عام مقبول عالميّا بأنّ الخيار الوحيد للجماهير كان من من الطبقات الحاكمة ستنتصر فى الحرب ، أو ما ستكون عليه أسس مثل هذا الإنتصار. برؤية ثاقبة علمية عظيمة ، شدّد لينين على أنّ الحرب التى إنطلقت كحرب إمبريالية لن تنتهي بالضرورة كحرب إمبريالية و إنّما يمكن تغييرها إلى نوع مختلف من الحرب الأهلية الثورية التحرّرية ، إلى ثورة بروليتارية . و هذا بالضبط ما قاد البلاشفة و الجماهير الثورية فى إنجازه فى روسيا .

من غير الممكن أن نمحو العوامل التى تجعل من الوضع الراهن فى البلدان العربية غاية فى الخطورة و الرعب – لا يمكن القبول بحصر الشعب فى " خيارات " مميتة تعرض عليه . إنّ ذات عوامل التفكّك والرعب تحمل أيضا معها إمكانيات إستقطاب سريع و أكثر مواتاة فى المجتمع و ظهور بديل ثوري حقيقي . و هذا الإستقطاب ليس بوسعه أن يفرز إلاّ إذا كان بمستطاعه على الأقلّ التعويل على قوّة أوّلية تمثّل و تقاتل من أجل المصالح و المسؤوليات المشتركة الثورية الحقيقية للشعب و أن تشرع فى الظهور و تصمد جيدا. على هذا النحو يمكن لبديل ثوري أن يبدأ فى التحوّل إلى قوّة ماديّة حقيقية فى المجتمع متحدّيا البدائل الرجعية التى يجد الشعب نفسه اليوم مضطرّا للإختيار بينها – حركة تقاتل لإرساء دولة ثورية ضد هذه البدائل .

الإنتفاضات و الثورة :

لقد وفّرت الإنقسامات ضمن الطبقات الحاكمة التى أبقت الجيشين التونسي والمصري بعيدا عن التدخّل الحاسم لإنقاذ النظام القديم و منفذا للتمرّدات لكنّها أيضا منبع للتفكير الآمل – حول حيادية الجيش و مصالح و نوايا الولايات المتحدة و حلفائها و قوّة الحركة العفوية .

الإطاحة بطاغية لا تساوي الإطاحة بنظام . حدثت تغييرات فى الحكومات لكن لم تحدث بعدُ ثورة بالمعنى العلمي . و فوق ذلك ، النظام القديم يدقّ الباب عائدا مع قتال الممثلين الجدد و القدامي للعلاقات الإقتصادية والإجتماعية السائدة لفرض نهاية للفوضى حسب معاييرهم الرجعية الخاصة.

لم يكن الجيش المصري على الدوام فقط حجر زاوية الدولة مثلما هو الحال دائما فى ظلّ كلّ من الديمقراطية الإنتخابية و الطغيان السافر ، إلاّ أنه إضافة إلى ذلك لم يتخلّى هذا الجيش الخاص أبدا عن مواقعه المفاتيح . فقد سمح لمرسى بأنّ يصبح رئيسا فى ظلّ صفقة ضِمن بموجبها للقوات المسلّحة أن تتحكّم مباشرة فى وزارة الدفاع (مع حصانة تامة من المراقبة المدنية) و وزارة الداخلية (الشرطة و العصابات المتنوّعة من المجرمين التى نظّمها مبارك) والتمتّع بسلطة فيتو بشأن السياسة الخارجية .(5)

و لا يعنى هذا أنّه لم توجد إختلافات عميقة بين الإخوان المسلمين و القوات المسلّحة مثلما سنناقش لاحقا ولا ينكر أهمّية التغييرات السياسية التى يسعى الجنرال السيسي إلى فرضها . بيد أنّ جوهر المسألة هو أنّ ذلك الشكل من الدكتاتورية البرجوازية – الديمقراطية الإنتخابية – وقع تعويضه بآخر ، بحكم عسكري سافر تقريبا على الأقلّ مؤقتا ، رغم الوعد بإجراء إنتخابات . المسألة هي أنّ الولايات المتحدة و الطبقات الحاكمة لمصر المرتبطة بها ستستعمل كلّ مزيج من العنف و المغالطة تعلّة للحفاظ على قبضتها على مصر ولا يهمّ من يشغل الوظائف الحكومية .

ومع ذلك ، كامل هذه السلسلة من الأحداث لم تبيّن أنّ القوّة الأمريكية غير قابلة للهزيمة . بالعكس تماما – على الدوام كانت الولايات المتحدة تحاول تحويل الأمور لصالحها وسط وضع غير متوقّع و عادة خارج عن السيطرة . هذا هو المأزق الذى يواجهه صناع سياسة واشنطن فى مصر و تونس و بعض البلدان العربية الأخرى : مع الإسلاميين أم ضدّهم ، الوضع فى منتهى التعقيد و الخطورة بالنسبة للإمبريالية الأمريكية .

عدم الإعتراف بالعوامل المستمرّة المواتية للثورة فى المنطقة سيكون مأساويّا . إنّ التناقضات الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية و الإيديولوجية العميقة التى أفرزت الإنتفاضات العربية لم يقع حلّها ؛ فى غالبية هذه البلدان لا يمكن للأشياء أن تعود إلى سابق عهدها . لقد إستيقظ الناس على الحياة السياسية و صاروا أكثر ثقة فى قوّتهم الخاصة و قوّة بعضهم البعض ، و أظهروا قدرة على الشجاعة و التضحية الهائلتين و كسبوا معنى أنّه حتى أنظمة قائمة لوقت طويل و متخندقة بعمق يمكن الإطاحة بها . و كذلك ، لا يوفّر الوضع العالمي إستقرارا محلّيا طويل الأمد ، بخاصّة فى مثل هذه المنطقة الإستراتيجية و المتنازعة مثل الشرق الأوسط .

و سيكون أيضا من الخطأ و المأساوى التعويل على معالجة مواتية لهذه التناقضات عبر السير العفوي للأحداث . سيعنى ذلك ترك المستقبل بأيدى مختلف القوى الرجعية المتنازعة – و مهما حصل ، يمكن أن نكون متأكّدين أنّ ذلك المستقبل سيكون بشعا . وهذا ليس ما ضحّى من أجله الكثير من الناس .

كيف يمكن لقيادة شيوعية ثورية أن " تغيّر اللعبة " :

فى هذه اللحظة ، فى كافة البلدان العربية ، و عموما فى العالم بالمناسبة ، لم يقدر الشيوعيون الثوريون على تعبئة الشعب و بصورة أخصّ الشرائح المفقّرة من الجماهير فى قوّة سياسية تنجز نوع التغيير الجذري الذى تتطلّبه ظروفهم و تحرير البلدان المضطهَدة و تحرير الإنسانية . و هذا جزء مركزي من المشكل الذى لم يقدر الشباب و غيرهم من الثوريين الواعين على معالجته على أساس الممارسة وحدها ، رغم نضالهم و تضحياتهم البطولية . إنّه جزء مفتاح يتعيّن على كلّ من يبحث عن تغيير ثوري حقيقي أن يعمل على تغييره .

أفضل ما وُجد فى الحركات ضد بن علي و مبارك لا يمكن أن يزدهر اليوم دون قيادة جديدة بإمكانها أن تحدّد بصورة صحيحة المصالح الواقعية ، الأساسية للشعب و على ذلك الأساس تميّز بين الأصدقاء و الأعداء و تشرع فى توحيد قطاعات واسعة من جماهير مختلف الشرائح و تحشدها لإلحاق الهزيمة بهؤلاء الأعداء و تفتكّ سلطة الدولة و تمارسها لتغيير البلاد و الناس و فى النهاية العالم .

ما هناك حاجة إليه هو " مغيّر لعب " حقيقي ، نواة من النساء والرجال تقودهم أعلى الأهداف الثورية و النظرية العلمية – شيوعيون ثوريون – يمكن أن يقودوا الآلاف ثمّ الملايين و يعالجوا هذه التناقضات على نحو يكون فى مصلحة الغالبية العظمى من الناس فى المنطقة و العالم بأسره .

و يقتضى هذا تشكّل مجموعة من أناس يمتلكون هذه الرؤية و مخطّط لتحقيقها فى الواقع و جرأة و تصميم قائمين على العلم لتخطّى العراقيل و إنجاز مهمّات غاية فى الصعوبة . فى عالم اليوم ، هناك النظرية الشيوعية الثورية التى يمكن تطبيقها لجعل هذا ممكنا : الخلاصة الجديدة للشيوعية الثورية التى تقدّم بها بوب أفاكيان .(6) هذا المنهج و هذه المقاربة و جملة الأعمال تحتاج إلى أن ندرسها بعمق و نناقشها بشراسة و نقارنها بلا رحمة بالإستراتيجيات السياسية الخاطئة و الأفكار الكامنة وراءها التى تمثّل عائقا لإغتنام فرص الثورة فى مصر و تونس و بلدان أخرى .

مشدّدا على رؤية ثاقبة عبّر عنها ماركس و مطوّرا إيّاها ، أشار أفاكيان إلى أنّه " فى الواقع الإطاحة الفعلية بالنظام القائم غير ممكنة عمليّا إن لم تقع الإطاحة به أوّلا نظريّا ، أي ، فى فهم عديد الناس ". (7) و قد يبدو هذا منافيا للبصيرة فى جوّ سياسي يعتقد فيه بعض الناس بأنّ الحقيقة و الهدف يكمنان فى المظاهرات الأضخم – الأغلبية . و هذا ما يعيدنا إلى النقطة التى صغناها فى الجدال ضد الإشتراكيين الثوريين : دون فهم علمي للواقع ، لا يمكن رؤية إمكانية الثورة . لا يمكن رؤيتها بالعين المجرّدة ، دون مساعدة إطار نظري صحيح – حقيقة).

بالملموس ، عامل حيوي ينقص الإنتفاضات العربية هو فهم صحيح لبديل للعالم كما هو و كيف أنّ بلدانا خاصة يمكن تغييرها إقتصاديّا و سياسيّا لتصبح مناطق إرتكاز لذلك المستقبل ، رؤية معتمدة على العلم يمكن أن تبدأ فى التحوّل إلى قوّة ماديّة فى سيرورة فيها أعداد نامية من الناس تعارض اللاحلول التى يمثّلها الإسلاميون و الليبراليون و الكفاح من أجل هدف بلوغ السلطة السياسية الثورية . هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكّن الشعب من التخلّص من عوائقه الذهنية و تخطّى الإنقسامات فى صفوفه و التوحّد فى سبيل تحرير الإنسانية من كافة أشكال الإستغلال و الإضطهاد . و مهما كان ذلك صعبا فإنّ كلّ حلّ سواه وهم .

قوّتان متنافستان " عفا عليهما الزمن " – و تعزّز الواحدة منهما الأخرى :

إلى درجة كبيرة يمتاز الوضع السياسي فى العالم العربي بصدام بين متنافسين يمثلان الوضع السائد ، كلّ يدعو إلى إيديولوجيا إستعبادية . و هذا جزء من ظاهرة عالمية . فى مقال " **التقدّم بطريقة أخرى"** المكتوب غداة هجمات 11 سبتمبر 2011 ، حلّل بوب أفاكيان :

" ما نراه فى نزاع هنا بين الجهاد من جهة و ماك العالم / ماك الحروب من جهة أخرى ،هي شرائح تاريخيّا عفا عليها الزمن ضمن الإنسانية بين المستعمَرين و المضطهَدين ضد الشريحة الحاكمة للنظام الإمبريالي عفا عليها الزمن تاريخيّا . و هذان القطبان الرجعيّان يعزّز كلّ منهم الآخر ، حتى بينما

يعارض الواحد منهم الآخر . إن وقفت إلى جانب واحد من هذين القطبين الذين "عفا عليهما الزمن "، تنتهى إلى تعزيز الإثنين .

و فى حين أنّ هذه الصيغة هامّة جدّا و حيوية لفهم الكثير من الديناميكية التى تدفع الأشياء فى العالم فى هذه الفترة ، فى نفس الوقت يجب أن نكون واضحين حول من من هاتين القوّتين اللتين " عفا عليهما الزمن تاريخيّا " قد تسبّبت فى أكبر الأضرار و تمثّل تهديدا أكبر للإنسانية : إنّها " الشريحة الحاكمة للنظام الإمبريالي التى عفا عليها الزمن تاريخيا " و بوجه خاص الإمبرياليون الأمريكان " .

و اليوم تلك الرؤية الثاقبة الرائدة مهمّة حتى أكثر بمعنى فهم الوضع فى العالم العربي(و أبعد منه) الآن حيث كلّ من الجهاديين الذين يخوضون حربا مع الغرب و الإسلاميين الذين يبحثون عن القبول السياسي الغربي يزدهرون على وجه التحديد بسبب ، من جهة ، التغيرات الإقتصادية و إضعاف و فقدان الثقة فى هياكل السلطة القديمة و الإيديولوجيات الرسمية ، و من جهة أخرى ، كردّ فعل على القوّة الدموية المستعملة لترميم الدولة القائمة . و حظر الإخوان المسلمين فى مصر لن يحلّ المسألة .

الأصولية الإسلامية ليست تواصلا لتديّن ساحق القدم . فقد تكوّنت فى عشرينات القرن العشرين ، أيام كانت القوى العظمى الغربية تتقاسم فيما بينها الشرق الأوسط عقب تفكّك الإمبراطورية العثمانية . و السلف يعنى الأجداد الأولين و السلفية تبحث عن العودة إلى ما يفترض أنّه نمط حياة الرسول و أصحابه. فى زمن تغيّر كبير غدت هذه الرؤية أساسا لبرنامج و حركة سياسيين ، الإخوان المسلمون . و قد تشكّلت أوّلا فى مصر ، سرعان ما صارت مرتبطة بآل سعود و لاحقا العربية السعودية ، نظام قبلي رعته أنجلترا و مع إكتشاف النفط فى 1938 بات و ظلّ وثيق الصلة بالولايات المتحدة . و لم تكن المسألة مسألة كيفية العودة إلى المجتمع شبه البدوي البائد بل مسألة كيفية إرساء أنظمة و مجتمعات تستطيع أن تنسجم مع مصالح الغرب فيما تتبنّى إيديولوجيا يمكن أن تحافظ على النظام الإجتماعي الرجعي و توفّر للحكّام الجدد شرعية .

فى بعض البلدان ، شرع هؤلاء الإسلاميين كممثلين للطبقات المستغِلّة التقليدية و إن تغيّر هذا بفعل علاقاتهم مع الرأسمال الإمبريالي مثلما حدث ذلك فى إيران . وفى بلدان أخرى – و مصر مثال بارز – إرتبط نجاح الإخوان المسلمين بنموّ الرأسماليين الجدد خارج الأوساط الحاكمة التى كانت على صلة بالدولة القديمة . (8) . و من المهمّ تفحّص كيف ظهروا و الظروف التى جعلتهم يتجهون إلى الفكر الإسلامي . و هنا سنشير إلى عاملين كبيرين دون محاولة التعمّق أكثر ممّا بوسع الفهم الراهن للكاتب و من ما تسمح به المعطيات المتوفّرة لديه . عموما ما نجم عن ذلك هو تطوّر رأسمالي غير تام ، مشوّه و متفكّك و التأثير المستمرّ لأنماط الإنتاج الإقطاعية و ما قبل الرأسمالية الحالية و التاريخية .

فى الصعيد ، على طول أعلى النيل ، لا يزال الهرم الإجتماعي تهيمن عليه العائلات الأرستقراطية التقليدية التى تدّعى الإنحدار من الرسول و سليلين آخرين من الغزاة العرب ، مع الفلاحين فى أسفل الهرم . و فى دلتا النيل ، ناورت عائلات الملاكين العقاريين الأقباط المسيحيين و المسلمين للحفاظ على ملكية أراضي شاسعة بالرغم من الإصلاح الزراعي الواسع الذى قام به عبد الناصر و الجهود العامة لكسر سلطة الإقطاعيين المرتبطين ببريطانيا . و " الإصلاح الزراعي المضاد " فى ظلّ مبارك و ظهور الإنتاج الرأسمالي – الشديد من أجل السوق العالمية . و إلى جانب سياسة متعمّدة لسحق ممتلكات الزراعة المعيشية العائلية ، تميّز الوضع بعودة العائلات الإقطاعية السابقة التى لم تكن سلطتها أبدا مجرّد سلطة إقتصادية ، و اليوم تحمل الفلاحة الرأسمالية هذه الآثار . و مثلما سنناقش لاحقا ، لا يعيش

فقط حوالي نصف السكّان – فى الغالب بالكاد يعيشون – فى المناطق الريفية بل إنّ الريف قد زحف إلى المدينة فى شكل موجات كبيرة من النازحين الذين حلّوا بالمدن و ظلّوا إقتصاديّا و إجتماعيّا و ثقافيا مهمّشين عن الحياة العصرية .

و علاوة على ذلك ، فى مصر كما فى بلدان أخرى ، النموّ الضخم لعدد طلبة الجامعات و المحترفين الذين تدرّبوا فى الجامعات قد تأثّر بكلّ من الهيكلة الطبقية التقليدية للبلاد و كونه لا يتوفّر تشغيل مناسب لهم فى بلادهم . فعدد لا بأس به ينحدر من عائلات الملاكين العقاريين الحاليين أو السابقين و أعضاء آخرين من الفئات الحاكمة التقليدية . و قد عمل عديد ملايين المصريين من تقنيين و مهندسين و غيرهم من الأخصّائيين و كذلك العمّال ذوى المؤهلات و أناس من الطبقات الدنيا فى مكان آخر فى المنطقة . و بالفعل ، عادة ما إختار الطلبة مهنتهم بفكرة الحصول على الثروة بالخارج . و خلال العقود العديدة الأخيرة ، زهاء ثلاثة ملايين مصري من الطبقات الدنيا و الوسطى إنتقل إلى العمل فى بلدان الخليج أين راكم العديد منهم رأس مال إلى جانب تحمّس للإسلام الوهابي (السلفية) و خاصة للعادات المتخلّفة و أنماط التعابير الدينية غير المعروفة سابقا فى مصر ، مثل النقاب .

و القنوات التلفزية الفضائية التى يملكونها و التى تفسح المجال للدعوة إلى السلفية تتجاوز كثيرا الأنترنت و الشبكات الإجتماعية بمعنى مدى تأثيرها على الكثيرمن السكّان . و قد أغدقت قطر أكياسا من المال على جهاز الإخوان المسلمين وقام السعوديون بالشيء ذاته تجاه السلفيين . وفضلا عن التدريب والتمويل فإنّ النموذج الذى توفّره الأنظمة الملكية فى الخليج فى منتهى القوّة بإعتبارها بلدانا غنية بكلّ الرفاه المعاصر و آخر السلع الإستهلاكية و تحكمها هياكل و إيديولوجيا قراوسطية .

و مثلما سنناقش لاحقا ، عامل هام آخر هو التأثير الإيديولوجي لنهاية الموجة الأولى من الثورة الإشتراكية ، لا سيما خسارة الصين الثورية و إعادة تركيز الرأسمالية فيها و إنهيار تقريبا كافة الحركات الثورية و الوطنية التى كانت تقريبا تحدّق بنظرها إلى الصين ، فى البلدان العربية (كما هو الحال فى صفوف الفلسطينيين) . و ينبغى أن يكون واضحا أنّ هذا يعنى غياب عرض لبديل ثوري للإمبريالية و إيديولوجيتها العالمية و ليس مجرّد أو أساسا الضعف التنظيمي ل" يسار" . و تُغفل حجّة أنّ الإسلاميين الجيّدي التنظيم إستغلّوا ضعف " اليسار" التقليدي مسألة لماذا خسرت الأحزاب المأثّرة سابقا فعاليتها . (10)

قد تسلّط هذه العوامل الضوء على لماذا هيمن الإخوان المسلمون على جمعيات مهنية كبرى (مثل المهندسين و الأطبّاء و أطبّاء الأسنان) و جامعة القاهرة ، رغم أنّ بعض أكثر الذين يخافون حكمهم يتركّزون أيضا فى ذات المهن . لكن القاعدة الإسلامية ضمن هذه الفئات يجب أن يُنظر إليها فى علاقة بالطرف الآخر من " السلّم الإجتماعي " ايضا – عديد ملايين المصريين الذين يعيشون بطرق تقليدية فى الريف و الملايين الذين دفعوا خارج الأرض وإلى المدن حيث يحرمون من أية مكانة لائقة فى ما يسمّى بالمجتمع المعاصر . و خلال تشديد الإجراءات عقب الإنقلاب ، أغلق الجيش السكك الحديدية الرابطة بين الشمال و الجنوب و الحاملة لآلاف القرويين لمساندة إعتصام الإخوان المسلمين فى القاهرة . و قد جاء فى تقارير أن مظاهرات و صدامات حصلت فى أماكن بجنوب القاهرة مثل الفيوم و مصر الوسطى و العليا وهي أماكن عادة غير معروفة بنشاطها السياسي .

و قد أشار عديد الجامعيين إلى أنّ سياسات الإخوان المسلمين الإجتماعية و الإقتصادية منسجمة تماما مع النموذج الذى فرضه صندوق النقد الدولي و البنك العالمي . بينما تفقد بحدّة الغرب أو تأمل قبوله ، ليس لهذه القوى برنامج لتجاوز تبعيّة البلدان للسوق العالمية و للرأسمال الإمبريالي .

لكن البعض من هؤلاء الجامعيين شأنهم فى ذلك شأن عديد الناس الآخرين سقطوا فى خطأ إستنتاج أنّه لا وجود لنزاع حقيقي بين الإمبريالية و هؤلاء أو أولئك من الإسلاميين . الحركة الإسلامية حركة سياسية و إيديولوجية تتحدّى ليس فحسب البنية الفوقية السياسية و الكثير من الإيديولوجية التى فرضها الغرب على هذه البلدان لكن أيضا الصلوحية العالمية للقيم التى يدعو لها الغرب – و إن كان الأمر لا يتعلّق عموما بالرأسمالية ، فإنّه يخصّ على الأقلّ النظام الإمبريالي العالمي الحالي . و تقترح أخرى ، تقترح نظرة عالمية أخرى . و هذا مرتبط بمعارضتها ،إن لم تكن للرأسمالية عموما فعلى الأقلّ لبعض مظاهر النظام الإمبريالي العالمي الراهن حتى بينما تبحث فى الأساس عن موقع صلب النظام الإمبريالي ، أي الهيمنة على العالم وتنظيم إقتصادها من قبل – و لفائدة – الطبقات الرأسمالية الإحتكارية الحاكمة للبلدان الإمبريالية .

لم تفضّل الولايات المتحدة وصول الإخوان المسلمين فى مصر أو النهضة فى تونس إلى السلطة إلاّ انّها نظرا لفقدان هياكل السلطة القديمة الشرعية و تفكّكها ، فإنّ القبول بدخول الإسلاميين إلى هيكلة الدولة كان ينظر له كأفضل خيار متوفّر لواشنطن . لقد كان الإمبرياليون و مستشاريهم قادرين تماما على تصوّرالكارثة التى كان يمكن أن تحدث لو أنّ الجيش دُعي إلى إرتكاب مجزرة لإنقاذ مبارك فى 2011 عوض خلع مرسى فى 2013 . إلى حدود إنقلاب 2013 ، واصلت الولايات المتحدة تمويل حكومة الإخوان المسلمين المصريين إلى نفس درجة ما قامت به مع مبارك ، بينما ظلّت معظم مساعدتها توجّه إلى الجيش المصري . و بصفة مشابهة ، حاليّا ، قدّرت الولايات المتحدة أنّ حكومة النهضة فى تونس مقبولة .

و مع ذلك ، اللقاء المؤقّت بين الإخوان المسلمين والنهضة إلخ و المصالح الغربية ليس سوى جانب من المسألة . فللحركة الإسلامية منطقها الخاص . و فى حين يقول الإخوان المسلمون و النهضة إنّهم تطوّروا و إبتعدوا عن جذورهم الأصولية السلفية ، عندما يتخذ الدين كآخر مصدر للأخلاق الصحيحة و الشرعية السياسية ، عندئذ تكون الحدود بين التنويعات الإسلامية أكثر نفاذا . حتى فى تركيا المفترضة نموذجا للإسلام السياسي " المعتدل " قد تلقّت تحفيزا و لم يتوقّف ظهور أشكال أكثر " تطرّفا " داخل و خارج حكومة حزب العدالة و التنمية . و " النجاح " الإقتصادي لحزب العدالة و التنمية – المترئّس لعملية مزيد إدماج تركيا فى النظام الرأسمالي العالمي – جعل أسلمة المجتمع التركي بالقوّة أكثر ضرورة لمشروع أردوغان من جهة ، و دعّم نزاعا أحدّ بين القوى الإسلامية والعلمانية من جهة أخرى. قد أثبتت ما جرت العادة على تسميته ب " الحركة الإسلامية المعتدلة " لأردوغان أنّها غير قابلة للإستقرار بفعل تناقضاتها الداخلية .

و بوجه عام تبحث الحركة الإسلامية عن السلطة السياسية لتكريس نظرة و إيديولوجية شاملة بينما تخاطب المظاهر الأكثر تخلّفا لتقاليد و علاقات إجتماعية يقطّعها التطوّر الرأسمالي الذى تهيمن عليه الإمبريالية . هناك ديناميكية إيديولوجية حقيقية تعمل متماسكة فى هذه المنظّمات و ضمن الحركة الإسلامية ككلّ . فقد زاد تأثير الأشكال الأصولية و الجهادية من الفكر الإسلامي فى ظلّ الحكومات الإسلامية " المعتدلة " فى مصر و تونس .

وأهمّ إنقسام فى صفوف الإسلاميين ليس مدى علاقة برنامجهم الديني ب" المعتدلين" مقابل" الجهاديين". و إنّما هو العلاقة التى ينوون أن تربطهم بالولايات المتحدة و الغرب . فمثلا ، بينما من الأكيد أنّها ليست من " المعتدلين " من السلفية ، دولة السعودية هي التى وفرت ملجأ للعلماني نسبيّا بن علي و ساندت مبارك و الإنقلاب ضد الإخوان المسلمين . و هي بلد نظام ملكي قائم على القبلية و ليس تيوقراطيّا و تخشى العائلة الملكية أن تشهّر بها السلطة الدينية السعودية على أنّه مرتدّ نظرا لعلاقاته الوثيقة بالولايات المتحدة . و نضرب مثالا آخر هو أنّ أيمن الظواهري ، ووريث بن لادن على رأس القاعدة إنحدر من ذات الحركة الإخوانية المصرية التى قالت إنّها تنشد علاقات طيبة مع الولايات المتحدة . التياران متداخلان و يتفاعلان – و تاريخيّا ضمّ الإخوان المسلمون و ضمّت النهضة التياران صلبهما .

و أبعد من ذلك ، هناك تناقض كامن بين إرادة الولايات المتحدة للمناداة بالشرعية الإسلامية لإرساء هيمنتها على المنطقة و دور إسرائيل كأكبر متنفّذ يمكن التعويل عليه من أجل هذه الهيمنة . و مجدّدا ، لنأخذ مثال تركيا ، ليس من اليسير جدّا على أية حكومة إسلامية أن تكون لها علاقات جيدة مع إسرائيل و تظلّ تحتفظ بشرعيتها . و قد بات هذا بديهيّا فى حادث باخرة مرمارا لمّا سمحت الحكومة التركية حينها ، وهي معتبرة أفضل صديق لإسرائيل فى الشرق الأوسط ، أوّلا لمجموعة بواخر بمحاولة كسر الحصار الإسرائيلي و إيصال معونة لغزّة ، و ثمّ لما هاجمت إسرائيل الباخرة القائدة للمجموعة و قتلت تسعة أشخاص ، زأرت الحكومة التركية فى غضب عاجز و لم تفعل شيئا .

ينشد الإخوان المسلمون تخطّى هذا التناقض . و قد وعدوا بحماية إسرائيل و كذلك عزّزت حماس فرع الإخوان المسلمين المصري . و مهما كانت نوايا الإخوان المسلمين ، فإنّه فى ظلّ حكومتهم نمى تسليح الإسلاميين القبليين فى صحراء سيناء ما مثّل تحذيرا كبيرا للولايات المتحدة و معاونها الأصغر الصهيوني . يبدو أنّ حماية إسرائيل كانت عاملا هاما فى كلّ من قبول الولايات المتحدة بحكومة الإخوان المسلمين طالما أنّ الجيش كان ظاهريّا غير قادر على أن يفرض شكلا مفتوحا من النظام الإجتماعي فى مصر و ظلّت الولايات المتحدة متحمّسة لإغراق الإخوان المسلمين و هم يواصلون معانقة غير منقطعة للقوات المسلحة المصرية .

<u>ميكانيكية الماركسية المزيّفة مقابل المادية الجدلية :</u>

فى صفوف أناس كثر يسمّون أنفسهم ماركسيين ، وُجد عدم فهم جدّي للأصولية الإسلامية النابعة من محاولاتهم أن يجروا " تحليلا طبقيّا " ميكانيكيّا لا أساس له . و هذه المقاربة المنهجية مرتبطة بوجهات النظر السياسية وتعزّزها وجهات النظر التى تنزع إلى التذيّل إلى واحدة أو الأخرى من القوّتين اللتين " عفا عليهما الزمن " ، الحركة الإسلامية و الإمبريالية الغربية و ممثليها السياسيين العرب ، الأحزاب السياسية الليبرالية الموالية للغرب . و القيام بمعادلة واحد لواحد بين الطبقة و الإيديولوجيا عمليّا يذهب ضد الجدلية الماركسية و الفهم المادي . (11)

من ناحية ، هناك النظرة التى يمكن أن ترى فقط ما تدّعي أنّه تشكيلة طبقية للحركة الإسلامية . فالمنظّر التروتسكي كريس هارمون أنجز تحليلا واسع التأثير يدعى أن " الإسلام الرديكالي ... " طوباوية " نابعة من القطاع المفقّر من الطبقة الوسطى الجديدة " (12). و روايته هذه لا تصف بدقّة الدور الحقيقي للدين على أنّه ليس مجرّد " أفيون للشعوب " بمعنى مصدر للعزاء وحسب بل أيضا إيديولوجيا أي نظرة إلى العالم ، جملة منسجمة من الأفكار التى تعكس و تعزّز – و تجسد- على نطاق الكرة الأرضية علاقات إنسانية إضطهادية و إستغلالية .

و حتى فكرة أنّ الأصولية الإسلامية " تنبع " من الفقر تسطّح و تشوّه الهياكل الإجتماعية المعقّدة . فهي لا تشرح لماذا يتخذ الغضب العميق للجماهير الشعبية هذا الشكل بالذات ، حتى ضمن المجموعات الإجتماعية التى كانت سابقا تنجذب إلى الشيوعية (كالمجموعات الشيعية المدينية فى العراق مثلا) ، أو لماذا أضحت الأصولية الدينية قوّة ضخمة على هذا النحو فى هذه اللحظة من التطوّر العالمي ، و ليس قبلا ، عندما كان هناك مطلقا فقر أكبر و تخلّف أكبر حتى . لماذا ترعرعت الأصولية الدينية فى دول الخليج الغنية بالنفط – و ضمن طبقات إجتماعية متباينة جدّا ؟ لماذا أعضاء من ذات الشريحة (عليا أو دنيا) يساندون حركة إسلامية أو أخرى فى حين يرفض آخرون هذه الحركات و بشراسة ؟ لماذا يستضيف أمير قطر كلاّ من القواعد العسكرية الأمريكية و يساند الإخوان المسلمين المصريين فيما الإمارات المتحدة العربية المتحدة التابعة للولايات المتحدة و النظام الملكي السعودي يكرهان الإخوان المسلمين ؟ لا يبدو أنّ هذه الظواهر " تنبع " مباشرة من المواقع الطبقية .

لم يتشكّل الجانبان أبدا بوضوح على أساس طبقي و ليس بإمكان المادية الميكانيكية متنكّرة فى " تحليل إقتصادي " أن توفّر لنا أية دلالة .

و من ناحية ثانية ، هناك تحليل منتشر جدّا للأصولية الإسلامية يستعمل منهجا مشابها واحد لواحد ، " ماركسي " مزيّف لبلوغ الإستنتاج المعاكس : يعزى ظهور الأصولية الإسلامية بالأساس إلى دعم الإمبريالية الأمريكية و حلفائها لأنّها " تخفى التناقضات الطبقية " و يمثّل عائقا أمام تطوّر حركة تحرّر وطني . و من أهمّ ذوى التأثير الأكبر المدافعين عن هذه النظرة الإقتصادي المصري و المفكّر السياسي سمير أمين . (13)

يحلّل أفاكيان العلاقة بين الدين و الإقتصاد بطريقة مغايرة جدّا . متمعّنا فى الأصولية الدينية المسيحية و مستعملا المنهج ذاته و مطبّقا إيّاه على الأصولية الإسلامية أيضا ، كتب : " **بعض الناس المنحدرين من نوع من النظرة الإقتصادية و الديمقراطية – الإشتراكية الضيقة قد سقطوا فى التأكيد على أنّ كلّ هذا " الفكر الإجتماعي المحافظ " أو الأصولية الدينية ليس سوى تلهية لإبعاد الناس عمليّا عن الفعل على أساس مصالحهم الإقتصادية الخاصّة . و هذا خطأ جدّي يعنى الإخفاق فى إدراك كيف أن هذه الأشياء من البنية الفوقية ، وعلى وجه الخصوص هذه الأصولية الدينية برمّتها ، فى حين أنّه لها فى نهاية التحليل قاعدة فى التغييرات الإقتصادية و التغييرات الإجتماعية فى المجتمع ، لها حياة خاصة بها نسبيّا، لها إستقلالية نسبية كتعبير إيديولوجي ... يستعمل هؤلاء الديمقراطيين – الإشتراكيين و التقدّميين الديمقراطيين – البرجوازيين مقاربة تستهين بالإستقلالية النسبية للبنية الفوقية و كيفية ردّ فعلها بدورها على الأشياء فى القاعدة الإقتصادية و فى العلاقات الإجتماعية ...**

لا وجود لتناسب واحد لواحد فجّ مباشر بين ما يحدث للناس إقتصاديّا و كيفية رؤيتهم لذلك مثلما ينعكس عبر كافة العلاقات الإجتماعية المختلفة – كما ينزع إلى ذلك ، إن أردتم ، حينما يدخل المجال العام للبنية الفوقية للأفكار و الثقافة و ما إلى ذلك . هذه الأفكار و هذه الثقافة بما فيها الأصولية المسيحية الرجعية ، تجد تحديدها فى نهاية التحليل فى القاعدة الإقتصادية الأساسية لكن هذا تحديدها فى نهاية التحليل . و علينا أن ندرك جدلية ذلك و لن تسعفنا فى ذلك المادية الميكانيكية الفجّة " (14).

ليست الأصولية الدينية خارجة عن نطاق المجتمعات التى تزدهر فيها و لا هي فى الأساس خدعة يروّج لها الرأسماليون صلب الجماهير الجاهلة . يعود ظهورها بقدر كبير إلى المال السعودي و عمليات تغطية إسرائيلية و دعم الولايات المتحدة و قوى إمبريالية اخرى تهدف إلى مواجهة كلّ من التأثير السوفياتي و

الحركات الثورية الحقيقية – و هذا يحتاج أن نشير إليه و نفضحه بالتفصيل بإستمرار .(15) لكن هذا لا يفسّر القبول العالمي للفكر الإسلامي . فهذا القبول فى جزء كبير منه مردّه لظروف موضوعية خلقها سير الهيمنة الإمبريالية الذى أفرز تغييرات عميقة و متواصلة - ليس كمؤامرة (رغم انّ الإمبرياليين يتآمرون دائما) بل نتيجة لسير النظام و تأثيرات جرائمه فى هذا الوضع .

و مثلما شرح أفاكيان : " **من ضمن المظاهر الأبرز للوضع اليوم ،هناك القفزات التى تحدث فى العولمة والمرتبطة بتسريع فى سيرورة المراكمة الرأسمالية فى عالم يهيمن عليه النظام الرأسمالي - الإمبريالي . و قد أدّى هذا إلى تغييرات ذات دلالة و عادة مأساوية فى حياة أعدادهائلة من الناس ما قوّض عادة العلاقات و العادات التقليدية ... [و] ساهم فى النموّ الحالي للأصولية الدينية ...**

عبر ما يسمى بالعالم الثالث ، يدفع الناس بالملايين كلّ سنة بعيدا عن الأراضي الزراعية أين عاشوا و حاولوا أن يدبّروا أمر معيشتهم فى ظلّ الظروف الإضطهادية للغاية لكنهم الآن لم يعودوا قادرين حتى على ذلك : يُرمى بهم فى المناطق المدينية ، فى غالب الأحيان و جولة بعد جولة ، فى مدن الصفيح الممتدّة و فى الأحياء القصديرية الواقعة حول نواة المدن . لأوّل مرّة فى التاريخ ، الحال الآن هو أنّ نصف سكّان العالم يعيشون فى المناطق المدينية بما فى ذلك مدن الصفيح الكثيرة و الدائمة النموّ.

و قد إجتثّوا من ظروفهم التقليدية – و الأشكال التقليدية التى تستغلّهم و تضطهدهم – يقع القذف بهم إلى حياة غير آمنة و غير مستقرّة ، غير قادرين على الإندماج بأي نوع من " الطرق الملائمة " ، فى المصنع الإقتصادي و الإجتماعي لسير المجتمع . فى عديد بلدان ما يسمى بالعالم الثالث هذه ، غالبية الناس فى المناطق المدينية يُستغلّون فى الإقتصاد غير الرسمي – مثلا ، كباعة متجوّلين أو تجّار على نطاق ضيّق من أنواع شتّى ، أو فى النشاط السرّي و غير القانوني . إلى درجة ذات دلالة بسبب هذا ، بتحوّل عديد الناس إلى الأصولية الدينية ليحاولوا أن يجدوا ما يعتمدون عليه وسط كلّ هذا التفكّك و الوضع المتزعزع .

و عامل إضافي فى كلّ هذا هو أنّه فى العالم الثالث ، هذه التغييرات و التفكّكات الكبرى و السريعة تحدث فى إطار هيمنة الإمبرياليين الأجانب و إستغلالهم - و هذا فى إرتباط بالطبقات الحاكمة "ا لمحلّية " التابعة إقتصاديا و سياسيّا للإمبريالية ، و يُنظر إليها كعميلة فاسدة فى خدمة قوى غربية و كمشجّعة على " ثقافة غربية منحطّة " . و هذا ، على المدى المنظور قد يعزّز يد قوى الأصولية الدينية و قادتها الذين يأطّرون معارضة ط الفساد " و " الإنحطاط الغربي " للطبقات الحاكمة المحليّة و الإمبرياليين الذين يدينون لهم بالشكر ، بمعنى العودة و التعزيز بإنتقام للعلاقات و العادات و الأفكار و القيم التقليدية التى هي ذاتها متجذّرة فى الماضي و تجسّد أشكالا قصوى من الإستغلال و الإضطهاد ... لكن ظهور الأصولية يُعزى أيضا إلى تغييرات سياسية كبرى و سياسة و أعمال واعية من طرف الإمبرياليين فى المجال السياسي ما كان له أعمق الأثر على الوضع فى الكثير من بلدان ما يسمّى بالعالم الثالث و منها بلدان الشرق الأوسط .

و كبعد من الأبعاد المفاتيح لهذا ، فى غاية الأهمية عدم التغاضي عن أو الإستهانة بتأثير التطوّرات فى الصين منذ وفاة ماو تسى تونغ و التغيّر الكلّي فى ذلك البلد ، من بلد كان يتقدّم على طريق الإشتراكية إلى بلد حيث بالفعل وقعت إعادة تركيز الرأسمالية و و قع تعويض توجّه تشجيع الثورة و دعمها فى الصين و عبر العالم ببلد يبحث عن تركيز موقع أقوى للصين فى إطار سياسات قوى العالم التى تهيمن عليه الإمبريالية . و كان لهذا أثر عميق – سلبي – فى تقويض ، على المدى القصير ،

ضمن عدد كبير من الناس المضطهَدين فى العالم ، معنى أنّ الثورة الإشتراكية كانت توفّر مخرجا من بؤسها ، وفى توفير المزيد من الأرضية للذين ، و منهم خاصة الأصوليون الدينيون ، يبحثون عن توحيد الناس وراء شيء بطرق معيّنة يعارض القوّة المضطهِدة المهيمنة على العالم و لكنهم يمثّل هم ذاتهم نظرة للعالم و برنامج رجعيين ...

و هؤلاء الشباب نفسهم و غيرهم الذين يندفعون عندئذ نحو الأصوليات الإسلامية و الدينية الأخرى ، كانوا عوض ذلك سيندفعون نحو القطب المختلف جذريّا أي القطب الثوري للشيوعية . و قد تعزّزت هذه الظاهرة أكثر بإنهيار الإتحاد السوفياتي و " الكتلة الإشتراكية " التى كان يتزعّمها ...

و أدّى كلّ هذا – و فى علاقة به ، هجوم إيديولوجي بلا هوادة من قبل الإمبرياليين و كتلة أتباعهم من المثقفين – إلى مفهوم إنتشر و أذيع على نطاق واسع ، عن هزيمة الشيوعية و موتها وقتذاك ، مزعزعا الثقة فى الشيوعية فى صفوف القطاعات العريضة من الناس بما فيهم الذين يبحثون بلا توقف عن طريق لمواجهة الهيمنة و الإضطهاد و الإنحطاط الإمبرياليين . لكن ليست الشيوعية وحدها هي التى عمل الإمبرياليون وسعهم لإلحاق الهزيمة بها و تلويث سمعتها فى التراب. فقد إستهدفوا أيضا القوى و الحكومات العلمانية الأخرى التى إلى درجة أو أخرى عارضت أو مثّلت موضوعيّا عوائقا أمام مصالح الإمبرياليين و أهدافم ، لا سيما فى أجزاء من العالم كانوا يعتبرونها ذات أهمّية إستراتيجية ". (16)

إنّ نظرة إقتصادوية سطحية للعلاقة بين السياسة و الإقتصاد لا تستطيع أن تفسّر كيف يمكن أن توجد أنظمة إقتصاديّا منسجمة مع السوق العالمية غير أنّها إشكالية سياسيّا بالنسبة للولايات المتحدة و / أو إمبرياليون آخرون مثل نظام الأسد فى سوريا و جمهورية إيران الإسلامية (و بالمناسبة ، مثل هذه الرؤى لا يمكن أن تفهم ظواهرا من مثل الحروب الإمبريالية التى لا يقودها دائما الربح المباشر). مثل هذه الإختزالية تستهين بتعقّد العلاقة بين الإمبريالية الغربية و الأصولية الإسلامية و تنتهى إلى التحالف مع قوّة من القوتين اللتين "عفا عليهما الزمن " .

إنّ الوقوف إلى جانب و تعزيز قوّة من القوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " هو ما تشترك فيه هذه الرؤى الخاطئة المعروضة . و هذا جزء من سبب كون بعض الناس الذين يعتبرون أنفسهم تقدّميون أو ثوريون قد يتخذون مثل هذه المواقف السياسية الرجعية . و هذا التفكير قد برّر الموقف الذى إتخذه غالبية اليسار التاريخي و القوى التى تعدّ نفسها علمانية فى مصر و تونس و أماكن أخرى ، والذى توصّل إلى رؤية الإسلاميين كعدّوه الرئيسي و صار من أتباع الأحزاب الليبرالية (و إلاّ بالنسبة إلى سوريا ، أتباع لحزب البعث الحاكم الذى هو أكثر علمانية و ليبرالية إقتصاديّا وحتى تسامحا من بعض " اليسار" مقارنة بغالبية الأنظمة فى الشرق الأوسط – مجدّدا ، العلاقة بين السياسة و الإقتصاد ليست بهذه السهولة . هنا بإمكاننا كذلك أن نشاهد إفلاس الأحزاب " اليسارية " ذات الرؤية فى شكلها الأكثر راديكالية محدّدة بنظام يشبه نظام الأسد).

<u>حلقة مفرغة من التعزيز المتبادل :</u>

يعدّ الأمل الذى وقعت تغذيته على نطاق واسع ، أمل أنّ الإنقلاب فى مصر سيعرقل الإسلام السياسي فى المنطقة تفكير آمل . و بالضبط لأنّ الولايات المتحدة و الإمبرياليين الآخرين هم الذين يهيمنون على العالم و يضطهدونه ، فإنّه إلى درجة عدم تمكّن الناس من رؤية أي بديل عدا التخندق سواء مع القوى

الإسلامية أو القوى الموالية للغرب ، قد يزوّد الوضع اليوم فى مصر فى النهاية الإسلاميين فى كلّ مكان بالقوّة .

يحبّ الإسلاميون أن يشيروا إلى النفاق الصارخ و إضطهادية القيم و الأخلاق التى يشجّع عليها الإمبرياليون الغربيون . و بينما كانت الولايات المتحدة تدعو إلى حقوق الإنسان ، كانت تزوّد بأدوات التعذيب و كتيبات التعليمات و قائمات الأسئلة التى يجب طرحها و كانت حتى تجعل من مبارك و بشار الأسد ضحايا و تدعم كلّ جريمة تقترفها إسرائيل . لقد حوّلوا الأرض إلى جحيم لغالبية السكّان و هم يهدّدون تواصل الحياة على الكوكب . إنّهم يهذون بإنقاذ النساء العربيات من الرجال العرب و فى نفس الوقت يشجّعون على الحطّ من مكانة النساء فى بلدانهم الخاصّة بتقليصهن إلى أدوات للإشباع الجنسي للرجال (17). و هؤلاء الإمبرياليين و القادة السياسيين الليبراليين العرب الذين يمثّلون الإمبرياليين محلّيا ليس بوسعهم أن يقدّموا حلاّ للإحباط و الآلام التى تميّز الحياة اليومية لغالبية الناس و لا أي بديل للنظرة الدينية التى تعبّر عن اليأس و الخضوع .

ستكون للإسلاميين ميزة طالما أنّهم يصوّرون النزاع على أنّه نزاع بين الجماهير العريضة من المقهورين من جهة و مداحي الهيمنة الغربية ذوى الإمتيازات من جهة أخرى . و محاولة تصوير العلمانيين على أنهم أقلّية لا تهتم سوى بإمتيازاتها موضع الخطر يساعد عليها الليبراليون الذين يخشون الطبقات الدنيا و بالكاد يهتمّون بمعالجة حاجياتها الأساسية .

و حتى و إن كان ممكنا لمصر و تونس مثلا أن تصبحا ما يعد به الليبراليون ، خاليتين من الفساد و التعذيب لكن مرتبطتين وثيق الإرتباط بالرأسمال الأجنبي و السوق العالمية مثلما كانوا دائما ، مع كلّ التفقير و التخلّف و اللامساواة لجماهير الشعب الحتميين الناجمين عن ذلك – كيف يمكن لذلك أن يلبّي مطلب " خبز ، حرّية عدالة إجتماعية " ؟

و كيف تظهر الديمقراطية البرجوازية فى العالم الحقيقي ؟ أنظروا إلى جنوب أفريقيا التى تملك أحد أكثر الدساتير الديمقراطية البرجوازية تقدّما فى العالم الضامن ليس للمساواة السياسية فقط و إنّما أيضا لحق كافة المواطنين فى السكن و الرعاية الصحّية و المرافق الصحّية و الأكل و الماء و التعليم . و مع ذلك ، نمت فى هذا البلد اللامساواة منذ نهاية حكم الأبرتايد قبل عقدين ، حتى مع أنّ حجم الإقتصاد قد تضاعف ثلاث مرّات ، فى هذا البلد لا تزال الأغلبية من السود تعيش فى بؤس ولا يزال العمّال المضربون يقتلون بالرصاص . أو الهند ، " أكبر ديمقراطية فى العالم " أين إنتشرت مراكز المكالمات الهاتفية العالمية – الطبقية و المعامل وسط الفضلات و قاذورات المجاري التى على الجماهير أن تعيش فيها ، أين توفّر صناعة التقنية العالية ثروة للبعض و تقريبا الكلّ ليس لديهم كهرباء معوّل عليه ، أين تستخدم التقنية الطبّية للتعرّف على جنس الجنين و تحطيمه إذا كان أنثى ، و الهند بلد يتميّز بمنتهى الفقر و منتهى الفساد و نظام كاست و إضطهاد ديني و إثني .

أو أنظروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها ، و هي بالمناسبة أغنى ديمقراطية برجوازية إطلاقا ، أين تحكم طبقة منتفخة جراء الإفتراس و الإستغلال العالميين و أين تنتشر فى المجتمع الرائحة العفنة لبقايا النظام العبودي حتى لا نذكر سحق الحياة و الطموحات بفعل السير العادي للسوق .

و الذين يدّعون أن ما يُحتاج إليه هو مزيد التطوّر الرأسمالي يخفقون فى التعرّف على أو الإقرار بأنّ التطوّر الرأسمالي الذى لا يمكن إلاّ أن يعني ، فى عالم اليوم ، تطوّرا رأسماليّا مرتبطا بالرأسمال

الإمبريالي ، إقتصاد قطاعاته مرتبطة بالسوق العالمية و ليس إقتصادا وطنيّا مندمجا هو ما أوصل هذه البلدان إلى ما هي عليه اليوم . لقد كانت نسبة النموّ الإقتصادي فى مصر و تونس طوال العقود الأخيرة أعلى من عديد البلدان الأخرى . يثقل الفقر و التخلّف المستمرّان تماما على عدد من المجتمعات العربية و ينتجان إحساسا شاملا بالإحباط و الإذلال . مجدّدا للعودة إلى تحليل أفاكيان ، هذا جزء من الإطار الذى صارت فيه الحركة الإسلامية عاملا هاما جديدا فى عالم اليوم .

أمّا بالنسبة للإدعاءات الليبرالية فى المجال السياسي بأنّهم يمثلون " الحرّية " فمن جديد يحبّ الإسلاميون أن يشيروا إلى كيف أنّ القوى الإمبريالية التى يمثّلها هؤلاء الليبراليون تغزو البلاد تلو البلاد و على وجه العموم تتحكّم أيما تحكّم فى العالم . عندما خسر الممثلون المحلّيون الذين إختارهم الإمبرياليون المناورة الإنتخابية ، فجأة صرّحوا بأنّ حكم الأغلبية و الحقوق الدستورية إلخ لم تعد مقدّسة بالنسبة لهم – على غرار ما حدث فى مصر . و بالضبط مثل الإسلاميين ، فى رأيهم الإنتخابات و البرلمان وسائل لغايات و لا يمكن أن يكون الأمر عكس ذلك. و بينما من الضروري خوض نضال إيديولوجي و كذلك سياسي ضد الأصولية الدينية ، من الضروري بشكل متساوي عدم معارضة البرنامج الإقتصادي لليبراليين و حسب بل أيضا إيديولوجيتهم الديمقراطية البرجوازية التى ليست أقلّ تسميما لعقول الجماهير من الدين .

و للعودة إلى نقاش أفاكيان للعلاقة بين السياسة و الإقتصاد : **" الآن بالنظر إلى مسألة الحرّية و الديمقراطية و حقوق الشعب ، هناك نقطة جوهرية حين تكون علاقات الإنتاج على نحو يمنع جماهير الشعب من إمتلاك وسائل الإنتاج - و بالتالي هي مرتهنة ، فى ذات حياتها و معاشها بمجموعة صغيرة ، أو طبقة تحتكر ملكية وسائل الإنتاج - هناك فى جوهر الأمور بالذات وضع فيه قد منعت الجماهير من القدرة الأساسية أو إن شئتم " حق " ممارسة التحكّم الأساسي فى حياتها ذاتها ، فما بالك بالمجتمع ... و هذه العلاقة الإقتصادية التى تمارس فيها طبقة سلطة الحياة و الموت على الآخرين - لا تحدّد نوعيّا فقط بطرق عدّة قدرة أولئك " الآخرين " على المساهمة فى و لعب أي دور حاسم فى تحديد توجّه المجتمع... بل تنعكس هذه العلاقة الإقتصادية و لا يمكنها إلاّ أن تنعكس فى البنية الفوقية خاصة فى الطرق التى تتجسّد فيها السلطة السياسية وتمارس لتعزّز العلاقات الإقتصادية الإستغلالية "** (18).

وحتى بإنتخابات حقيقية ، الديمقراطية البرلمانية منسجمة تمام الإنسجام وهي عادة أفضل شكل من أشكال دكتاتورية الطبقة المستغِلة مثلما يمكننا مشاهدة ذلك عند النظر فى الواقع الإجتماعي و السياسي فى بلدان عبر العالم أين تجرى مثل هذه الإنتخابات . تخفى المساواة الشكلية للمواطنين أمام القانون و تفرز كلّيا لامساواة هائلة تميّز كلّ بلد .

و مثلما صاغ ذلك أفاكيان :

" فى عالم يتميّز بإنقسامات طبقية ولامساواة إجتماعية عميقين ، الحديث عن "الديمقراطية " دون الحديث عن الطبيعة الطبقية لهذه الديمقراطية ، بلا معنى وأسوأ. طالما أنّ المجتمع منقسم إلى طبقات، لن توجد " ديمقراطية للجميع " : ستحكم طبقة أو أخرى وستدافع عن وتروّج لهذا النوع من الديمقراطية الذى يخدم مصالحها و أهدافها. المسألة هي : ما هى الطبقة التى ستحكم وإذا ما كان حكمها ونظام ديمقراطيتها، سيخدم تواصل أو فى النهاية القضاء على الإنقسامات الطبقية و علاقات الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة المتناسبة معه." (19)

و إضافة إلى ذلك ، فى البلدان التى تهيمن عليها الإمبريالية ، لن تكون الديمقراطية البرلمانية شكلا فحسب لدكتاتورية الطبقات المستغِلة لا وزن فيها لمصالح الشعب و أعمق مطامحه فى القرارات الأساسية والحال كذلك فى الغرب ، بل ستكون أيضا فارغة بصورة مضاعفة لأنّ الحياة المحلّية تتحدّد فى النهاية بمصالح و قرارات القوى الإمبريالية و أجهزة إخضاعها التوأم ألا وهي جيشها و السوق العالمية . و هذه العوامل ، إلى جانب فقر مدقع وتواصل العلاقات الإجتماعية و الإقتصادية ما قبل الرأسمالية ، تجعل من الصعب تطبيق نوع من الديمقراطية البرلمانية الذى يستخدمه عامة الرأسماليون ليحكموا فى البلدان الإمبريالية .

غياب الحقوق السياسية و السنسرة و الصحافة المأجورة هي عموما مظاهر من الديمقراطية التى تمارس فى البلدان التى تضطهدها الإمبريالية . هذه أسباب تشرح لماذا تلجأ غالبا أكثر الحكومات فى بلدان يبقى شعبها فى يأس بفعل الطبقة الحاكمة التابعة للإمبريالية إلى القمع الخبيث و التعذيب إلى جانب الدين و الأسلمة المتصاعدة للمجتمع (التى شجّع عليها كلّ من مبارك و بن علي حتى لمّا كانا يحاولان التغطية على المنظّمات الإسلامية).

فى 1958 ، الحبيب بورقيبة ، أوّل رئيس لتونس بعد الإستقلال الشكلي ، شرب خلال شهر رمضان كأس عصير و عرض ذلك فى التلفزة فى محاولة منه أن يحبط ما إعتبره خسارة إقتصادية للبلاد فقط أثناء شهر الصيام . و هذا لا يمكن تصوّره فى أي بلد من البلدان العربية اليوم ، أين يحتاج بشّار الأسد ، القائد الأكثر لائكية فى المنطقة ، كلّ المساعدة التى قد يحصل عليها من الدين . هكذا هو تفشّى اليأس و ما رافق صعود الدين فى عالم اليوم .

و عندما يتعلّق الأمر بالإمبرياليين (و السياسيين المحلّيين المدلّلين الموالين للغرب) من جهة و الإسلاميين من جهة أخرى ، لا وجود لإختيار مقبول . و بالفعل مهما حصل ، دون ظهور الحركة الثورية بقيادة شيوعية يمكن أن تغيّر الساحة السياسية اليوم فى الشرق الأوسط ، فإنّ الناس فى المنطقة و أبعد منها سيشكون من الإملاءات الإمبريالية و نير الدين على حدّ السواء ؛ و التوتّرات و النزاعات التى تنشأ عن تفاعلها .

<u>لماذا مصر على ما هي عليه اليوم :</u>

ليست الإمبريالية مجرّد كلمة فارغة أو جملة من السياسات . إنّها تعنى نظاما حيث الإحتكارات و المؤسسات المالية تتحكّم فى الإقتصاديات و الهياكل السياسية فى البلدان الأوطان مثل الولايات المتحدة و " الغرب " عامة و فى العالم بأسره أيضا . إقتصاديات – و حياة ناس – البلدان المهيمن عليها خاضعة لمراكمة رأس المال المرتكز فى البلدان الإمبريالية . و مثلما تمّ شرح ذلك فى " إنهيار أمريكا " لريموند لوتا و فرانك شانون ، (20) " **هذا لا يعنى أنّ الإمبريالية ببساطة تخضع البلدان المضطهَدة أو أنّها تستخرج لا غير الثروة من خلال تجارة لامتساوية أو نهب سافر ، رغم أنّ هذا يحدث بالتأكيد . بإمكان رأس المال ، و على المدى الطويل عليه ، أن يطوّر إقتصاد هذه البلدان . لكن عليه أن يطوّرها على أساس إمبريالي – بوجه خاص ، على أساس ملائم للرأسمال الأجنبي – و فى تناقض مع كلّ من رفاه أوسع جماهير تلك البلدان و مع التطوّر المندمج نسبيّا للتشكيلة الإجتماعية . و حتى حيث يقع إدخال العلاقات الرأسمالية على نطاق واسع فى تلك البلدان ، ليست هذه البلدان على طريق التطوّر الرأسمالي المستقلّ** ". و من ضمن التشويهات الأخرى التى يحدثها هذا النوع من التطوّر الرأسمالي ، ينزع ملكية الكثير من الفلاحين و طبقات إجتماعية تقليدية أخرى لكنّه لا يستطيع أو يوظّفهم بشكل مربح

و النتيجة هي " شريحة " سكّان مدينيين ضخمة فى بطالة مقنّعة أو بطالة مستمرّة وإهدار هائل (عدم إستعمال) للعمل فى الريف .

هذه هي علامات فاقعة لدي عديد البلدان العربية . وهو وضع مزمن فى تونس ، التى لوقت طويل صدّرت جزءا من سكّانها الريفيين و كمثال دقيق آخر لنأخذ الأزمة الفجئية فى السنوات القليلة الأخيرة نظرا لإنفتاح سوريا على السوق العالمية .

و مع إندماج مصر بصورة تامة أكثر فى الأسواق المالية العالمية طوال العقود العديدة الأخيرة ، تضخّمت بعض قطاعات الإقتصاد لكن الحياة صارت مؤلمة أكثر بالنسبة للغالبية . و فى المناطق الريفية حيث لا يزال يعيش نصف السكّان ،" الإصلاح الزراعي المضاد " للفلاحة الذى إستهدف تشجيع الفلاحة الرأسمالية المعاصرة فى ريف متميّز بملكيات صغيرة جدّا ، حوّل عديد الفلاحين إلى عمّال و عن قصد دفع بالكثيرين خارج نطاق الأرض تماما . و بالتالي ، العمل الرخيص متوفّر جدّا لمصانع النسيج و مصانع اللباس و غيرها من المصانع الواقعة فى دلتا النيل ، حتى أنّ الصين الرأسمالية بزادها الخاص الواسع من العمّال المفقّرين و الفلاحين المهجّرين ، وجدت من المفيد أن تركّز مصانع تصدير هناك .

و تظلّ الفلاحة و الصناعة على حدّ السواء معرقلتان لأنّ إندماج مصر فى النظام الإمبريالي العالمي يحدّد و يعيّن حدود تطوّرها . (21) و التطوّر الذى حصل كان عادة تأويليّا أكثر أو مرتبطا بالخدمات و الإستهلاك أكثر من الإنتاج الأساسي .

مثلا ، غدت مصر أين ساعدت الظروف الفلاحية المناسبة على إرساء قاعدة لإحدى الحضارات الإنسانية الأولى (بعض الأرض السقوية بوسعها أن تنتج ثلاث محاصيل سنويّا) ، بصفة متصاعدة مرتهنة للتوريد من الولايات المتحدة ، إلى جانب بلدان أخرى ، لحاجيات غذائية أساسية مثل الذرة و القمح ، رغم الثروة الفلاحية الممكنة للبلاد .(22) و الكثير من مصادرها الفلاحية ومحاصيلها موجهة للتصدير. وبدأ هذا فى السنوات الأولى من 1800 لمّا أضحى إنتاج القطن هوالموقع المحدّد لمصر فى تقسيم العمل فى الإقتصاد العالمي – كلمة سرّ الإستغلال الرأسمالي و الإمبريالي .

و لنضرب مثالا آخر . تورّد مصر المنتوجات البترولية المكرّرة حتى بالرغم من كونها منتج كبير للنفط و الغاز . و فى حين أوصلت أنابيب الغاز الطبيعي إلى إسرائيل (بسعر جدّ منخفض) ، كان عديد المصريين مضطرّين إلى حمل قوارير غاز ثقيلة و غير آمنة و صعود الدرج بها لطبخ الطعام و ذلك لنقص فى أنابيب الغاز المحلّية و البنية التحتية . يتمّ توريد غاز البوتان و كذلك منتوجات البترول المكرّرة كالديازال و البنزين . و ببساطة يعنى تحديد الحكومة للأسعار أنّ هذه الأشياء غير متوفّرة عادة عبر القنوات الرسمية و يضطرّ الناس إلى إضاعة وقت للتعامل فى السوق السوداء.

و قنال السويس الذى بناه العمل الإجباري للفلاحين و إستعيد بالقوّة من بريطانيا التى إستولت عليه ، مصدر هام للمداخيل و التشغيل لا سيما للعمّال ذوى المؤهلات لكنّها أيضا موجهة للتصدير ولا تساهم كثيرا فى تطوير البلاد .

و نتيجة كلّ هذا ، قطاع كبير من السكّان فى المدن و الأرياف لم يعد يعيش حياة تقليدية لكن لم يقع إدماجه فى الإقتصاد الرسمي . و إستمرار هذا الوضع لأزيد من نصف قرن دليل على أن المشكل ليس التطوّر و إنّما أي نوع من التطوّر . (23)

القاهرة إحدى مدن العالم الأكثر تعقيدا ، غير أنّ غياب الشغل القار و الإعتماد على العلاقات الإقطاعية و القبلية و غيرها من العلاقات الشخصية و المنّة لأجل البقاء على قيد الحياة ، وظروف الحياة مرتجلة و مضطربة بالنسبة لعديد سكّانها و حتى حجمها غير القابل للثبات ، هي أوضاع مرتبطة وثيق الإرتباط بكيفية عرقلة الإقتصاد و التطوّر الإجتماعي الشامل نظرا لتبعية البلاد للرأسمال المرتكز فى البلدان الإمبريالية . و يعمل عدد ضخم من الناس فى مكان الآلات (فى البناء مثلا ، حيث ظهر العمّال أرخص من رفّاعة) أو كبوّابين و حرّاس و مساعدين و ما إلى ذلك . هذا إهدار إجرامي للإمكانيات البشرية .

وفى نفس الوقت ، بفضل التلفزة و الأنترنت معايير أنماط العيش الأمريكية و الأوروبية معروفة جدّا لدى ملايين الشباب الذين لديهم القليل من التعمّق و إمكانيات محدودة للإلتحاق بالجامعات و لا أمل فى القبول بهم فى هذا النوع من المعاصرة . وهو وضع منتشر فى الكثير من بلدان العالم العربي .

و مثال مذهل للطابع الخاوي لتطوّر البلاد ، منظور إليه من آفاق مصالح الشعب ، هو النظام الصحّي المصري . تقريبا كلّ فرد يوجد نظريّا ضمن مسافة قصيرة من المصحّات و المستشفيات التى توفّر علاجا مجانيّا . لكن الرشاوي المطلوبة للحصول على الرعاية الصحية بعيدة جدّا عن متناول الكثير من الناس. و بالرغم من الخدمات الطبّية المعاصرة ، لمصر نسبة وفايات أطفال عالية وهو مؤشّر عن الوضع الحقيقي للصحّة . وفى ذات الوقت ، بينما يتخرّج الكثير من الأطبّاء من المعاهد الطبّية المصرية و يتوجّه الكثير منهم إلى الخارج ، ليس فحسب بحثا عن المال ، بل كذلك بسبب كونهم كأشخاص ليس بإمكانهم ما يقومون به لتغيير هذا الوضع . فكميات ضخمة من الموارد الإجتماعية و الجهود الفردية التى تنصبّ فى التعليم الجامعي تهدر عندما ينتهى الشخص إلى العمل كسائق فى لندن أو يدير متجرا غذائيّا فى نيويورك.

التمرّدات فى مصر و تونس و أماكن أخرى لا يمكن تفسيرها بالحرمان الإقتصادي وحده بما أنّ ذلك ليس بالأمر الجديد . فهناك شعور عام عبر هذه المجتمعات بأنّ حياة الناس و البلاد قد إنتهت إلى طريق مسدود . (24). هذه هي الظروف التى تحدّد إطار كلّ من الأزمة السياسية التى أطاحت ببن علي و مبارك و بصعود الحركة الإسلامية .

<u>هل هناك طريق وسطى بين الرأسمالية و الإشتراكية :</u>

ثمّة بعض الناس الذين يحاولون أن ينأوا بأنفسهم عن الليبراليين والإسلاميين على حدّ سواء رغم أنّهم ينزعون إلى السقوط فى المعسكر الليبرالي لأنّهم يأملون فى أنّ " الفضاء الديمقراطي " يمكن أن يسمح بتغيير تدريجي . إنّهم يتقدّمون بتنويعات من فكرة السياسة " الإنتقالية " و الهيكلة الإقتصادية حيث الرأسمالية ستعمل بطريقة مختلفة . ينادون بتدخّل الدولة لتفرض على المستثمرين مطاوعة الأهداف الوطنية و الإجتماعية .

مثلا ، فى مقال فى ربيع 2013 المنشور على موقع المنتدى الإجتماعي العالمي ، يرسم سمير أمين سلسلة من الخطوات الملموسة التى يحاجج بأنّه فى مقدورها أن تجنّب كلّ من " الرأسمالية الهرمة "

لمبارك التى فيها يمكن أن تزدهر حفنة من الناس المرتبطين بالنظام و خاصة بمبارك و عائلته (وهو أمر يشبه كثيرا بن علي تونس و عائلة الأسد فى سوريا) والرأسمالية " الليبرالية " (السوق الحرّة دون ضوابط) التى يتبنّاها كلّ من الليبراليين و الإخوان المسلمين . و نودّ أن نتفحّص مقترحاته ليس فقط بسبب تأثيرأمين بل كذلك بسبب أنّ نقاطه دقيقة فى الوقت الذى كانت فيه البرامج الإقتصادية لما يسمّوا باليساريين فى جبهة الإنقاذ الوطني الليبرالية ، لا سيما الأبرز منهم ، المرشّح للرئاسة حمدين الصباحي الذى سانده أمين ، قد كانت ضبابية جدّا عمدا . و تجسّد أفكار أمين البرنامج الواضح أو الخفي لغالبية " اليسار" فى مصر وتونس .

1- وضع حدّ ل " الرأسمالية الهرمة " بأن يفرض على الذين سُمح لهم بشراء ملكية الدولة بأسعار المزاد العلني أن يدفعوا القيمة الحقيقية لما تحصّلوا عليه .

2- رفع الأجر الأدنى و تبنّى تسقيف الأجر .

3- إنشاء لجنة ثلاثية بين النقابات (بما فى ذلك النقابات غير المعترف بها قانونيّا حاليّا) و الأعراف و الدولة للتفاوض فى الحقوق والأرباح .

4- إلغاء منح الدولة للمؤسسات الإحتكارية .

5- الترفيع فى أداءات المؤسسات الكبرى و الأجنبية و التخفيض فى أداءات المؤسسات الصغرى .

6- تقديم منح لميزانية الرعاية الصحّية لتغطية عجزها هي و الخدمات العامة الأخرى .

7- مركزة القروض لدى بنك مركزي .

8- و بالنسبة للفلاحين الصغار ، تحسين الطرق الفلاحية و قروض الدولة للإستثمار و توزيع التعاونيات و تجميد إيجار الأرض و قوانين جديدة تجعل من الأصعب طرد الفلاحين من أراضيهم . (25)

و تقف ضخامة مشاكل البلاد فى تعارض حاد مع تفاهة هذه الحلول المقترحة . ولنتفحّص فقط ثلاثة من العيوب الأساسية فى هذه الحجّة .

أوّلا ، إنّها تغالي فى الإختلاف بين " الرأسمالية الهرمة " و الرأسمالية " الليبرالية " . و بالفعل أوّل نقطة صاغها أمين مؤكّدا على أنّ يدفع الرأسماليون القيمة " العادلة " (التى ليس بوسعها إلاّ أن تكون قيمة السوق) للمقتنيات القديمة و الجديدة هو بالضبط ما يدعو إليه منظّرو السوق الحرّة .

الرأسمالية ، أكانت هرمة أم غير ذلك ، يجب أن تبحث عن اعلى نسب الربح . مثلا ، الفلاحة التى يقرّ أمين أنّها المشكل الأعوص فى قائمته يتجنّبها تماما عديد اليساريين . و تكون الفائدة أزيد إن تركّز رأس المال فى مزارع كبرى تنتج مجموعة صغيرة من المحاصيل الموجهة للتصدير مثل القطن ، و توريد المواد الغذائية و ترك بقية الفلاحة فى ركود ، من تشجيع تطوّر و تنويع شاملين .

و علاوة على ذلك ، فإنّ ما ينجم عن هذا من عدد هائل من الناس المحرومين من أرض قابلة للفلاحة و يائسين من أعمال أخرى هي بالضبط بسبب وجود إستثمار دولة و إستثمار أجنبي فى إنتاج المصانع ، مرّة أخرى ، بالأساس بضائع قطنية للتصدير. ما هو الشيء الآخر الذى سيجلب الرأسمال الأجنبي إلى

مصر ؟ طالما أنّ أي إقتصاد يقوم على المبدأ الرأسمالي لجني الربح ، يجب أن يخضع لمقتضيات السوق العالمية .

ثانيا ، تحمل هذه المقاربة فرضية غير مباشرة تشدّد على أنّ الدولة محايدة و يمكن أن تُستعمل ضد الطبقة الرأسمالية الحاكمة فى حين أنّها عمليّا تمثّل تلك الطبقة . و كلّ من له إطلاع على هيكلة السلطة المصرة ، مثلا ، سيجد من العسير إنكار أنّ القوات المسلّحة و أجهزة الأمن هي لبّ الدولة . و هذا ليس لمجرّد كون للجيش الدور القيادي فى الإقتصاد . و ينطبق الشيء نفسه على تونس أين القوّات المسلّحة أقلّ بكثير عدديّا و لا تتمتّع بذات الدور الإقتصادي الكبير . جهاز الدولة برمّه ، بما فيه القضائي البيروقراطي من قمّته إلى قاعدته ، يخدم تلك المصالح الطبقية . و قد بقيت هذه الأجهزة تقريبا دون مساس رغم الإستقالة المفروضة على مبارك و بن علي ، مواصلة تعزيز النظام الإقتصادي و الإجتماعي . و بالفعل دور الدولة كمعزّز لجملة العلاقات الإقتصادية و الإجتماعية السائدة ، و فى هذه الحال الرأسمالية و الإمبريالية ،هي مبدأ محوري فى الماركسية يتعيّن نصح منظرينا " الماركسيين " بتذكّره .

ثالثا ، تعتمد هذه المقاربة أيضا على فرضية أخرى أساسية غير مصرّح بها : أنّ ثورة حقيقية غير ممكنة فى مصر (أو أي بلد آخر ، واقعيّا) وانّ المطلوب هو فترة طويلة من التطوّر الإقتصادي لتوفير الشروط اللازمة . و تجربة روسيا و الصين اللتان كانتا فى أوجه عدّة إقتصادية أقلّ تطوّرا بكثير زمن ثورتيهما من مصر اليوم ، تفنّد هذه الفرضية . و قد ناقشنا التطوّر المفكّك فى البلدان المضطهَدة من قبل الإمبريالية و كيف أنّ النموّ الإقتصادي فى ظلّ هذه الظروف يخلق مشاكلا جديدة عوض تقديم حلول – هذا النموّ هو الذى أوصل مصر و تونس إلى حيث توجدان اليوم . سواء بسبب نظرية أمين للتطوّر أم بسبب فهمه الخاص للتجارب الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و الصين ، فإنّ نقطة الإنطلاق المضمرة لهذا الخطّ من المحاججة هو أنّ الثورة و الإشتراكية ليستا خيارا واردا .

و هناك مشكل كبير آخر مع برنامج أمين ، مشكل لنكون منصفين تتقاسمه معه غالبية القوى التى تسمى نفسها يسارية أو إشتراكية عموما : لا إشارة إلى نصف المجتمع ، النساء . كلّ من الحياة اليومية و أهداف الإسلام السياسي جعلا من مكانة المرأة ومعاملتها من أحدّ المواضيع الراهنة التى تواجه المصريين و التونسيين و الإنتفاضات ككلّ و مع ذلك غالبية اليسار التقليدي و العلماني فى هذه البلدان يحاول تجنّب هذه المسألة .

و على سبيل المثال ، فى تونس ومصر سمح المفترض أنّهم علمانيون للإسلاميين بإستعمال كلّ من الوسائل القانونية و العنف لمنع عرض شريط برسيبوليس وهو قصّة فتاة تبحث عن الإزدهار كشخص فى ظلّ جمهورية إيران الإسلامية . ومثال آخر شهير و معبّر جدّا فى تونس هو عرض طالبة صورة لها عارية الصدر على الأنترنت مصرّحة " جسدي ملكي و ليس مصدر شرف لأحد " . حينها فى إرتباط بمجموعة " فيمن " الأوروبية ، نساء تعرضن صدورا عارية كتبت عليها شعارات ضد الدين و البطرياركية ، حُكم عليها بأربعة أشهر سجن لكتابتها كلمة " فيمن" على جدار مقبرة . و مثلما وضع ذلك كاتب تونسي ، أمين السبوعي ، لقد حقّقت ما لم يستطع تحقيقه أحد منذ بن علي – توحيد جميع الطيف السياسي و المجتمع الرسمي ضدّها . (26) و قبل ذلك ، عندما عرضت شابة مصرية صورة وهي عارية لأسباب مماثلة ، حركة شباب 6 أفريل وهي من أبرز تنظيمات " الشباب الثوري " فى

الإطاحة بمبارك ، لم تدن تصرّفها و حسب بل قالت إنّها لا يمكن أن تكون عضوا فى منظمتهم لأنّها كانت ملحدة . (27)

و كانت هذه لتكون مجرّد حكايات إن لم تكن تكشف الموقف المضمر لليسار و حتى عديد الناس من الطبقة الوسطى الذين يريدون نمط عيش علماني هم أنفسهم بينما يعترفون بسلطة الدين فى تحديد الحياة العامة و حياة الآخرين . و هذا ليس مجرّد نفاق حتى أسوأ من البرّ ؛ إنّه مؤشّر على القبول بشرعية قوانين البطرياركية التى هي فى موقع اللبّ من العلاقات الإجتماعية و التفكير الفاسدين اللذين يستعبدان العالم العربي و تعرّى النساء يتحدّى حقّا النظام الإجتماعي والإيديولوجي برمته بطريقة جدّ مباشرة و النظام العالمي برُمّته بصورة أعمّ. (28)

و مثال قاسي بصفة خاصة هوالتالي : تشهد مصر وباء إغتصاب و إعتداءات جنسية على الملأ (مسموح بها على الملأ) . و الفرق المتنافسة من الإخوان المسلمين - الدعاة الملمين الملتحين و الجنرالات المتزيّنين - قد برّرا كلاهما صراحة و وفّرا بما لا يدع مجالا للشكّ الجوّ العام وربّما تنظيم إغتصاب المتظاهرات من النساء فى ساحة التحرير . (29) هذا مظهر فظيع لما حلّله أفاكيان كتبعات للتناقض الجوهري للرأسمالية و عالم اليوم الإمبريالي . كيف أنّ التطوّر الرأسمالي من جهة يكسر العلاقات الإجتماعية القديمة و يدفع النساء إلى الحياة العامة ، فى حين أنّه من جهة أخرى لا يأكّد القيم و الإمتيازات التقليدية نفسها فحسب بل يتعزّز بعنف – ليس فقط فى البلدان العربية بل عالميّا .

لنكن واضحين ، هناك بعض الإختلافات بين مختلف أنواع المجتمعات . و يبحث الإسلاميون عن تقنين و تشديد القبضة على وضع موجود بعدُ و يزداد سوءا . لكن فى أفضل الأحوال ،غالبية القوى"العلمانية" التى تنادي بحقوق النساء لا تتحدّاهم . بجرأة فى هذا حتى و إن كانت المساواة القانونية للنساء جزء من برنامجها . وهذا مذهل بالخصوص نظرا للطريقة التى يستعمل بها الليبراليون فى الغرب عادة الأشكال القروسطية من الإضطهاد فى ما يسمى بالعالم الثالث للترويج لمصالح الإمبريالية الغربية و برامجها السياسية بينما تحجب الأشكال الأكثر عصرية لإضطهاد النساء .

هنا ثمّة نقطتان . واحدة هي أنّ النساء مضطهَدات فى كلّ بلد من بلدان العالم " **بينما قد يبدوان مختلفين جدا ، فرضت الأصولية الإسلامية المتعصبة الخمار من جهة و " سير من الجلد " معلن على نحو واسع و مروّج له على أنه " لباس داخلي جنسي" بالنسبة للنساء فى المجتمع الرأسمالي "الحديث "، من جهة أخرى ، كلاهما رمزان و تجسيدان قبيحان لمهانة النساء . "** (30) و يحاجج الإسلاميون بأنّ جسد المرأة كقطعة شوكولاطة: أليس من الأفضل إبقاؤه مخلّفا ، نضرا و آمنا بعيدا عن العيون الطامعة ؟ و الجواب السائد فى الغرب هو : تباع الشوكولاطة أكثر عندما تجعل لعاب الرجل يسيل – عرض أجساد النساء يزيد فى قيمتها فى السوق . أين - فى أي مجتمع على الكرة الأرضية اليوم- يمكن للمرأة أن تكون إنسانا و ليس قطعة سكّر ؟

و النقطة الثانية هي أنّه إلى درجة إمتلاك النساء أوفر إختيارات فى البلدان الإمبريالية و وجود بعض الحقوق - أنّه من " الأيسر أن تكون إمرأة " فى لندن أو نيويورك من القاهرة أو دلهي – فإنّ هذا لا يعود إلى التفوّق المفترض للثقافة الغربية و إنّما إلى كون التطوّر الإمبريالي – مراكمة رأس المال فى البلدان الإمبريالية و نوع التطوّر المفروض على البلدان التى تضطهدها – هو ما يجعل هذا ممكنا ، رغم أنّ هذه الحقوق نسبية وهي الآن متنازعة تنازعا عنيفا . (31)

و بالرغم من المشاركة الواسعة للنساء فى النضالات المناهضة للنظام ، لا وجود لبلد فى الإنتفاضات العربية أين صار تحرير المرأة صرخة توحيد كبرى كما يجب أن يكون . إنّ إضطهاد النساء متداخل بصفة حاسمة بالتحدّيات الجذرية لكافة نظام العلاقات الإجتماعية . يمكن لحركة تحرير النساء كجزء جوهري من هويّتها أن تواجه عمليّا القوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " كلاهما ن بما فى ذلك فى مناطق و ضمن شرائح إجتماعية هي فى الوقت الحاضر معاقل للأصولية الإسلامية ، و تفرز قوّة من النساء و الرجال و تشرع فى تغيير المشهد السياسي . و يمكن لمقاربة يجسّدها شعار " لنطلق غضب النساء كقوّة جبّارة من أجل الثورة " أن تساعد على دفع إختراق القبضة القويّة للقوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " فى السياسة و كذلك فى تفكير الكثير من الناس .

الجزء الثانى

كيف ستكون الثورة الحقيقية :

مثلما ناقشنا أعلاه ، أسباب الإنتفاضات العربية عميقة و متعدّدة و قد غذّت حركات و تيّارات تفكير متناقضة بحدّة ، و تناقضات معقّدة . لكن خلف كلّ هذا يوجد واقع أساسي هو واقع أنّ الناس فى هذه البلدان يجدون تنظيم المجتمع فى منتهى اللاعدل و أنّ بلدانهم غارقة فى التخلّف و تخضع لإملاءات الزمر الرجعية محلّيا و إلى القوى الأجنبية الإستعمارية الجديدة ، و أنّ ظروف الحياة القائمة لا يمكن القبول بها . مئات الآلاف وحتى الملايين أظهروا أنّهم ينوون النضال و التضحية لوضع نهاية لهذه الوضعية . غير أنّ هذا الينبوع الجاري من الرغبة فى التغيير الثوري سينحصر فى النهاية و قد ينتكس حتى إلاّ إذا إرتبط بفهم حقيقي للماذا هذه المجتمعات على الحال التى هي عليه و أهمّ من ذلك ، ما الذى يمكن أن نفعله لتغييرها على نحو تحريري حقّا .

بهذا المعنى ، فى حين أنّ نهوض النضال كان متأخّرا عن موعد إستحقاقه منذ مدّة طويلة و عمل مرحّب به فى العالم ، فإنّ الوضع الأساسي للناس فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا و حاجتهم لمجتمع مغاير تماما بالكاد تكون فريدة من نوعها فى هذا الجزء من الكوكب . ففى كلّ مكان المسألة هي إذا كان ممكنا للناس المضطهَدين عبر العالم بأسره أن ينهضوا ضد الظروف الإجتماعية القائمة. و يلحقوا الهزيمة بالمستغِلين الذين إستفادوا لوحدهم من هذه الظروف و الحكومات و الجيوش التى تدعمها . و إذا على أساس إلحاق الهزيمة بهؤلاء الأعداء ، كان من الممكن بناء مجتمع تحرّري حقّا لن يلبّي الحاجيات المادية للشعب فحسب بل سيكون قادرا على فتح أفق جديد تماما فى تاريخ الإنسانية . و بالفعل ، وجد قرن كامل من النضال أثناءه قاتل الناس لإنجاز هذه الثورة ، الثورة الشيوعية .

ليس بوسعنا أن نقدّم عرضا كاملا لتاريخ هذه الثورة هنا .(32) لقد وُجدت مكاسب هائلة لا سيما فى الدول الجديدة التى مثّلت حكم الجماهير الشعبية نتيجة الثورتان فى روسيا و الصين ،نوع مختلف كلّيا من الإقتصاد غير القائم على الإستغلال وخطوات جبّارة فى تغيير طريقة إرتباط الناس بعضهم ببعض. و قد كانت هذه السيرورة مليئة بالهياج الشديد و المآسي و شهدت قمم نجاح و كذلك لحظات دنيا و حتى مأساوية فى مسار تاريخها الإيجابي عامة . و لا ينبغى أن نفاجئ بأن يعتبر حكّام العالم المعاصر ، الطبقة الحاكمة الرأسمالية – الإمبريالية و مستغِلون و رجعيون آخرون فى علاقة بهم ، هذه التجربة " فظيعة " بالنسبة للإنسانية و يبذلون جهدهم لتشويهها و يحرّفوا التاريخ الحقيقي ويحجبوه . لهذا تلخيص أفاكيان لتجربة أوّل مرحلة من الثورة الشيوعية ذات أهمّية حاسمة بالنسبة للمضطهَدين و لكلّ

من يبحث عن طريق للتقدّم نحو نوع من المجتمع مختلف كلّيا . فهذه الخلاصة الجديدة قائمة على التجربة الواقعية للجهود العظيمة و الإيجابية فى عمومها و على نقد حقيقي لهذه الجهود و إدماج مزيد من الفهم من مجالات أخرى من النشاط الإنساني كالبحوث العلمية و الثقافية و الفكرية . و النتيجة هي خلاصة جديدة للشيوعية تضع الثورة البروليتارية على أساس أكثر علمية جاعلة الثورة على حدّ سواء ممكنة التحقيق أكثر و مرغوب فيها أكثر .

إنّ أهمّ شيء بشأن الإشتراكية ليس حتى التحسينات العميقة التى أدخلتها على حياة الناس و إنّما هي تحديدا إنتقال نحو حقبة جديدة كلّيا من تاريخ الإنسان فيها ، لنستشهد بأفاكيان :

" الشيوعية : عالم حيث يعمل الناس و يناضلون معا من أجل الصالح العام ...حيث يساهم كلّ فرد بما يقدر عليه فى المجتمع و يتلقّى ما يحتاج إليه للعيش حياة حَرِيّة بالإنسان...حيث لن توجد بعدُ إنقسامات داخل الشعب تخوّل للبعض أن يحكموا البعض الآخر و يضطهدوه ، سالبينهم ليس فقط وسائل الحياة اللائقة و لكن أيضا معرفة ووسائل الفهم الحقيقي للعالم و العمل على تغييره." (33) .

لقد سعى مناهضو الثورة إلى جعل كلّ إمرء يعتقد أنّ هدف الشيوعية أسوء من حلم مستحيل التحقّق . و هم يحاججون بأن محاولة توجيه المجتمع فى ذلك الإتجاه لا يمكن أنينتج إلاّ طغيانا و يشرع فى دوس كلّ فردية . لكن دراسة عميقة للتاريخ الفعلي للثورة قد بيّن أنّ ذلك إفتراء . كان من الممكن بناء مجتمعات إشتراكية لا تلبّي بصورة متصاعدة الحاجيات الأساسية للشعب فحسب بل طفقت كذلك تغيّر طريقة رؤية الناس لبعضهم البعض . عوض كلمة السرّ الرأسمالية " أنا أوّلا " ، بات شعار " خدمة الشعب " المعيار الذى ألهم الملايين ، مثلما شاهدنا فى الصين الثورية . لا وجود ل " طبيعة إنسانية غير قابلة للتغيير " لكن بالأحرى إمكانية أن تغيّر الإنسانية الأوضاع [الموضوعية] و تغيّر نفسها . وتبيّن الخلاصة الجديدة للشيوعية لأفكيان كيف يمكن أن ننجز حتى ما هو أفضل فى المرحلة التالية من القيام بالثورة البروليتارية بالتعلّم من الأخطاء و النواقص التى ميّزت تجارب الدول الإشتراكية الأولى و تجنّبها .

و لنأخذ مجالا حيويّا واحدا ؛ الخلاصة الجديدة لأفاكيان، تعنى فهما مختلفا لأهمّية لا فحسب السماح بالمعارضة و الصراع الفكري فى المجتمع الإشتراكي فحسب بل تعنى أيضا التشجيع عليهما و نبذ فكرة " إيديولوجيا رسمية " تفرض على المجتمع بكلّيته ، و بطرق عدّة مقاربة مغايرة تجاه الإلغاء خطوة خطوة للطبقات و الإختلافات بين العمل الفكري والعمل اليدوي الذى تقوم عليه الطبقات .

ينبغى أن يكون للثورة لبّ و قوّة قيادية فى ذلك القسم من السكّان، البروليتاريا و المضطهَدين اللآخرين، ضحايا الإستغلال و الرجعية و الذين هم أكثر المتحرّقين للتغيير الثوري . بيد أن هذه الثورة لا يجب أن تتمحور حول الثأر ، أو مجرّد تعويض لسلطة المستغِلين السابقين بسلطة أولئك الذين تعذّبوا . إنّها تعنى قيادة المجتمع عبر سيرورة تاريخية تامة معقّدة إلى حدّ بلوغ هدفها الشيوعي .

و اليوم نحن فى وضع حيث ألحقت الهزيمة بالجهود الماضية للثورة البروليتارية لكن الحاجة إلى الثورة أكبر من أي زمن مضى و القوى التى تقف وراء دفع الناس نحو الثورة لا تزال سارية المفعول . إلاّ أنّه بالنسبة لإمكانية أن تؤدّى الثورة إلى ثورة ناجحة و الرغبة فى ذلك ، ينبغى أن تنجز أيضا ثورة فى النظرية ، فى الإيديولوجيا من خلالها يظهر لبّ ديناميكي للشيوعيين الثوريين المصمّمين على و القادرين على قيادة الجماهير فى إفتكاك السلطة و فى الإبحار فى سيرورة طويلة من تغيير المجتمع .

هذه هي أهمّية ما قام و لا يزال يقوم به أفاكيان ، و لهذا يمكن بمعنى معيّن أن يقارن بالإختراقات النظرية لماركس التى أرست أساس المعارك الثورية الناجحة و تشكيل دول إشتراكية فى القرن العشرين. مستوعبين هذا العلم كما تطوّر اليوم و ماسكين به مسكا صلبا و مطبقينه لتفحّص المشاكل والإجابة عنها، مشاكل كيفية القيام بالثورة ، هي مهمّة الذين فى كلّ مكان يريدون القتال من أجل عالم جديد .

توفّر الخلاصة الجديدة للشيوعية المقاربة الأساسية المصقولة لمعالجة مشاكل المجتمع فى البلدان العربية و ضياغة مخطّط لحلّها عبر الثورة .

بنظرة شاملة من الممكن رؤية مظهرين كبيرين وثيقي الصلة من التغيير الثوري الذى ينبغى أن يكون فى موقع القلب من أي برنامج ثوري حقيقي . أوّلا ، هناك كافة الشبكة العنكبوتية للعلاقات بالنظام الإمبريالي العالمي الذى يبقى هذه المجتمعات إقتصاديّا و عسكريّا و سياسيّا و ثقافيّا واقعة فى شرك و تابعة [للإمبريالية العالمية] . و ليس بإمكان ثورة حقيقية مجرّد محاولة اللهو مع هذه السلاسل أو حتى أسوأ ، أن تحاول أن تقدّر كيف أنّه لنوع ما من " الإستعمال " هذا الرابط أو ذاك بالنظام الإمبريالي العالمي كصنف من الرافعة أو الميزة . إنّ صناعة البترول العصرية الممركزة إمبرياليّا ، لنضرب مثالا واحدا واضحا يعنى عدد من البلدان فى المنطقة ، سلسلة ضخمة تكبّل الناس و المجتمع ككلّ و ليست نهائيّا وسيلة ممكنة " للتحرّر الوطني " .(34) فى النهاية و رغم كلّ شيء ، هل أنّ الجزائر الغنيّة بالتبترول أقرب إلى كسر السلاسل و التحرّر من الهمنة الفرنسية ، حتى لا نشير إلى إنقلاب فى مكانة و أوضاع الجماهير الشعبية ، من ما كانت عليه قبل بضعة عقود ؟ و الشيء نفسه ينسحب على على البرامج التونسية التى تدعو للترفيع فى تصدير الفسفاط ومواد منجمية أخرى و إلى إرساء مزيد من مراكز إستقبال المكالمات الهاتفية التى لا أفق لها و مزيد تصدير محاصيل تدرّ المال و تطوير" صناعة" السياحة المتقلّصة و المبلّدة للذهن و الملوّثة للبيئة أو أي طريق آخر لنهب موارد البلاد و مقدّرات الشعب و مؤهلاته لتتماشى و الرأسمال الأجنبي و تزيد سوءا اللامساواة الفظيعة التى هي بعدُ تستعبد الإنسانية .

و الهدف المباشر الآخر للثورة هو إطلاق العنان لسيرورة كاملة من التغيير الإجتماعي الذى سيشرع فى كنس العلاقات الإجتماعية الرجعية والأبوية والمتخلّفة و التى لا تزال تثقل جدّا كاهل جماهير الشعب و المجتمع بأسره . و هتان المهمّتان لا يمكن إنجازهما إلاّ معا لأنّ التغيير الإجتماعي غير ممكن دون التحرّر الوطني و وحده التغيير الصريح لهذه المجتمعات يمكذن فعلا من تحريرها من النير الأجنبي . و بغض النظر عن المراحل التى قد يعنيه ذلك ، فإنّ هذا يعنى إنتهاج طريق الثورة الإشتراكية .

و " **الإشتراكية أشياء ثلاثة :**

أوّلا ، الإشتراكية شكل جديد من السلطة السياسية فيه المضطهَدون و المستغلّون سابقا ، فى تحالف مع الطبقات الوسطى، و الحرفيين و الأغلبية العظمى من المجتمع ، تتحكّم فى المجتمع بقيادة حزب طليعي ذو نظرة نافذة . و هذا النوع من سلطة الدولة يراقب المستغلّين القدامى منهم و الجدد. و يوفّر إمكانية ديمقراطية – أ- تطلق العنان لإبداع الناس و مبادراتهم فى كافة الإتجاهات و – ب- يوفّر لجماهير الشعب الحقّ و القدرة على تغيير العالم و الإضطلاع بإتخاذ القرارات الهامة، و يشجّع على النقاش الأبعد مدى ، و يحمى حقوق الفرد.و هذه الدولة الإشتراكية التى أتحدّث عنها هي دكّة إطلاق الثورة فى أماكن أخرى من العالم.

ثانيا، الإشتراكية <u>نظام إقتصادي جديد</u> حيث الموارد و القدرات الإنتاجية للمجتمع يمتلكها المجتمع عبر تنسيق الدولة الإشتراكية ، و حيث الإنتاج منظّم بوعي و مخطّط لتلبية حاجيات المجتمع ، و لتجاوز لامساواة المجتمع الرأسمالي الطبقي- مثل إضطهاد الأقليّاتالقومية و تبعية النساء ز إنّه إقتصاد منظّم لتشجيع الثورة فى العالم و لحماية الكوكب. يكفّ الإستغلال و الربح عن التحكّم فى المجتمع و فى حياة الناس. و تكفّ المؤسسات الصيدلية الكبرى و مجمّعات التأمين و المالية عن تحديد معايير تقديم الرعاية الصحّية و البحث العلمي. ستكفّ عن الوجود.لن توجد بعدُ شركة الجنرال موتورز أو البوينغ – ستكفّ عن الوجود هي الأخرى- موجّها تطوّر النقل و إنتاج الطاقة لحاجيات الربحز

ثالثا، الإشتراكية <u>مرحلة تاريخية إنتقالية</u> ، بين الرأسمالية و الشيوعية ، مرحلة صراع ثوري و تجريب لتحويل كافة الهياكل الإقتصادية نو كافة المؤسسات والإتفاقيّات الإجتماعية ، و كافة الأفكار و القيم التى تأبّد تقسيم المجتمع إلى طبقات." (35)

و هذا الصنف من الدول و هذه الثورة لا يهدفان إلى" تأميم " الإقتصاد التابع [للإمبريالية] و المشوّه و المفكّك الموجود حاليّا و لا إيجاد " مكانا لنا " فى التقسيم العالمي للعمل . مصادرة كافة الرساميل و المؤسسات التى هي على ملك الإمبرياليين الأجانب خطوة عملاقة و ضرورية ينبغى إتخاذها لإنجاز ثورة . لكنّها لا تعدو أن تكون خطوة و ستمثّل تحدّيا كبيرا بلا شكّ لبناء إقتصاد جديد و حيوي يقفز خارج النظام الإمبريالي العالمي . و مع ذلك دون القيام بهذا ستتمّ خسارة اللعبة مسبّقا .

هناك موارد ضخمة فى البلدان العربية فى نظام إقتصادي – إجتماعي مختلف يمكن أن تنهض بدور مختلف ، دور إيجابي وديناميكي . و الفلاحة التى تخفق فى تغذية الناس فى ظروف الهيمنة الإمبريالية ليس فى مقدورها فقط أن تفعل ذلك بل أيضا أن توفّر قاعدة لنمط جديد مغاير من الإقتصاد الوطني .

المشكل المفتاح ليس " نقص فى النموّ " بل الطريقة التى يُنتج بها من أجل الربح عوضا عن الإنتاج من أجل تلبية الحاجيات الإنسانية و أدّى تفوّق السوق العالمية إلى تطوير بعض مجالات الإقتصاد و ركود و تخلى مفروضين لمجالات أخرى . و قد قاد هذا إلى إحتداد لاعقلي و محطّم للمعنويات للامساواة بين الجهات القائمة قبلا – مثلا ، بين مصر العليا والسفلى ، و سهل النيل و القاهرة مقابل محافظات على غرار الفيوم ؛ و فى تونس ، الإختلافات القصوى بين المناطق الساحلية و المناطق الداخلية . (36)

رغم أنّ القاهرة مثيرة و معقّدة ، فإنّ حجم المدينة وحده – حتى لا نذكر شكل تطوّرها الفوضوي وغير المخطّط و المنتج للبؤس تماما و كذلك مجازا ، الذى يبعث على الصدمة – يعكس الإضطهاد و التخلّف المفروض الذى يضرب جزء كبيرا من بقية البلاد ، ومنه لا يبحث الشباب إلاّ على الهرب . و هذا ليس سوى مثال بليغ عن الوضع فى عديد البلدان العربية . و هذه الفروقات إلى درجة كبيرة هي نتاج خضوع هذه البلدان لما يجده الرأسمال الإمبريالي و السوق مربحا . هي غير قابلة للتواصل بالمعنى الإنساني و كذلك البيئي .

ثورة حقيقية ستجعل ممكنا تعبئة الناس فى هذه المناطق المتخلّفة و بناء إقتصاد جديد فيه العلاقة الديناميكية بين التخطيط الشامل للدولة على المستوى الوطني ،الذى ينبغى أن يكون أحد أهدافه تجاوز اللامساواة بين المناطق و عدم التوازن الإقتصادي ، و بناء المبادرة و التعويل على الذات على مستويات المحلّية و الجهوية أيضا . سيتخذ الفلاحة كعامل مفتاح للقطع مع السوق العلمية و تعبيد الطريق لتطوّر إشتراكي شامل مشدّدا على تغذية الشعب . و ينبغى أن يوجد إلتزام و تخطيط بما فى ذلك أشكال جديدة

من التعاون و التجديد ضمن مختلف قطاعات الشعب – من الأخصائيين إلى عامة الشعب – بغية إنهاء الوضع الحالي أين بقدر ما يطوّر بلد مثل مصر أو تونس فلاحته ، بقدر ما يكون أقلّ قدرة على تغذية سكّانه . فالبلدان كانا قبلا ينتجان غذاءا وفيرا . و اليوم عليهما أن يستوردا الغذاء لأنّ الماء و الأرض و الريفيين أوكلت لهم مهمّة الإنتاج للسوق العالمية ، تصدير القطن و الحنطة و الثمار و البقول خارج الموسم بينما يأكل ملايين الناس الخبز المصنوع من حبوب نصف مكسّرة و لا شي كثير معهنو الذين لا يمكنهم إنتاج أرباح للسوق العالمية لا يحتلون على شغل أصلا . أليس هذا إقتصادا يشبه كثيرا السجن حيث ما يحدّد حياة النزلاء هو الحاجة إلى التصدير و بطرق أخرى الحصول على العُملة الأجنبية لشراء أشياء كان من الممكن أن تصنّع محلّيا منذ البداية خدمة للناس و الكوكب .

لقد كان لمصر حظّا سعيدا بإمتلاكها نهر النيل ومياهه الجارية على ما يبدو لا تنضب . لا يتمتّع كلّ البلدان بمثل هذه الموارد ، لكن يمكننا أن نعتبر هذا الوضع مثالا سيّئا لكيف أنّ نظام الربح يحوّل الميزات إلى نقيضها : كميّة الماء التى يحصل عليها الفلاحون يحدّدها رأس المال و سلطة العلاقات التى تسحقهم و تمنع أرضهم من أن تكون منتجة بالتمام ؛ فالريّ مثلما يطبّق الآن يمكن أن يكون مصدرا للثروة لكنّه يترافق أيضا بتحطيم التربة (عبر مراكمة الملح مثلا) ، و الملايين الذين يمضون أيامهم و هم غارقون إلى الركبة فى المياه يعنون من أمراض فظيعة تتسبّب فيها المياه كانت الصين الماوية قد إجتثّتها قبل نصف قرن من الآن ، و يموت أطفالهم بسبب غياب الماء الصالح للشراب . و هناك سبب إقتصادي بسيط لإيقاف التسرّب الواسع النطاق فى قنوات الريّ و أشكال أخرى من تبذير المياه ؛ و غالبية هذه المياه فعليّا " تصدّر " لأنّها تستعمل لزراعة منتوجات تصديرية مستهلكة جدّا للمياه مثل الأزهار ؛ و فى النهاية ، جاء تطوّر الفلاحة السقوية فى مصر على حساب إمكانية تطوير الفلاحة فى بلدان أخرى على طول النيل و منابعه و هكذا هو مواصلة للعلاقات الإضطهادية الإستعمارية المفروضة على المنطقة .

على ضوء كلّ ما تقدّم حتى أحد أكثر مكاسب عبد الناصر فخرا ن بناء السدّ العالي بأصوان ، يجب رؤيته على أنّه إشكالي (37) ، مثال عن طريق لن تسلكه مصر إشتراكية . لقد قيل إنّ عبد الناصر إرتأى أنيجعل من النيل و أرضه الخصبة شيء يساوى النفط فى جلب الثروة فى بعض البلدان العربية الأخرى ، و بطريقة تناقض ظاهري صار ذلك حقيقة : و قد فرضتها قوانين الرأسمالية ، طريقة مسكه قادت إلى تبعية إقتصادية معرقلة و إلى إستقطاب أكبر فى الثروة و حياة لا تطاق بالنسبة للغالبية العظمى من المصريين .

إنّ إقتصادا مختلفا جذريّا مستديما بيئيّا يحتاج أن يُبنى ليكون قادرا على :

1- عدم الإعتماد على الإستغلال و توفير الظروف المادية للتقدّم نحو مجتمع خالي من الطبقات ،

2- تلبية حاجيات الشعب ،

3- المساعدة على تجاوز اللاتوازن الجهوي و الصدام بين الصناعة و الفلاحة و يواجه الإمبريالية ويكون معتمدا على الذات ،

4- أن يكون نموذجا و منطقة إرتكاز عملية لمزيد التقدّم الثوري فى المنطقة و فى العالم ككلّ . و كلّ الفكرة عن ما يمثّل " تطوّرا " ستكتسب مغزى جديدا و مغايرا جذريّا حين لن يعود " النموّ" يحكم عليه

وفق معيار النظام الإمبريالي العالمي و القوانين التى وضعتها مؤسساته كالبنك العالمي و صندوق النقد الدولي . فى هذا النوع من المجتمع الثوري ملكية الدولة و تخطيط الدولة يغدوان وسائلا محورية لتحقيق الأهداف الثورية و التغيير الإجتماعي .

و سيعنى هذا إعادة التفكير فى التطوّر المديني و العلاقة بين الريف و المدن الكبرى على ضوء الحاجة الأكبر ، من منظور تطوّر عقلاني و طويل الأمد و مندمج ، بالمعنى الإنساني و كذلك بالمعنى البيئي ، و ليس فقط ما هو الأوفر ربحا .

الدولة :

و فى غالبية بلدان الشرق الأوسط و شمال أفريقيا ، يمكن وصف **الدولة** كأحسن ما يكون الوصف بأنّها مستعمرة جديدة . الدولة بأكملها و ليس الحكومة فحسب لكن أيضا قوات الجيش و الأمن و الإدارة البيروقراطية ، قد أنشأها و تشكّلت و تدرّبت على الطاعة بصفة مباشرة أو غير مباشرة للنظام الإمبريالي العالمي و قوى مثل فرنسا و بريطانيا و بالطبع الولايات المتحدة . و هذه الدول مدينة بالفضل تماما للطبقات الحاكمة المحلّية و الأجنبية و تخدمها . وهي تعزّز علاقات الملكية المهيمنة لتضمن " أفضل جوّ إستثماري ملائم " للمستغِلين العالميين و المحلّيين . الدولة هي التى تنفّذ البرامج المملاة من قبل الإمبريالية مثل سياسة التقشّف لصندوق النقد الدولي و الدولة هي التى على إستعداد لإستعمال العنف الوحشي لقمع الشعب . و الدولة الرجعية لا يمكن إطلاقا قصمها عن الجسد الإمبريالي الملحقة به. و تجربة العقود الماضية فى البلدان العربية و كذلك العالم ككلّ ، من ناصر إلى القذّافي إلى حافظ الأسد، قد بيّنت مجّددا أن جهاز الدولة المنظّم لحماية نظام إستغلالي غير قابل لأن يكون وسيلة لتغيير ثوري مستوفي .

الدولة هي العدوّ المركزي للشعب و العامود الفقري للنظام الإقتصادي – الإجتماعي الرجعي و لهذا يجب أن يكون **تحطيم** هذه الدولة الرجعية ينبغى إيجاد نوع جديد تماما من الدولة من القمّة إلى القاع ، فيه يكون المستغَلون سابقا ، بقيادة طليعة شيوعية حقيقية ، قادرين على أن يوحّدوا حولهم الغالبية العظمى من السكّان . ودولة من هذا القبيل لا يمكن أن تكون إلاّ **شكلا من أشكال دكتاتورية البروليتاريا المناسبة لبلد معيّن .**

وحينما تكون دولة ثورية قد تركّزت بالإعتماد على الذين كانوا سابقا مستغَلين ، فإنّ آفاقا جديدة كلّيا قد تفتح للتغيير الإجتماعي الذى سيتطلّب و يمكّن فى آن معا من دولة – ومجتمع – يقاومان بحيوية و يعارضان النظام الإمبريالي العالمي المهيمن حاليّا . مثلا ، عندما تكون الثورة قد كسرت سلطة و ملكية الفئة المالكة للأرض و القبضة الشديدة لنظام الربح على الإستثمارات و التوزيع ، فإنّه يكون ممكنا بلوغ الإكتفاء لذاتي فى الفلاحة بسرعة بالتعويل على جماهير الشعب و ستكون البلاد فى موقع أفضل بكثير لمقاومة الحصار الغذائي و أشكال أخرى من الضغط .

و ما تسمّى ب " النماذج " التى يروّج لها البعض – مثل نظام فنزويلا فى ظلّ تشافيز و خليفته مادورو – هي جميعا تلوينات متنوعة للإبقاء على الدولة القديمة جوهريّا كما هي و الأمل فى العثور على وسيلة توافق مع العالم الإمبريالي ، مثلا عبر بيع النفط فى حال فنيزويلا و الأكوادور . و النتائج هي أن هذه المجتمعات جوهريّا لم تتغيّر و تظلّ تحت رحمة كافة أنواع الضغوط. و هتان المهمّتان الكبيرتان للثورة

– القطيعة مع الشبكة الاقئمة لإضطهاد الإمبريالية للأمم المضطهَدة و إطلاق العنان لسيرورة تغيير إجتماعي – صلتهما لا تنفصم ، وبالفعل إنّه من غير الممكن تصوّر الواحدة دون الأخرى .

سيحتجّ العديديون قائلين إنّ ما نحاجج من أجله حلم مستحيل . إنّه طريق صعب ، طريق صعب جدّا سيتطلّب صراعا و تضحيات هائلة و سيتطلّب فى النهاية إنتصار الثورة البروليتارية على النطاق العالمي . لكن الحقيقة هي أنّه **لا وجود لطريق آخر حقيقي للتحرّر الإجتماعي و القضاء على إضطهاد الأمم و اللامساواة بينها** . ما هو مستحيل حقّا ، و ما تبيّن المرّة تلو المرّة أنّه كذلك ، هو أحلام و مخطّطات الذين يحاججون أنّه هناك طريق ما للتقدّم **دون** تفكيك أوصال المؤسسات الرجعية القائمة .

النساء كقوّة محرّكة من أجل الثورة :

إنّ مسألة دور النساء فى مجتمع اليوم و نظرة و برنامج كيف ينبغى تغيير ذلك مسالة مركزية للغاية بالنسبة للمسائل التى أثارها ظهور الربيع العربي وهي فى موقع القلب من أي نوع من الثورة نحتاج و أي نوع من المجتمع مرغوب فيه و ممكن .

لقد ظهرت قضية النساء ربّما كأحدّ خطّ أحمر فى البلدان العربية . وكون إخضاع النساء مبني بدقّة فى الهياكل الرجعية و الإضطهادية و كامل نظام الإستغلال يجعل النضال ضد إضطهاد النساء قوّة محرّكة ينبغى أن تكون محور أي تغيير ثوري حقيقي . و هنا يمكن أن نرى ليس فقط لماذا ثورة حقيقية جدّ ضرورية و إنّما ستكون كيفية القتال للتحرير التام للنساء كذلك حيوية لتقدّم الثورة ايضا .

عقب تفكيك الدولة القديمة وجهازها القمعي و تركيز أجهزة جديدة للسلطة الثورية بافمكان وضع حدّ بسرعة كبيرة لأكثر الجرائم فظاعة ضد النساء . مثلا ، التعبئة الجماهيرية للنساء و الرجال مسنودة بسلطة الدولة يمكن بسرعة كبيرة أن تضع حدّا لإتلاف الجهاز الجنسي الأنثوي ولوباء الإغتصاب و البغاء الواسع الإنتشار. و المبادرات الجريئة و الحيوية التى إتخذها مجموعات نساء و آخرين لحماية النساء فى ساحة التحرير أثناء المسيرات و عموما وسط القاهرة قد كشفت عن حاجة أكيدة لمثل هذه التحرّكات وهي تقدّم تجربة ثمينة لكيفية إنجاز ذلك بطريقة توحّد حتى بعض الناس المتخلّفين فى أوّل الأمر ضد العنف المناهض للنساء .لكن هذه التحرّكات تبيّن كذلك التأثير المحدود – مثل جرف الماء خارج زورق إنقلب – إذا لم تكن هذه الجهود جزءا من بناء حركة ثورية شاملة تهدف إلى أرساء سلطة دولة جديدة و تحريرية تقدر على إجتثاث الأسس الإجتماعية و الإيديولوجية الكامنة وراء هذا السلوك الإجرامي ، مغيّرة المجتمع و الناس .

فى ظلّ دولة ثورية ، المساواة القانونية الكاملة بشأن الزواج و الطلاق و الملكية وحقوق الإرث – التى لم تتحقّق أبدا فى ظلّ بورقيبة أو مبارك ن رغم سمعتهما غير المستحقّة بعكس ذلك – يمكن التوصّل إليها بسرعة و تعزيزها . و يجب ضمان التمكّن التام من تحديد النسل و الإجهاض للجميع فى الواقع كما فى القانون . فى الصين الثورية ، مثلا ، وقع القضاء فى الأساس على البغاء فى غضون بضعة سنوات، و النساء الجريحات اللاتي دفعهن الفقر و العلاقات الإجتماعية الرجعية إلى هذه الممارسة خُصّصت لهن وسائل ذات معنى للمشاركة فى بناء المجتمع الجديد. و إنجاز هذا يعنى إستنهاض الناس ليتحدّوا منظومة الأفكار و القيم الرجعية التى جعلت النساء فى موقع دوني . و سيعنى ذلك ثورة فى الثقافة و التفكير كذلك .

و هذه الأصناف من التغييرات لوحدها يمكن أن تدفع بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا دفعا كبيرا إلى الأمام مقارنة بوضع النساء فى أكثر البلدان الإمبريالية " تقدّما ". لكن أهمّ من ذلك بكثير هو كيف أنّ القتال على المدى الطويل لتجاوز إضطهاد النساء لآلاف السنين يمكن أن يكون عاملا مركزيّا و محرّكا فى نضال الإنسانية لتجاوز الإضطهاد و الإستغلال و الطبقات مرّة واحدة . سيكون نضالا حقيقيا لتغيير العائلة و ضمان أن يقوم الزواج على الحبّ و الإحترام المتبادلين . العائلة التقليدية عادة حصن للبطرياركية و التخلّف و يترتّب علينا نقد هذا و تغييره جذريّا . و الأدوار الجندرية التقليدية و مفهوم ما يعنيه أن تكون رجلا أو إمرأة سيكون ساحة معركة فى الثقافة و ضمن المضطهَدين أنفسهم .و هذه الصراعات و النقاشات ضمن الناس و التجريب الإجتماعي ضروريّان ليس فقط للحيلولة دون تقهقر الثورة إلى اوراء – حتى أهمّ ، يجب أن تساهم فى المحرّك الذى يدفعها إلى الأمام .

إنّ القتال حول دورالنساء فى المجتمع سيركّز فى المجتمع الإشتراكي المستقبلي و سيميّزه كمرحلة إنتقال ثوري إلى مجتمع مغاير كلّيا .

لا الإمبرياليون و لا الأصوليون الإسلاميون بإمكانهم أن يوفّروا لملايين النساء مخرجا حقيقيّا. لكن الثورة بوسعها ذلك ما يفسّر لماذا يمكن جلب النساء المتمرّدات ، لا سيما الشابات ، إلى نظرة و برنامج شيوعي ثوري تحرّري .

تعبئة القوى الإيجابية :

سيكون لكلّ بلد وضعه و ستكون له حاجياته الخاصين ، لكن فى كلّ مكان تواجه الثورة ذات أنواع المشاكل . فحيثما نظرنا فى عالم اليوم ، هناك إهدار هائل و فظيع – إحباط قدرات الناس و تبخيسهم ، شدّ جندر بأكمله ، نصف السكّان إلى الخلف ؛ إساءة إستعمال الأرض و الموارد الأخرى ؛ و تقنية لا تلعب دورها كما يجب كعامل إيجابي إلاّ إذا إستعملت وفق المبادئ الإشتراكية و ليس وفق مبادئ مراكمة رأس المال .

إنّ إمكانية تغيير المجتمع فى البلدان العربية ينبع من داخلها إذ أنّ أهمّ مصدر لإنتاج و مزيد تثوير هذه المجتمعات هو الملايين من المستغَلين و المقهورين أنفسهم . هذه قوّة كبيرة للثورة ، للتغيير ، للعمل الجماعي لمصلحة المجتمع بأسره ، لكنّها قوّة مكبوتة ، مشدودة إلى الوراء ، تصعقها الإمبريالية و الرجعية أو لنقول ذلك بطريقة أخرى ، القوتان اللتان " عفا عليهما الزمن " . بإمكاننا أن نرى ومضة عن هذه القوّة الكامنة فى التمرّدات التى كنست بن علي و مبارك . لكن عندما تكون السلطة السياسية عمليّا بأيدى الشعب بقيادة حزب طليعي ثوري حقيقي ، عندئذ هذه القوّة التعييرية الكامنة تستطيع حقّا أن تطلق.

لقد كان يأس الشباب المعطّل عن العمل أو الشباب فى بطالة مقنّعة هو العالم المحوري فى إشعال الربيع العربي . يمكن لفقدان الأمل التحوّل إلى أمل ، و الشباب المحبط سابقا قد يجد رضا هائلا مأتاه العمل و النضال المشترك لأجل مصلحة المجتمع بأسره . غير أنّ هذا يتطلّب صنفا مغايرا تماما من النظام الإقتصادي – الإجتماعي .

و ليس على أولئك الذين يوجدون الآن فى أسفل المجتمع فقط أن ينهضوا بدور حيوي فى بناء مجتمع تحرّري ، مغاير كلّيا .فاليوم هناك عدد كبير من الشابات و الشبّان الذين تلقّوا تعلّما فى مجال الفنّ و العلوم و يجدون مسالكا إنتاجية غير كافية لطاقاتهم و إبداعاتهم . و مجتمع ثوري بمستطاعه أن يفعل

أكثر من مجرّد توفير شغل للشباب المتعلّم الذى يدفع الآن فى غالب الأحيان إلى الخارج بحثا عن المعاش ،فيقع عادة إهدار مواهبهم و مؤهلاتهم . و سيقتضى بناء مجتمع إشتراكي أكثر من مجرّد مجموعة مهارات و تعليم تقني . الهدف البعيد المدى هو بلوغ مجتمع خالي من الطبقات ، الشيوعية بما يعني تخطّى التقسيم الرهيب للعمل بين عمل فكري و عمل يدوي حتى يتمكّن الناس ككلّ من الحصول على الثمار الكبرى للثقافة الإنسانية المشتركة ، و تعلّم المنهج العلمي لفهم كلّ من العالم المادي و المجتمع من أجل تغييرهما ، و يوجد عالم مليئ بما يذهل ، ليس بمعتقداتنا التطيّرية و حجاب الجهل و إنّما نتيجة التحدّي و الإثارة للمساهمة فى التوسيع المستمرّ لمعرفة العالم الفعلي فى كلّ تعقّده و عظمته .

سيكون للمثقّفين و للشباب المتعلّم دور حيوي يلعبونه فى هذه السيرورة و سيجدون أيضا مجالا لتحقيق الذات ومساحة للتعبير عن ذواتهم و إبداعاتهم وهي أشياء مستحيلة فى مجتمع اليوم . و لن ينجز ذلك بتعزيز المكانة ذات الإمتيازات لحفنة صغيرة من الناس وإنّما كجزء مندفع كامل المجتمع إلى الأمام إلى مكان أفضل بكثير .

<u>المعارضة :</u>

و من المظاهر التى يجدها الناس غير مقبولة و التى إضطلعت بدور محوري فى مطالب الإنتفاضات العربية ، غياب الحقوق و غياب أية مشاركة ذات مغزى فى الحياة السياسية . هذه ليست فى الأساس مسألة إنتخابات ، سواء كانت " مغشوشة " أم " حقيقية " ، و التى لم تكن أبدا وسيلة لإحراز تغيير جوهري . و من الأشياء التى بعثت بشحنة كهربائية فى العالم شارع الحبيب بورقيبة و ساحة التحرير ليس كنقاط مركزية للمقاومة و حسب ، بل أيضا ك " مناطق محرّرة " تزخر بالنقاش حول إتجاه الحركة و المجتمع برمّته. جميع أنواع الناس ، نساء و رجلا و منهم أناس نشأوا على الصمت فى وجه الطبقات المتعلّمة ، تحدّثوا بصوت عالي و ناقشوا و نقدوا كلّ الأشياء و كلّ الأشخاص الذين كانوا يشعرون بأنّهم يقفون فى الطريق [فى طريق التقدّم].

فى ظلّ الحكم الرجعي ، كان هذا النشاط يقابل بهجمات الشرطة و المجرمين على ظهور الجمال ، و التعتيم الإعلامي و المخبرين السرّيين . فى المجتمع الإشتراكي المستقبلي هذا النوع من المعارضة لن يكون " مسموحا به " و حسب ، بل يجب أن يُرحّب به و أن يلقى التشجيع من قادة المجتمع و مؤسساته الثورية . الإحتجاج و التمرّد الجماهيري و روح الإقدام على التفكير و إعادة التقييم و النقد ستوجد على نطاق قلّما يرى و يُشرك الجماهير الشعبية التى هي عادة مستبعدة من الحياة الفكرية و السياسية و كذلك المثقفين الذين سيواصلون لعب دور حيوي فى ظروف المجتمع الجديد .

ستحمى سلطة الدولة حقوق الشعب فى خوضه هذه الضروب من الصراعات . لنكون واضحين ، يمكن التعبير عن معارضة الإشتراكية طالما انّ هؤلاء المعارضين لا يحاولون عمليّا الإطاحة بالنظام بطرق غير قانونية . إنّ رؤية أفاكيان للإشتراكية رؤية حيث الجدال و المعارضة و الصراع حول الصواب و الخطأ ، و النقاش الجماهيري هي نسيج من صنع المجتمع ، و ليسوا إستثناءا. و الموارد (النشر و مواقع النات ومحطّات التلفزة و أماكن الإجتماعات و ما إلى ذلك) يجب أن تتوفّر كي تصبح هذه الحقوق واقعا و ذات معنى ، على عكس الديمقراطية البرجوازية أين المال و الروابط و الملكية تفرغ " الخطاب الحرّ" من جلّ معانيه .

و ما هذا التوجه بأمنية تقيّة توضع جانبا مع أوّل صعوبة . فى المجتمع الإشتراكي المستقبلي سيوجد بالتأكيد أعداء خبثاء فى الداخل و الخارج سيقومون بكلّ شيء ليرجعوا النظام الرجعي ، لكن غالبا ما تمّ النظر إلى واقع مثل هؤلاء الأعداء و الحاجة إلى قتالهم على انّه سبب للّجوء إلى طرق اليد الثقيلة و إلى عدم التعويل على الجماهير الشعبية و دفعها إلى الأمام .

ينبغى على المجتمعات الإشتراكية الجديدة للقرن الواحد و العشرين أن تتميّز بإنتشار غير مسبوق لحقوق الفردضمن السكّان . و الدولة ذاتها ستكون مختلفة نوعيّا عن الدول الموجودة اليوم فى أن تلك الدولة الإشتراكية ستكون نتيجة ثورة جماهيرية. و لكن هذا لن يغيّر من أنّه ستظلّ هناك تناقضات بين الدولة الإشتراكية و الناس طالما يظلّ من الضروري إمتلاك أية دولة أبدا . و الديمقراطية التى ستزدهر و ضمان حقوق الفرد سيكونان جزءا من النضال للحفاظ على التغيير الإجتماعي فى تقدّم و ستخلق ظروف أكثر ملائمة لتقدّم الثورة .

ولنأخذ مثالا المسألة المهمّة للقتال من أجل نظرة علمية لعالم و معارضة النظرات الدينية التى تثقل على تفكير الجماهير . فى الأساس ن فى كافة البلدان العربية ، سواء بالقانون أو بمجرّد ثقل العائلة و التقاليد و وسائل الإعلام و أحيانا مجرمين ، لا يتمّ تشجيع الناس على الإكتشاف و نقاش وجهات النظر البديلة ، و أولئك الذين لا يؤمنون يجبرون عادة على الصمت . يجب ان يوجد فصل صارم بين الدين و الدولة . و يجب على النظام التعليمي أن يتعاطى مع الدين وفق ذات المعيار العلمي المستعمل فى تفحّص كافة الظواهر الإجتماعية الأخرى .

وحده مجتمع إشتراكي مختلف جذريّا يسيّر النقاش حول الدين بطريقة جدّ مختلفة . نعلم أنّه لفترة طويلة سيرفض عديد الناس الرؤية الشيوعية العلمية للعالم و يتمسّكون بالدين . لذلك سيتمّ إحترام حرّية المعتقد و لن يضغط على أي كان كيما يدعى ما ليس عليه . هذا من جهة و من جهة ثانية ، لن يتراجع الشيوعيون عن الصراع حول الدين و النظرة للعالم بصورة أعمّ لأنّه سيكون من غير الممكن بلوغ مجتمع شيوعي إلى أن ينظر الناس إلى العالم كما هو عمليّا و يغيّرونه على ذلك الأساس . و هذا الصراع فى مجال التفكير بين المؤمنين و الشيوعيين الثوريين يمكن أن يكون مدرسة حقيقية و مثيرة يشارك فيها الملايين و يتعلّمون و يغيّرون أنفسهم .

<u>ما هو العنصر المفتقد : الشيوعيون الثوريون :</u>

العنصر المحوري الذى تفتقد إليه البلدان العربية اليوم هو لبّ منظّم من الشيوعيين الثوريين . و هذا لا علاقة له بأحزاب " اليسار" القديمة المتحجّرة أو تيارات أخرى صارت بطريقتها الخاصّة ، سواء كان أعضاؤها شبابا أو شيبا ، مؤسسات تابعة لمجتمع القديم . و لا يتعلّق الأمر حتى بإنجاز نقد راديكالي للمجتمع . و إنمّا يتعلّق الأمر بقوّة فى المجتمع تظهر و تستوعب بصلابة الحاجة إلى قيادة الجماهير فى تحقيق إطاحة ثورية عملية للدولة / الدول القديمة و يكون لديها تصميم و فهم علمي ضروري لبناء نوع المجتمع المختلف راديكاليّا الذى ناقشنا .

وإمكانية التغيير الحقيقي قد تظهر ثمّ تغيب عن النظر . و ترتهن حركية الناس و مبادرتهم و جرأتهم بما إذا كانوا أم لا يؤمنون بأنّ تضحياتهم يمكن أن تقود إلى نتائج تستحقّ ذلك . و عندما لا يعود بوسع الطبقات الحاكمة أن تحكم بالطريقة القديمة لأنّها منقسمة و فى مأزق و تكون هيكلة سلطتها قد فقدت

شرعيتها ، لن تحلّ هذه الأزمة آليّا فى مصلحة الشعب و النظام الجديد قد يكون سيء مثل سابقه أو أسوأ منه .

هذا هو نوع الوضعية التى عالجها أفاكيان فى رسالته إلى الشعب المصري عقب إلحاق الهزيمة بمبارك:

" فى روسيا ، فى فبراير/ فيفري 1917 ، أطاحت إنتفاضة شعبية بقيصر مستبدّ (الحاكم المطلق). و مرّة أخرى ، حاول إمبرياليو الولايات المتحدة و بريطانيا و بعض القوى الإمبريالية الأخرى و الرأسماليون الروس إضطهاد الشعب بشكل جديد، بإستخدام آليّات " الحكم الديمقراطي" و الإنتخابات والتيحتى مع السماح بشيء من المشاركة العريضة للأحزاب المختلفة ، ستكون تحت السيطرة الكاملة لمستغلّى الشعب و سوف تضمن إستمرارية حكمهم و المزيد من معاناة الجماهير الشعبية. إلاّ أنّه فى هذه الحالة ، تمّ تمكين الجماهير من تعرية المناورات و التلاعب كي تستطيع المضي قدما بالهبّة الثورية عبر منعرجات مختلفة حتى إستطاعوا الوصول فى أكتوبر 1917 إلى دحر و تفكيك مؤسسات و آليّات الدكتاتورية البرجوازية وإقامة نظام سياسي و إقتصاديّ جديد ، الإشتراكية الذى إستمرّ فى التقدّم لعقود منالزمن نحو إلغاء علاقات الإستغلال و الإضطهاد كجزء من الصراع العالمي نحو تحقيق الهدف النهائي- الشيوعية. إنّ الفرق الجوهري يكمن فى أنّ الإنتفاضات الروسية كان لها قيادة فى المركز ، قيادة شيوعية، قيادة تملك فهما واضحا و علميّا لطبيعة النظام القمعي برمّته و ليس فقط لهذا الحاكم المستبدّ او ذاك و للحاجة إلى إستمرار النضال الثوري لا من أجل الإطاحة بحاكم معيّن فحسب و لكن لمحو النظام برمّته و إستبداله بنظام يجسّد و ينفخ الحياة فى الحرّية و فى المصالح الأساسية للشعب فى ق سعيهنحو إزالة كافة أشكال القمع و الإستغلال.

و بالرغم من أنّه تمّفى النهاية الإنقلاب على الثورة فى روسياو إسترداد الرأسمالية فى خمسينات القرن الماضي ، وبالرغم من أنّ روسيا اليوم لم تعد تخفى حقيقتها كقوّة رأسمالية-إمبريالية، فإنّ الثورة الروسية لسنة 1917تقدّم دروسا قيّمة و حاسمة فى عالم اليوم . و لعلّ الدرس الأكثر حسما هو أنّه : عندما تخرج الجماهير بالملايين وتكسر القيود التي كبّلتها ضد مضطهِديها و ظالميها ، فإن السؤال حول إذا ما كان نضالها البطولي هذا سيؤدّى يؤّدى إلى إحداث التغيير الأساسي أي التحرّك نحو إلغاء كافة أشكال الإستغلال و الظلم ، فإنّ هذا يعتمد على وجود قيادة ، قيادة شيوعية ، التى تتسلّح بالفهم و الأسلوب العلمي ،و تستطيع على هذا الأساس تطوير النهج الإستراتيجي المطلوب و التأثير على و توطيد الروابط المنظّمة بين الأعداد المتزايدة من الجماهير ،من أجل قيادة إنتفاضة الشعب عبر كلّ المنعرجات و المنعطفات نحو الهدف وهو التحوّل الثوري الحقيقي للمجتمع بما يتوافق مع المصالح الأساسية للشعب . و عندها ، عندما تحطم الجماهير الغفيرة " الروتين الرتيب " و القيود التى كانت تكبلها بسبب العلاقات القمعية التى كانوا يرزحزم تحتها –عندما يحطمون كلّ ذلك وينتفضون بالملايين – تكون هذه هي اللحظة الحاسمة للتنظيم الشيوعي لتطوير علاقته مع هذه الجماهير و رصّ صفوفه و تعزيز قدرته على القيادة . أو إذا لم يكن هذا للتنظيم الشيوعي موجودا ، أو كان متواجدا فى شظايا معزولة ، فإنّ هذه اللحظة تكون هي الحاسمة لإنطلاقة التنظيم الشيوعي و تطويره ليأخذ على عاتقه مواجهة التحدّى المتمثّل فى دراسة وتطبيق النظرية الشيوعية بطريقة خلاّقة فى خضمّ هذه الظروف المضطربة و لتطوير علاقته بإستمرار مع الجماهير و التأثير فيها للوصول فى نهاية المطاف إلى قيادة

الأعداد الغفيرة منهذه الجماهير نحو الثورة التى تمثّل المصالح الأساسية و السامية ، ألا وهي الثورة الشيوعية .

... إلى كلّ الذين يريدون حقّا أن يروا هذا النضال البطولي للجماهير المضطهَدة فى ظلّ القيادة المطلوبة يتطوّر فى إتجاه التحوّل الثوري الحقيقي و تحرّر أصيل للمجتمع : الإنخراط و الإلتزام بوجهة النظر و الأهداف التحررية للشيوعية ،و فى التحدّي فى إعطاء هذا التعبير المنظّم و فى التأثير و الحضور المتنامي بين الجماهير المناضلة . " (38)

ماذا سينتج عن الإنتفاضات العربية ؟

لقد وفّرت السنوات القليلة الأخيرة دروسا غنية ، إيجابية و سلبية حول التأثير القوي لأقلية صغيرة نسبيّا فى علاقة ببقيّة المجتمع . عندما كانت عموما متخندقة إلى جانب المصالح الأساسية للشعب ، كانت مثابرة الشباب وآخرين عاملا باعثا لجوّ عام عبر المجتمع سنة 2011 . لئن ترقّبوا إلى أن تقرّر الجماهير عامة ، أو غالبيتها ، و عن وعي الحاجة إلى تغيير المجتمع و إمكانيته و كيفية القيام بذلك و توقيته ، لكان مبارك و بن علي لا يزالان جالسين فى قصورهما و لكانت غالبية الناس تقول بأّنه لا وجود لبديل . لكن هذه الفترة مدّتنا بدروس مُرّة أيضا .

فالأزمة الثورية لا يمكن أن تصبح إمكانية حقيقية للقيام بالثورة دون عمل حزب ثوري و ظهور حركة شيوعية ثورية فى صفوف الجماهير – حركة تقودها الشيوعية كعلم و كهدف ، حركة حتى و إن كانت صغيرة تبحث عن كلّ فرصة ليكون لها تأثير كبير على المجتمع برمّته و بناء قوّة تهدف للتمكّن من إفتكاك السلطة حينما تنضج الظروف . و الأحداث إلى ألان فى 2013 قد أظهرت الحاجة الماسة إلى مثل هذه الحركة : و فى النهاية ستجد فترة الإضطراب التى إفتتحها الربيع العربي معالجة ، و دون ظهور قيادة و إتجاه مختلف ، قيادة شيوعية ثورية ، سيتوفّر حلّ رجعي ، مثلما نشاهد ، هو بصدد التشكّل و الإختبار بأشكال متباينة اليوم .

و يمكن أن نرى أهمّية هذا من تجربة الشعب الإيراني خلال ثورة 1979 ضد الشاه و بعد ذلك . و الرفاق من إيران الذين عاشوا تجربة الثورة هذه التى وقع السطو عليها و تحويل وجهتها و هزيمتها ، قد لخّصوا هذه الدروس المُرّة . و على المصريين و التونسيين و آخرين الذين لهم أوهام حول القوى الإسلامية و كذلك الذين ينوون وضع أنفسهم بين أيدي الجيوش الموالية للإمبرياليين للحيلولة دون العذابات التى عانى منها الشعب الإيراني مذّاك ، عليهم مراعاتها .(39)

و لكن إن ظهرت حركة ثورية لها قوّة كافية لتشرع فى كسر عُقلة القوتين اللتين " عفا عليهما الزمن " و حتى أكثر إن حدثت ثورة فى أي بلد ، فإنّ ذلك سيفرز تغييرا حقيقيا الحاجة إليه كبيرة جدا فى وضع المنطقة و فى العالم الصعب اليوم . قد تساعد على التقدّم فى القيام بالثورة فى بلدان أخرى و بدورها قد تأثّر على الوضع بحداث الإختراق الأوّل . و بالرغم من كلّ شيء ، إذا إستطاع ما جدّ بسيدي بوزيد وهي مدينة منعزلة فى بلد صغير أن يمتدّ عبر المنطقة و يأثرّ فى الناس عبر العالم ، فكّروا فى ما يمكن أن يجدّ لو ظهر شيء ثوري حقّا ، حركة تقاتل من أجل مخرج فى تناقض مع الفظائع التى يعتبر غالبية الناس الآن أنّها الإمكانيات الوحيدة .

و هناك حجة تقول إنّه إن لم يستطع الليبراليون و الإصلاحيون و التحريفيون و " الشيوعيون " إيجاد آذان صاغية فى المجتمع ، فإنّه لا مجال لأن تتمكّن الشيوعية الثورية من الإرتباط بالجماهير . لكن محاولة إيجاد رأسمالية دون إستغلال و إضطهاد خبيثين للأمم أو حكم إسلامي " إنساني " دون إضطهاد النساء – هذه هي الحلول غير الممكنة التحقيق و بقدر ما يكون سريعا كسب قطاع من القادة و الناشطين الممكنين إلى فهم هذا الواقع و الفعل فيه بقدرما يكون ذلك أفضل . و السعي إلى تجنّب الجدال لن يخدع الشعب أو يخفّف من أفكاره الدينية المسبّقة فقط بل سيضمن أنّ الكثير من تفكيره الذى صاغته العلاقات الإقتصادية و الإجتماعية السائدة ، سيظلّ كما هو فى تناقض مع أعمق طموحاته و مصالحه الجوهرية .

و الميزة الكبرى هي أنّ الإطار [النظري] الجوهري يوجد فى العالم ، إنه الخلاصة الجديدة للشيوعية الثورية التى طوّرها أفاكيان ، و هي قادرة على تمكين الثوريين فى كلّ البلدان على أن يروا ، بطريقة أساسية ، نوع التغيير الثوري الذى يحتاجه العالم وهو ممكن . وكلّ من يرغب فى القتال من أجل تحرير الجماهير يجب أن يتفاعل مع الفهم العلمي الأكثر تقدّما الذى برز . و لأنّ النظرة و المنهج و التحليل الشيوعي الثوري يتناسبون مع الواقع و يمكن أن يوفّروا أجوبة للمشاكل التى دفعت الناس للتحرّك .

يجب على التيّار الشيوعي الثوري أن يركّز نفسه و يرمى بجذوره ضمن عدد متنامي من الناس ، من قاع المجتمع و عبره ، يتبنّى هذه القضيّة و ينهض عن وعي بدور نشيط فى تغيير العالم وهي نظرة و حركة لا أحد آخر يمكن أن يوفّرها لهم . لئن كان عدد كبير من الناس ينوون التضحية بحياتهم دون رؤية واضحة لما يمكن أن ينجرّ عن التضحيات ، تصوّروا ما الذى يمكن أن يحدث إذا كانت نظرية علمية لمجتمع ممكن جديد و تحرّري تحفز أعدادا متزايدة من الناس و تصبح قوّة فى النضالات حول كافة المشاكل و المواضيع التى واجهها الملايين و ناقشوها غداة الإنتفاضات العربية .

و إحتداد الصراعات التاريخية علامة على عمق هذا النوع من الأزمات الإجتماعية يمكن أن يعني إفلاس هذه المشاريع الرجعية التى يقع " إختبارها " بسرعة ، و إمكانية أن يتوصّل ملايين الناس بسرعة أكبر بكثير إلى فهم أساسي لما يجب القيام به . و لكن هذا ليس بوسعه أن يتمّ إلاّ إذا ظهرت قوّة سياسية بمقدورها أن تقاتل من أجل أن تسلّط ضوءا حقيقيّا أي علميّا على طبيعة المشكل و حلّه العلمي . توجد إمكانية تقدّم ثوري حقيقي و أيضا توجد إمكانية التعرّض مستقبلا حتى إلى فظائع أسوأ. فى ظلّ الظروف القائمة الآن فى شمال أفريقيا و الشرق الأوسط ،حتى مجموعات صغيرة من الناس تحمل فهما شيوعيّا ثوريّا بوسعها أن تحرّك لناس على نطاق واسع . و العدد القليل اليوم قد يستحيل إلى آلاف يقودون الملايين .

و هذا ما يجعل مهمّة التفاعل مع الخلاصة الجديدة للشيوعية و إستيعابها مهمّة حيوية و ملحّة إلى أقصى الحدود ، لا سيما فى خضمّ التطلعات الثورية و المخاطر المتزايدة فى منطقة الشرق الأوسط و شمال أفريقيا .

الهوامش :

1- لقد تمتّع الجيش المصري بمكانة معينة فى صفوف الشعب نظرا لدوره التاريخي . فقد أطاح إنقلاب 1952 بالنظام الملكي الذى كانت تهيمن عليه بريطانيا و فى السنوات التالية فى ظلّ جمال عبد لناصر

وقع تجريد الإقطاعيين الموالين بريطانيا من الكثير من أراضيهم و سلطتهم . لكن عبد الناصر قدعوّل دائما على الرأسمال الأجنبي و الحماية العسكرية من واحدة أو اخرى من القوى العظمى وسط وضع عالمي متغيّر و معقّد ، متميّز بتنافس شديد بين الإمبرياليين البريطانيين والفرنسيين المنهكين من جهة و الإمبريالية الأمريكية التى صارت قوية بشكل كبير من جهة أخرى ،و ظهور الإتحاد السوفياتي كقوّة إمبريالية عقب إعادة تركيز الرأسمالية هناك فى شكل رأسمالية دولة " إشتراكية ". و كان خليفة ناصر، أنور السادات ، أوفر نجاحا منناصر فى توجيه ضربة للغزاة الصهاينة فى 1973 إلاّ أنّ الجيش المصري إستغلّ ذلك كفرصة للتفاوض على إستسلامه لمطالب الصهاينة و راعيتهم الولايات المتحدة .
و إنتهت هذه السيرورة إلى إتفاقيات سلام 1979 مع إسرائيل تضمّنت الإعادة الشكلية لمظهر عديدة من السيادة المصرية على شبه جزيرة سيناء و القنال و أطلقت بالفعل تحالف مصر مع إسرائيل ضد الحركة الوطنية الفلسطينية. و ستكون مبالغة صغيرة فقط أن نقول إنّ " إسرائيل و الجيش المصري يد واحدة " .
و حينما عاد الجنرالات بقيادة عبد الفتّاح السيسي إلى الحكم مباشرة فى 3 جويلية 2013 ، صرّح السفير الإسرائيلي فى مصر : " السيسي ليس بطلا قوميّا بالنسبة لمصر إلاّ أنّه بطل بالنسبة لكافة اليهود فى إسرائيل ..." (ذكره راي بوش فى إفتتاحية شهر أوت ضمن " المسألة الإفتراضية " من " مجلّة الإقتصاد السياسي الأفريقي ".)

2- و قد بدأوا نشاطهم فى السنوات الأخيرة لمبارك و أثناء إنتخابات مرسي لسنة 2012 ، حاجج الإشتراكيون الثوريّون بأنّه ينبغى مساندة الإخوان المسلمين (سميح نجيب : " أحيانا مع الإخوان المسلمين ، لكندائما ضد الدولة ") وهو تحليل قلّص الدولة إلى شخص مبارك و الجنرالات الأقرب إليه.
ثمّ ، إثر الإنقلاب فى 3 جويلية 2013 ، تذمّروا : " لقد خان محمد مرسي و الإخوان الثورة . لم يطبّقوا و لا واحد منمطالب الثورة بالعدالة الإجتماعية و الحرّية و الكرامة الإنسانية و القصاص لشهداء الثورة ." (سميح نجيب ؛ " مصر : أربعة أيّام هزّت العالم " 3 جويلية 2013). و رحّب أحمد شوقي ، ناشر " **مجلّة الإشتراكي العالمي** " ، بتولّى الجيش أمر السلطة على أنّه إعتراف بواقع أنّ إرادة الشعب المصري لم تعد نقبل بحكومة مرسي " (أحمد شوقي " مصر كلّها هي التحرير " ، 5 جويلية 2013).

ثمّ التحوّل إلى الضفّة الأخرى من جديد ، بعد مدّة طويلة من تظاهر القادة الليبراليين و عديد الآخرين من أجل عزل مرسى ، شرعوا فى النأي بأنفسهم عن مجزرة الجيش ضد مساندي الإخوان المسلمين ، و ندّدوا ب " الحكم العسكري " فى نفس الوقت الذى إستفاقوا فيه على كون الإخوان المسلمين كانوا فئويين . و مع ذلك " ظلّوا يعتبرون أنّ عزل مرسى أتى نتيجة " الموجة الثورية ل 28 جوان " - التى عبّدت الطريق للإنقلاب (" حكم الرعب العسكري فى القاهرة " 14 أوت 2013).بإختصار إن كانت المواقف السياسية للإشتراكيين الثوريين متقلّبة فلأنّهم إجتهدوا بثبات لركوب أمواج التقلّبات السياسية و ليبرّروا هذه التقلّبات السريعة على أنّها تكتيكات " ماركسية " (فى الواقع ، تروتسكية) .

و فى نفس الوقت ، بمزاج أكثر برودة بعد مدّة ليست طويلة عن التسمّم الأولى ب " نجاح" المسيرات الموالية للإنقلاب ،إستخلص نجيب أنّه نظرا لمساندة حكّام العربية السعودية والإمارات المتحدة العربية لإبعاد مُرسى و لوعودهم بتمويل الحكومة الجديدة ، لن تكون الثورة ممكنة فى مصر إلى أن تسقط هذه الأنظمة – ما يعنى على الأرجح أبدا بما أنّ الظروف فى مصر بجماهيرها الغفيرة المسحوقة فى الريف و المدن ، أكثر مواتاة بكثير للثورة من تلك فى البلدان التى تتميّز بصورة خاصّة بغياب مثل هذه الظروف. و يشكو نجيب من أنّ العالم الآخر الذى يعرقل الثورة فى مصر هو ثقل الريف وخاصة

الجنوب المصري " أين للحركات الإسلامية أكبر الدعم ". (ينبغى على الثورة المصرية أن تنتشر لكي تكسب " ، 16 جويلية 2013 . و إنظروا كذلك " لرسالة الإشتراكيين الثوريين إلى الأنصار " ، 14 أوت 2013 . و كافة هذه النصوص نشرت على موقع الأنترنت :

socialistworker.co.uk

سنُعنى أكثر بمسألة الفكر الإسلامي و الفقر لاحقا ، لكن هنا سنثير سؤالين إثنين : منذ متى كان الفقر و غياب " التطوّر " معرقلين للثورة ؟ و إن كان صحيحا أن الفكر الإسلامي (ليس فحسب فى الريف بل واقعيّا فى سائر المجتمع) مشكل فلماذا لم يعرضه الإشتراكيون الثوريون – إلى اليوم؟

لقد إتبع الإشتراكيون الثوريون على الدوام تكتيك معارضة كلّ ما يحدّدونه على انّه " العدو الرئيسي " فى أية لحظة . لكن ما هي الإستراتيجيا - ما هي الأهداف - التى يحاول هؤلاء التكتيكيين البارزين تطبيقها، عدا " فرصة لا تفوّت للنموّ " مثلما يصف نجيب الوضع اليوم ؟ أليس هذا هو عين مفهوم الإنتهازية ؟

3 - نجيب ، " مصر : أربعة أيّام هزّت العالم ".

4 - فرضية و حجّة أنّه نظرا لكون الجماهير بملايينها فى حركة ، مهما تقوم به سليم و صحيح وهو فى الأخير فى مصلحتها ... هذه الأبستيمولوجيا الشعبوية مقاربة تحدّد الحقيقة بما يفكّر فيه الناس أي بالرأي العام. إنّها لا تطبّق العلم لفهم الواقع الموضوعي فى سيره و ديناميكيته الكامنين ، غنّها لا تتحدّى و لا تدحض ولا تغيّر الأفكار و طرق التفكير الخاطئة لدي الناس الذين هم غير منسجمين مع الواقع الموضوعي ، و من هنا فى الأخير تترك العالم " كما هو" . (" **ملايين الناس يمكن أن يكونوا خاطئين – الإنقلاب فى مصر ليس ثورة شعبية** " ، الثورة عدد 312 ، جريدة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية).

و أرقام 17 مليونا (أو 33 مليونا مثلما يدّعى الكثيرون) فى شوارع مصر تدعو الجنرالات ان يتدخّلوا مجرّد وهم يبحث عن ملجأ من الوضع السياسي المعقّد اليوم بالإعتماد على فكرة أنّ الملايين لا يمكن أن يكونوا على خطإ و المبالغة فى عدد الملايين عدّة مرّات و تجاهل الملايين المساندة للإخوان المسلمين (الملايين الخاطئة) . لقد كان هذا مشكلا على الدوام . ساحة التحرير ليس بوسعها الإتساع حتى لمليون شخص . و إدعاء أنّ الملايين نهضوا فى جانفي 2011 لمعارضة حجّة نظام مبارك بأنّه يتمتّع بمساندة " الغالبية الصامتة " كان مؤشّرا أوّليّا على فهم غالط (فكرة أنّ الشرعية السياسية تتأتّى من مساندة الغالبية) التى جعلت الكثير من الناس ذوى الفتكير الثوري مضطربين فى التوجه وهوشيء بديهي خاصة الآن و الشعب منقسم بمرارة كبيرة .

5- قدّم بعض الناس مفهوم " الدولة العميقة " و قصدوا به رجعيين متآمرين لا يلينون متمترسين فى صفوف القوات المسلّحة و المؤسسات الأمنية . و هذا ينحو إلى رؤية الدولة كشقين واحد منتخب يمكن تغييره لخدمة مصالح الشعب و الآخر غير منتخب وهو يمثّل المصالح الرجعية و يقاومالتغيير . إنّ جهاز الدولة ككلّ أداة لدكتاتورية الطبقات الحاكمة ضد الشعب ، و الإنتخابات تهدف إلى خدمة هذه الدكتاتورية بما فى ذلك تحديد الإطار الذى يمكن فيه للناس أن يشاركوا فى السيرورة السياسية . (ستكون لنا فرصة المزيد من الحديث عن مسألة الإنتخابات لاحقا) .هناك فرق بين جهاز الدولة

و الحكومة القائمة اليوم ، بيد أنّ الحكومة التى لا تخدم مصالح الطبقة الحاكمة لن تدوم – مرسى مثال ذلك. لسخرية الأقدار ، سهّل مرسى التغييرات فى قيادات القوات المسلّحة بما أفرز الجنرالات الالمصطفين مع بعض الذين أطاحوا به . و شكاوى أنّمرسى ترك القوات المسلّحة و الشرطة و القضاء و هياكل أخرى تطوّرت فى ظلّ مبارك كما هي "غير عادلة " ، بمعنى أنّه لم يكن يملك أبدا ذلك الخيار إلاّ أنّه من المهمّ أيضا أنّ نقرّ بأن الإخوان المسلمين أرتأوا تقاسم السلطة مع قوى النظام القديمة و سُمح لها – أو بالأحرى وقع التآمر – بالمشاركة فى الحكومة على أمل أن يساعد ذلك على إعادة الشرعية لوضع لم يعد ملايين المصريين بعدُ يقبلون به .

6 - لقد كان بوب أفاكيان رئيسا للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية منذ تأسيسه سنة 1979. و قد نهض أفاكيان بدور حاسم فى تحليل الثورة المضادة التى حصلت فى الصين بعد وفاة ماو فى 1976 و فى توحيد الشيوعيين حول العالم للمضيّ قدما على خطى الإرث الثوري لماو تسى تونغ . و فى العقود العديدة الأخيرة كان يتفحّص المظاهر الإيجابية و السلبية لتجربة بناء الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و الصين ، علاوة على التطوّرات الأخرى فى المعرفة الإنسانية . و كانت النتيجة هي خلاصة جديدة للشيوعية . و مثلما كتب : **" تعنى الخلاصة الجديدة إعادة تشكيل و إعادة تركيب الجوانب الإيجابية لتجربة الحركة الشيوعية و المجتمع الإشتراكي إلى الآن ، بينما يتمّ التعلّم من الجوانب السلبية لهذه التجربة بابعادها الفلسفية والإيديولوجية و كذلك السياسية ، لأجل التوصّل إلى توجه و منهج و مقاربة علميين متجذّرين بصورة أعمق و أصلب فى علاقة ليس فقط بالقيام بالثورة و إفتكاك السلطة لكن ثمّ ، نعم ، تلبية الحاجيات المادية للمجتمع و حاجيات جماهير الشعب ، بطريقة متزايدة الإتساع ، فى المجتمع الإشتراكي – متجاوزة ندب الماضى ومواصلة بعمق التغيير الثوري للمجتمع ، بينما فى نفس الوقت ندعم بنشاط النضال الثوري عبر العالم و نعمل على أساس الإقرار بأن المجال العالمي و النضال العالمي هما الأكثر جوهرية و أهمّية ، بالمعنى العام – معا مع فتح نوعي لمزيد المجال للتعبير عن الحاجيات الفكرية و الثقافية للناس ، مفهوما بصورة واسعة ، و مخوّلين سيرورة أكثر تنوّعا و غنى للإكتشاف و التجريب فى مجالات العلم و الفنّ و الثقافة و الحياة الفكرية بصفة عامة ، مع مدى متزايد لنزاع مختلف الأفكار و المدارس الفكرية و المبادرة و الخلق الفرديين و حماية الحقوق الفردية ، بما فى ذلك مجال للأفراد ليتفاعلوا فى " مجتمع مدني " مستقلّ عن الدولة – كلّ هذا ضمن إطار شامل من التعاون و الجماعية و فى نفس الوقت الذى تكون فيه سلطة الدولة ممسوكة و متطوّرة أكثر كسلطة دولة ثورية تخدم مصالح الثورة البروليتارية ، فى بلد معيّن وعالميا و الدولة عنصر محوري ، فى الإقتصاد و فى التوجّه العام للمجتمع ، بينما الدولة ذاتها يتمّ بإستمرار تغييرها إلى شيئ مغاير راديكاليا عن الدول السابقة ، كجزء حيوي من التقدّم نحو القضاء النهائي على الدولة ببلوغ الشيوعية على النطاق العالمي."** (بوب أفاكيان ، **" القيام بالثورة و تحرير الإنسانية "** ، **الثورة** عدد 105 ، 21 أكتوبر 2007).

7- **" لا وجود ل " ضرورة دائمة " لأنّ تكون الأشياء على ما هي عليه – يمكن إيجادعالم مختلف و أفضل راديكاليّا عبر الثورة "** ؛ الثورة عدد 195 ، 17 مارس 2010.

8 - مع أواسط العشرية الأولى من الأفلية الثانية ، كانت البنوك الإسلامية العاملة فى مصر تتحكّم فى حوالي 10 بالمائة من الودائع التجارية فى النظام البنكي للبلاد ... 8 من العشرين عائلة الأغنى فى مصر أثناء التسعينات و العقد الأوّل من الألفية الثانية ، بركائز محاصصة بينها واسعة و مترابطة من

خلال القطاع الخاص ، لها صلات مباشرة سواء بالإخوان المسلمين أو المجموعات السلفية الأخرى . و أحدث من ذلك الرهن الإسلامي الذى ظهر لاعبا مفتاحا فى إحدى صناعات البلاد الأكثر إستراتيجية و نموّا . فى الألفية الثانية ، كان الفكر الإسلامي يركّز نفسه فى أعلى السلّم الإجتماعي المصري " طارق عصمان ؛ " مصر على حافة الهاوية " منشورات جامعة يال 2010 ، الصفحة 109- 110 .

9- ما يناهز العشرة ملايين إنسان كانوا و عائلاتهم فى السابق مزارعين إضطرّوا إلى مغادرة الأرض فى العقدين الماضيين . و هذا من سكّان يعدّون تسعين مليونا . (بوش ، إفتتاحية " مجلّة الإقتصاد السياسي الأفريقي " ، أوت 2013).

10- هذه الحجّة يقدّمها جلبار الأشقر فى " الشعب يريد : إستقراء راديكالي للإنتفاضات العربية " دار الساقي 2013 ، ص 250-261.

11- " وفقا للمفهوم المادي عن التاريخ ، يشكّل إنتاج و تجديد إنتاج الحياة الفعلية العنصر الحاسم ، فى آخر المطاف ، فى العملية التاريخية . و أكثر منهذا لم نؤكّد فى يوم من الأيّام ، لا ماركس و لا أنا . أمّا إذا شوّه أحدهم هذه الموضوعة بمعنى أن العنصر الإقتصادي هو ، على حدّ زعمه ، العنصر الحاسم الوحيد ، فإنه يحول هذا التأكيد إلى جملة مجرّدة ، لا معنى لها ، و لا تدلّ على شيء. إنّ الوضع الإقتصادي إنما هو الأساس ، و لكن مختلف عناصر البناء الفوقي تؤثّر هي أيضا فى مجرى النضال التاريخي ، و تحدد على الأغلب شكله فى كثير من الأحيان ...".

(إنجلز **" رسالة إلى يوسف بلوخ "** ، 21-22 سبتمبر 1890) .

12- كريس هارمان ، " الرسول و البروليتاريا : الأصولية الإسلامية و الطبقة و الثورة " حزب العمّال الإشتراكي ، لندن 1999. و النصّ الكامل متوفّر على الأنترنت على موقع

www.socialistworkers.co.uk

هذا هو الأساس النظري لمساندة الإسلاميين وهو بمثابة نداء للتيار الإشتراكي العالمي ، رغم أنّ مثل هذا التفكير من الصعب أننحصره لدى التروتسكيين .

13- كان سمير أمين أحد أكثر المنظّرين بروزا ضمن معارضي الإمبريالية لعقودو ضوء قائد للمنتدى الإجتماعي العالمي. و مع ذلك ساند الغزو الفرنسي لمالي و الإنقلاب فى مصر بحجّة أنّه نظرا لكون الفكر الإسلامي يبقى البلدان فى حالة ضعف ، فإنّ تحرّكا عسكريّا ضد الإسلاميين يمثّل صفعة للهيمنة الأمريكية . يجب أن يسمى هذا خيانة من شخص كسمير أمين يعتبر نفسه ماركسيّا ، لكن لسوء الحظّ يعدّ ذلك رأيا شائعا فى أوساطعديد المصريين و غيرهم . (للإطلاع على كتابات سمير أمين عن الفكر الإسلامي طول سنوات ، أنظروا موقع " مونثلي ريفيو " على الأنترنت . و بالنسبة لكتابات مشابهة وموقفه من مالي

www.pambuka.org

وعن الإنقلاب ، " الأمة المصرية و جيشها "

www.ahewar.org

و هذا الموقف مرتبط بوجهات نظر سمير أمين حول الإمبريالية و التطوّر الرأسمالي إذ كان شريكا لأندري غاندر فرانك الذى كتب " تطوّر التخلّف " و عرض أطروحات أنّ الإمبريالية تمنع التطوّر الإقتصادي لبلدان مثل البرازيل ، و هذا نسخة للنظرية التطوّرية الكلاسيكية الرجعية للداخل – الخارج و التى كانت تدافع عن أنّ التطوّر الإقتصادي سيوفّر حلاّ لمشاكل هكذا بلدان. و نرى اليوم أنّ هذه النظرية لا تصمد أمام تطوّرات الوضع فى البرازيل .

إنّ الفكرة الخاطئة أنّ الإمبريالية تعرقل التطوّر قد أثرت على نظرة سمير أمين للثورة الصينية إذ رأي التطوّر الإقتصادي كمسألة مفتاح و أخفق فى أن يلاحظ كما يجب الإختلاف بين مشروع ماو للتطوّر المتوازن والمندمج خدمة لتجاوز المجتمع الطبقي و مشروع دنك سياو بينغ للتطوّر مهما كان الثمن . و رغم إعتبار نفسه ماويّا ، فإنّ سمير أمين إنتهى إلى دعم " أتباع الطريق الرأسمالي " الذين أطاح إنقلابهم بالإشتراكة و عكس التوجه الذى قاد فيه ماو الصين .

وهو يعير سمعته إلى الإنقلاب العسكري فى مصر ، كتب سمير أمين أنّ الأمر نفذته " الأمة المصرية وجيشها " . للطبقات الحاكمة المصرية المرتبطة بالإمبريالية جيش لا علاقة لمهمّته بمصالح جماهير الشعب المصري أو الأمةّ المصرية . أسلحته موجّهة لقتل المصريين أو لإستعراض القوّة ، على غرار الطائرات من الدرجة الثانية التى تزوّده بها أمريكا وهي طائرات منزوعة التقنية التى يمكن غستعمالها ضد إسرائيل او ربّما تُستعمل ضد آخرين ، جيران أضعف.

الجيش المصري منظّم بصورة خاصة ليس لقتال دولة على الحدود كانت قد غزت البلاد لعدّة مرّات وهي تشكّل التهديد الحقيقي الوحيد لها . أمّا بالنسبة لفكرة أنّ هناك شيئا خاصا بالجيش المصري لأنّ غالبية أعضائه مجنّدين فتتضارب مع حجّة أن القوات الأمريكية فى فتنام كان يمكن أن تسمّى " الجيش الشعبي ".

14- **" نوع دولة جديد راديكاليّا ن نظرة للحرّية مختلفة راديكاليّا و أعظم بكثير "** ، الثورة عدد 37 ، 5 مارس 2006.

15- مثلا ، أنظروا روبار دريفوس ، **" لعبة الشيطان ، كيف ساعدت الولايات المتحدة إطلاق الأصولية الإسلامية "** كتب متروبوليتان سنة 2005 . لا تزال آثار سحق حركة التحرّر الفلسطينية العلمانية بما فى ذلك قتل إسرائيل المنظّم للمثقّفين الفلسطينيين ، لا تزال محسوسة بألم فى البلدان العربية اليوم .

16- بوب أفاكيان ، **" لنتخلّص من كافة الآلهة ! تحرير العقول و تغيير العالم راديكالياّ "**، الصفحات 101-106 . و فى الصفحات التالية ، يواصل أفاكيان نقاش تجارب إيران و منظّمة التحرير الفلسطينية و جمال عبد الناصر .

17- و أحد أمثلة هذا الخطاب الإسلامي الذى تتسبّب فيه السوق الحرّة و إقتلاع الفلاحين من أراضيهم و الفساد الذى جلبه الغرب و نفاق مثله العليا و ممارساته و تدمير البيئة و الظروف المريعة للنساء فى ظلّ " العصرنة " ، أنظروا كتابات المغربي الشيخ عبد السلام ياسين مثل كرّاس " المرأة المؤمنة فى عالم متقلّب " (دون دار نشر ، يوزّع بصورة غير رسمية) مترجم إلى ألنجليزية ضمن كتاب أطول ألّف سنة 1993. و قد إكتسب هذا الموقف شرعية فى صفوف بعض الناس الذين يعتبرون أنفسهم أنصارا للحركة النسوية و مناهضين للإستعمار .

18- **" نوع دولة جديد راديكاليّا ..."**

19- مثلما وقع الإستشهاد به فى **" القانون الأساسي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** ، 2008 (وهو مقتطف نشر فى الأصل سنة 2004).

20- **" إنهيار أمريكا "** ، بانار براس 1984.

21- بحث مَعلمٌ و تحليل العلاقة بين الإقتصاد الداخلي المصري و الهيكلة الطبقية و إدماجها فى الإقتصاد الإمبريالي العالمي من تأليف كاتبين مصريين يمضيان بإسم مستعار هو محمود حسين ، كانا حينها متأثّرين بالماوية كما فهماها . و قدطوّرا أطروحة أنّ مصر تتميّز بإنتقال غير تام إلى الرأسمالية ، بكلّ من عناصر عالية التطوّر من الرأسمالية الإحتكارية المرتبطة بالإمبريالية و تواصل مظاهر أخرى من الإقطاعية و ما قبل الرأسمالية ، و كلا المظهرين يعملان على تأبيد العلاقات الإجتماعية و المؤسسات السياسية و التقاليد و الأفكار المتخلّفة و يحاججان أيضا بأنّ التديّن البارز للبلاد يعكس ذلك الوضع الموضوعي ؛ <u>النزاع الطبقي فى مصر 1945-1971</u> ، منشورات مونثلي ريفيو ، 1974.

22- " <u>أزمة المجتمع الريفي في مصر</u>" ، حبيب إياب ، منشورات كرتالا ، 2010.

23- " لقد نمى إقتصاد مصر بحوالي 5 بالمائة بالمعنى الملموس كلّ سنة منذ 1980. و من طموح كافة الدول النامية بلوغ مثل هذا المستوى من النموّ ، لا سيما حيث ذلك يفوق نموّ عدد السكّان . ومع ذلك ، فإنّ النموّ الإقتصادي المستديم بصورة فريدة أخفق فى توفير مواطن شغل و تقليص الفقر . و بارونات السرقة فى الحزب الوطني الديمقراطي [حزب مبارك الحاكم قبلا] نجحوا فى تقديم الهدايا لأنفسهم – الرفاه و الأرض و الإسمنت و الحديد و بالطبع الجيش أيضا – فى نهاية المطاف ، ألم يحصل الجيش على "ألعاب للصبيان " بقيمة 1.3 بليون دولار أمريكي سنويّا من الولايات المتحدة الأمريكية ،و كذلك على ضمانات مغامرات التجارة الخاصة الهائلة فى الأرض و الرفاه و التصنيع ؟ لكن الفقر المديني و الريفي - وإستبعاد غالبية المصريين من الثروة التى أنتجوها – هو الإتهام الأكبر للثلاثين سنة الماضية. فى أفضل الأحوال ، تطوّرت مصر لكن المصريين لم يتطوّروا ! مستويات البطالة قد تبلغ 50 بالمائة و الزيادات فى أسعار المواد الغذائية بعشرين بالمائة تسرّع فى تفشّى الفقر و جوع الأطفال . و مسيرات الخبز أمام الخبّازين فى القاهرة فى 2008 كانت علامات أولية للنقاط المنذرة بما هو قادم" (راي بوش ؛ " مصر : ثورة مستمرّة ؟ " " مجلّة الإقتصاد السياسي الأفريقي " المجلّد 38 ، العدد 128 ، جوان 2011).

24- إحدى التعبيرات الأكثر حيوية عن ذلك وجدت فى الأدب . فقد شهد العقد الأخير ظهور جنس أدبي مسمّى بقصّة السكن و أشهر عمل لعلاءالأسواني " عمارة يعقوبيان "، كانت أفضل القصص العربية مبيعا لمدّة سنتين (2002 – 2003) قبل تحويلها إلى فلم ثمّ إلى مسلسل تلفزي. و ظهر مؤلّف حمدى أبو جليل " لصوص متقاعدون " سنة 2002 . كلاهما يستخدمان عمارة و سكّانها كصورة عن المجتمع المصري. و يبحث الأسواني عن تقديم صورة بانورامية عن كافة الطبقات الإجتماعية للبلاد فى علاقة ببناء مدينة القاهرة ، فى حين أن أبو جليل يركّز على النازحين من الريف فى الضاحية الجنوبية الفيرة حلوان ، و قد زيّنت حلوان مرّة على أنّها مثال للإهتمام الأبوي لنظامجمال عبد الناصر برفاه الطبقة العاملة . كلا المؤلّفان يرسمان صورة عنيدة عن مجتمع فيه الأبواب أغلقت البواب و النوافذ بالمسامير

و الروائح النتنة الخانقة للتعفّن تملئ أجواء كلّ غرفة من قمّتها إلى قاعها. وحشية النظام و فساده قد سمّمت كلّ مظهر من مظاهر الحياة ، حتى ، و ربّما ألكثر إيلاما ، العلاقات الأكثر عاديّة بين الناس . (نشرا باللغة الأنجليزية تباعا من قبل منشورات هاربار بارانيال و الجامعة الأمريكية بالقاهرة).

25- إعادة صياغة جمل و تلخيص لمقال " الرأسمالية الليبرالية ، الرأسمالية الهرمة و تطوّر البروليتاريا الرثّة " ، وهو مقال نشر فى الأصل فى بنبتزوكا

www.pambazuka.org

و أعيد نشره على موقع

www.fsm2013.org

26- حيلي باجي ، " أمينة ، التاريخ يسير" ، لومند ، 15 جوان 2013 :" و يجب أن نضيف أنّ فى كافة المجتمعات الذكورية اليوم ، بما فى ذلك تونس و فرنسا ، بلدان أين كانت حركة فيمان ناشطة ، فإنّ التعرّي فى المجالات العامة لا يمكن عادة أن يتجنّب التحديق بالنظر الذكوري و تشييئ النساء ، لذا لا يمكن أن يكون تكتيكا عاما لتحرير النساء ."

27- النيويورك تايمز ، 17 نوفمبر 2011. و أنظروا أيضا الحوار الصحفي لعلياء امجدا المهدي الذى أعيدت طباعته ضمن كتاب إسماعيل لعشر " إنتفاضات عربية " ، ليبالا ،2013.

28- أنظروا فصل " كره جسد النساء " من كتاب لعشر " إنتفاضات عربية " .هذا السوسيولوجي الفرنسي المولود بالجزائر بطل التنوير ، لكنه يتمتّع بصراحة الإشارة إلى أنّ ديدرو مثلا ، يشاطر تماما النظرة الإسلامية بأنّ النساء " مكمّلات" و ليست مساويات للرجال. و قال إنّه حتى القادة العرب الشهيرينبالوطنية و العلمانية مثل جمال عبد الناصر و بومدين (أو بورقيبة) كانوا مساندين غير مرتبكين للنظام الأبوي و القبلية و الإسلام (ص 142) ، و ينقد الإنتفاضات الحالية لكونها بعدُ لم تمضى من معارضة " الطغاة " و " أنماط الحكم " إلى نوع من " التحدّى الجذري للنظام الإجتماعي " يبحث عن وضع حدّ لطغيان الرجال على النساء فى كافة مظاهر الحياة . و يدين كذلك المدافعين الغربيين عن النسبية الثقافية لعدم تقييمهم للحركات الإجتماعية العربية على أنّها إمّا ثورية أو معادية للثورة فى علاقة بالنساء (ص 279-281) . و يندّد بشدّة بإدعاء المدافعين عن النسبية الثقافية أنّه على الإنسان أن يتجنّب المدّعى " التحديق بالنظر الغربي " فى قضية تحرير النساء فى العالم الإستعماري الجديد – الإضطهاد إضطهاد مهما كان من ينظر إليه. لمذا يستطيع ديمقراطي صريح أن يتخذ موقفا من هذا القبيل فى حين أنّ العديد ممّن يدّعون أنّهم " إشتراكيون " و " ماركسيون" و " شيوعيون " يخفقون فى القيام بذلك ؟

29- قد تفكّرون أنّه إثر الإنقلاب الذى ساعدت على إنجازه ، ستنهى الشرطة إضرابها عن حماية النساء من الإعتداءات و الإغتصاب فى الشوارع. هذا لم يحدث . مع خروج الحشود الكثيفة لتملأ شوارع القاهرة من الجدار إلى الجدار خلال إحتفالات عيد الفطر ، كان تعرضت نساء و صبيّات عديدات إلى العنف الجنسي ، عادة على أيدى أطفل صغار السنّ . و شخص من المجموعات الكثيرة العاملة على إيقاف هذه الفظائع قال :" يشعر الناس الآن أنّه من حقّهم أن يقوموا بهرسلة النساء . إن سرقت هاتفا جوّالا تهرب ركضا على الأقدام لأنّك تعلم أنّك مجرم . الآن ، عندما يهرسل أحد النساء لم يعد يلوذ

بالهرب. يقف مكانه لا غير. " و يتطوّع الكثيرون ، لا سيما النساء للإلتحاق بالمجموعات المناهضة للعنف الجنسي. لكن السلطات لا تزال تقف بعيدا . (دايلي نيوز مصر ، 14 أوت 2013).

30- بيان **" من أجل تحرير النساء وتحرير الإنسانية جمعاء "** ، الثورة عدد 159 ،مارس 2009. البيان بأكمله متوفّر بالعربية ترجمة شادي الشماوي ضمن كتاب **" المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** ، بمكتبة الحوار المتمدّن و كذلك على الموقع الفرعي لشادي الشماوي بالحوار المتمدّن .

31- **" لم تجلب الرأسمالية تحرير النساء و لا يمكنها أن تجلبه . فالرأسمالية بالكاد غيّرت أشكال إضطهاد النساء و أخفت طبيعة هيكلة هذا الإخضاع النظامي و المنظّم الذى تواجهه النساء و غيرهن . فى حين أن النضال من أجل مساواة النساء جزء أساسي بالتأكيد فى تحرير النساء ، فإنه فى حدّ ذاته ليس تقريبا جذريا بما فيه الكفاية. إذا تحدّدت المعركة من أجل المساواة بالآفاق الضيّقة للعالم الرأسمالي و إذا بقي النظام الرأسمالي نفسه سليما ، ستغدو النساء " فى أفضل الأحوال" "مالكات" لذواتهن كسلعة ، أو يمكنهن كسب السيطرة على آخرين معاملات إياهم كسلع ، بيد أنه لن يمكنهن مطلقا الخروج عن الحدود الضيقة و التتقلصة لهذا النظام الإستغلالي."** ؛ المصدر السابق .

32- أنظروا " **الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** (شيكاغو ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 2009) وهو متوفّر على الأنترنت بالأنجليزية على الرابط التالي :

www.revcom.us/Manifesto/Manifesto.html

و باللغة العربية ضمن كتاب شادى الشماوي الذى مرّ بنا ذكره.

و أيضا **" لنعيد الأمور إلى نصابها "** على موقع :

www.thisiscommunism.org

و أخيرا ، بوب أفاكيان : **" الثورة الثقافية فى الصين ... الفنّ و الثقافة ...المعارضة و الصراع ... و المضي بالثورة نحو الشيوعية "** ، فى **" تمايزات "** مجلّة شيوعية نظرية و جدالية ، عدد2 ، صائفة – نهاية 2012، و الرابط على الأنترنت هو :

www.demarcations-journal.org

33- **" الثورة التى نحتاج و القيادة التى لدينا "** ، الحزب الشيوعي الثوري ،

www.revcom.us

و بالعربية ، بكتاب شادي الشماوي المذكور أعلاه.

34- ريموند لوتا **" لهوغو تشافيز إستراتيجيا نفطية ..لكن هل يمكن لهذا أن يقود إلى التحرّر ؟ "** ، الثورة عدد 94 ، 1جويلية 2007 . وتجدون ترجمة عربية للوثيقة بالموقع الفرعي لشادي الشماوي على الحوار المتمدّن .

35- ريموند لوتا ، " **كوريا الشمالية ليست بلدا إشتراكيّا** " ، الثورة عدد 301 ، 14 أفريل 2013. وتجدون ترجمة عربية للوثيقة بالموقع الفرعي لشادي الشماوي على الحوار المتمدّن .

36- فى مقاله " الجغرافيا الإجتماعية و السياسية للثورة التونسية " : ثورة عشب الحلفاء " فى أوت 2013 فى " مجلّة الإقتصاد السياسي الأفريقي " المذكورة أعلاه ، يستعمل أياب المقارنة المجازية بين سيدى بوزيد، المدينة اليائسة من المناطق الداخلية أين أحرق محمد بوعزيزي نفسه و أشعل الإنتفاضة التونسية ،و سيدى بوسعيد وهي منطقة غنية شمال تونس ، ليكشف عن التفاوتات الفاحشة بين المناطق الساحلية الشمالية و الشرقية لبلد موجّه إلى التصدير ، و جنوب تونس و وسطها و غربها المحجوبين عن البحر . و يربط تحويل المياه لأنتاج التمور و زيت الزيتون للتصدير و للسياحة بسحق المزارعين الصغار الذين عادة ما كانوا يغذّون أنفسهم و البلاد. و فى حين تتمتّع قلّة من البلدان بالقدرات الفلاحية المصرية ، يبيّن أياب أنّ إرتهان تونس لتوريد الغذاء ليس النتيجة الحتمية للجغرافيا و المناخ .

37- مسألة مصادر المياه و تبعاتها الإقتصادية والإجتماعية و البيئية تناقش مطوّلا فى كتاب آياب" أزمة المجتمع الريفي في مصر " .ويصوغ أياب تقييما موجزا لإخفاقات الناصرية فى إحداث تغيير جوهري (ص 135) : لا تصنيع حقيقي يتماشى و حاجيات الإقتصاد العام الأقلّ تطوّرا ، لا تشغيل تام لليد العاملة ، لا تحسّن فى مستوى عيش الفلاحين بالرغم من المحاولات الشديدة للإصلاح الزراعي . لقد إفتكّت إسرائيل شبه جزيرة سينا و إحتلّتها عقب الهزيمة المدمّرة فى حرب 1967 التى أعلنت بداية نهاية الناصرية ،و جرى التخلّى عن تحرير فلسطين . و الكتاب المذكور آنفا ، " النزاع الطبقي فى مصر 1945-1971 " يوفّر مزيدا من التحليل النظري للناصرية . و يناقش بوب أفاكيان الخلاصات العلمية و الخلاصات الخاطئة لتجربة جمال عبد الناصر فى كتاب " **لنتخلّص من كافة الآلهة ! تحرير العقل و تغيير العالم راديكاليّا !"** ، إنسايت براس ، 2008 ، ص 107-109.

38- " **مصر 2011: الملايين لإنتفضت ببسالة ...أمّا المستقبل فلم يكتب بعدُ** " ، الثورة عدد 224 ، فيفري 2011 .

39- " **من إيران إلى الرفاق الثوريين فى الشرق الأوسط و شمال أفريقيا** "، بيان للحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي - اللينيني - الماوي) بمناسبة غرّة ماي 2011 وفيه تتمّ الإشارة إلى أنّ فى إيران:
" و قد جرت معالجة الأزمة الثورية التي أفرزها الصراع الطبقي فى المجتمع على نحو سلبي كانت نتيجته ثلاثة عقود من الآفات عانت منها الطبقة العاملة و الشعب الإيراني و كان لها الوقع السلبي الهائل على تيّار الثورة فى الشرق الأوسط و كذلك عبر العالم إذ هي عزّزت الجوّ العام للثورة المضادة."و يشرح أيضا :" إذا إفتقد الشعب حركة شيوعية ثورية قادرة على تقديم إجابات على " ما الذى نريده" إنطلاقا من موقف البروليتاريا و المضطهَدين و المستغَلين الآخرين فى المجتمع و قيادة الجماهير فى القتال من أجل هذا الهدف ، إذا إفتقدنا ذلك ، فإنّ الطبقات الرجعية و ممثّليها سيفرضون أجندتهم الخاصّة على الجماهير و يقولون لها " ما الذى يجب أن تريد ... هذان طريقان مختلفان راديكاليّا. لئن كسب الطريق الثاني ، لا ظلّ للشكّ أنّ وجه هذه المنطقة و العالم سيتغيّر لصالح شعوب هذه المنطقة و شعوب العالم. غير أنّه لجعل الطريق الثاني المنتصر ، ينبغى أن يتوصّل ملايين الناس إلى معرفة ما هي الثورة الحقيقية و ما هي طبيعة المجتمع الذى يحتاجون إليه و يريدونه و ما هي طبيعة القيادة الطبقية التي بمقدورها أن تقود نحو تحقيق ذلك. ودون إكتساب الملايين للوعي على هذا النحو و تنظيم صفوفهم للقتال من أجل هذا الهدف ، بإمكان الأعداء أن يبيعوا أي شيء للناس بإسم "

الثورة". و قد رأينا هذا فى حال الثورة الإيرانية لسنة 1979. و بالنتيجة ، فى إيران ، ظلّ الوضع جوهريّا على حاله و حتى صار أسوأ."

(للإطلاع على الوثيقة بأكملها ، أنظروا

www.sarbedaran.org

و أنقروا على " لغات أخرى " للحصول على ترجمة إلى الأنجليزية و أخرى إلى العربية).

===========++++++++++++++++++++++++===========

ملحق 1 : من المقالات الهامة الأخرى :

1- من المقالات عن مصر :

On the Coup in **Egypt**: Strengthening Imperialism, Not the People

حول الإنقلاب فى مصر : يعزّز الإمبريالية ، لا يعزّز الشعب .

www.revcom.us/.../on-the-coup-in-**egypt**-and-unfolding-events-en.html

U.S.-backed Brutal Repression in **Egypt**... Needed: Real Revolution

في مصر ، قمع وحشي بدعم أمريكي...ما نحتاجه : ثورة حقيقية .

www.revcom.us/.../u-s-backed-brutal-repression-in-**egypt**-needed-real- revolution-en.html

Conflict in **Egypt**, Agendas of the Oppressors... And the Need for **...**

نزاع في مصر ، أجندات المضطهدين ...و الحاجة إلى طريق آخر .

www.revcom.us/.../conflict-in-**egypt**-agendas-of-oppressors-and-need-for-another- way-en.html

Egypt: Will God and the Ballot Box Keep the People Enslaved?

مصر : هل سيبقى الإلاه و صناديق الإقتراع الشعب مستعبدا ؟

www.revcom.us/.../awtwns-**egypt**-will-god-and-ballot-keep-people-enslaved- en.html

Millions of People in the Streets of **Egypt** Does NOT Change Reality **...**

وجود ملايين الناس في شوارع مصر لا يغيّر واقع أنّه إنقلاب رجعي مدعوم أمريكيّا...

www.revcom.us/.../millions-of-people-in-the-streets-of-**egypt**-does-not- change-reality-en.html

A Condemnation of the Military's Slaughter in **Egypt**—A Challenge to **...**

تنديد بجرائم الجيش فى مصر – تحدّى للذين ضلّلوا أنفسهم بالتفكير فى أنّ الإنقلاب العسكري تقدّمى

www.revcom.us/.../a-condemnation-of-the-militarys-slaughter-in-**egypt**-en. html

Egypt: Some Background to Today's Revolt

مصر : بعض الخلفية لفهم التمرّد الراهن

www.revcom.us/a/226/AWTWNS_**egypt**-en.html

2- من المقالات عن ليبيا :

U.S. & European Allies Attack **Libya**: Imperialist Aggression Under **...**

الولايات المتحدة و حلفاؤها الأوروبيون : عدوان أمريكي تحت قناع " التدخّل الإنساني "

www.revcom.us/a/227online/**libya**-en.html

Stand Against the Bombing of **Libya**... Find Ways to Oppose This **...**

لنقف ضد قصف ليبيا بالقنابل... لنجد سبلا لمعارضة هذه الفظائع

www.revcom.us/a/228/editorial-en.html

3- من المقالات عن سوريا :

From A World to Win News Service Syria: No to Assad, no to foreign **...**

سوريا : لا للأسد ، لا للتدخّل الأجنبي .

www.revcom.us/a/261/awtwns_syria-021312-en.html

Three Things You Need to Know About the Background for Events in **...**

ثلاث أمور تحتاج إلى معرفتها عن خلفية الأحداث في الشرق الأوسط و شمال أفريقيا

www.revcom.us/.../three-things-you-need-to-know-about-background-for-middle- east-and-north-africa-en.html

U.S. Military Escalation in **Syria**...Yet More Horrors in Store for the **...**

التصعيد العسكري الأمريكي في سوريا ... المزيد و المزيد من الفظائع في جعبة ...

www.revcom.us/.../military-escalation-in-**syria**-yet-more-horrors-in-store-for- the-**syrian**-people-en.html

Agreements and Diplomacy Don't End U.S. Threats Against **Syria**

الإتفاقيات والدبلوماسية لا ينهيان تهديدات الولايات المتحدة لسوريا

www.revcom.us/.../agreements-and-diplomacy-dont-end-US-threats-against- **Syria**-en.html

Nothing Good Can Come of Israeli Attacks or U.S. Intervention in **Syria**

لا شيء جيّد قد ينجم عن الهجمات الإسرائيلية أو عن التدخّل الأمريكي في سوريا

www.revcom.us/.../nothing-good-can-come-of-israeli-attacks-or-u-s- intervention-in-**syria**-en.html

Background: The U.S., **Syria**, and the Anti-Assad Uprising

خلفية : الولايات المتحدة و سوريا و التمرّد المناهض للأسد

www.revcom.us/a/265/background-US-**Syria**-en.html

Syria: Diplomacy... and Ongoing Danger of a U.S. Attack

سوريا : الدبلوماسية ...و خطر هجوم أمريكي قائم

www.revcom.us/.../**syria**-diplomacy-and-ongoing-danger-of-a-US-attack-en. html

Houston: No U.S. Strike on **Syria**!

هوستون : لا لضربة أمريكية موجّهة لسوريا !

www.revcom.us/a/315/houston-no-u-s-strike-on-**syria**-en.html

Only Worse Suffering and Horrors Can Result from a U.S. Attack on **...**

لا شيء سوى أسوء العذابات و الفظائع يمكن أن تنجم عن هجوم الولايات المتحدة على سوريا .

www.revcom.us/.../only-worse-suffering-and-horror-can-result-from-US- attack-on-**Syria**-en.html

Obama's speech on **Syria** through a Truth Translator

خطاب أوباما حول سوريا من خلال مترجم للحقيقة

www.revcom.us/.../obamas-speech-on-**syria**-through-a-truth-translator-en. html

Iran, **Syria**, and America's Situation in the Middle East

إيران و سوريا و وضع أمريكا فى الشرق الأوسط

www.revcom.us/.../anahita-rahmani-speaking-on-Iran-**Syria**-and-Americas- situation-in-middle-east-en.html

Syria: No War for Imperialist Interests!

سوريا : لا لحرب لأجل المصالح الإمبريالية !

www.revcom.us/a/316/**syria**-no-war-for-imperialist-interests-en.html

Obama's September 10 Speech on **Syria**: More Lies for War From **...**

خطاب أوباما فى 10 سبتمبر حول سوريا : المزيد من الأكاذيب من رئيس الكذّابين

www.revcom.us/a/.../more-lies-for-war-from-the-liar-in-chief-en.html

Obama's Agenda: Push the **Syrians** to Slaughter Each Other

أجندا أوباما : دفع السوريين للإقتتال

www.revcom.us/.../obamas-agenda-push-the-**syrians**-to-slaughter-each-other- en.html

==

ملحق 2 :

مقال إسرائيل ، غزّة ، العراق و الإمبريالية : المشكل الحقيقى والمصالح الحقيقيّة للشعوب

" أخبار عالم نربحه " ، 18 أوت 2014

كتب الصحفي الأنجليزي روبار فيسك فى المدّة الأخيرة أنّ الناس إن أرادوا أن " يتفحّصوا " المسائل الكامنة " وراء الحرب الإسرائيليّة / الفلسطينية " مثلما نصح بذلك جون كيري سكرتير الدولة لدى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية باراك أوباما ، ينبغى عليهم أن يتسأءلوا لماذا يوجد الفلسطينيّون فى غزّة . و الإجابة ليست ما يدور فى ذهن كيري .

ثلثا سكّان غزّة لاجئون . لقد أجبرت القوّأت الإسرائيليّة الفلسطينيين على التوجّه إلى غزّة لأنّها كانت خارج إطار الأرض التى كانت تريدها فى 1948 . حينها أخرج الجيش الصهيوني بعنف 90 بالمائة من السكّان العرب ليفسح المجال إلى ما صار إسرائيل تلك السنة . وحطّمت منازل الفلسطينيين و جُلب مستعمرون يهود من الخارج لإعمار المدن الجديدة المشيّدة على الخراب . ثمّ إستولت إسرائيل على غزّة سنة 1967 ، وفى البداية سعت لملئها بمزيد من المستعمرين اليهود و تاليا حوّلتها إلى سجن . و الآن تجوّع إسرائيل السجناء و تطلق النار عليهم – بإسم حماية مدن جنوب إسرائيل مثل عسقلان و سداروت وهي المدن الأصليّة للكثير من سكّان غزّة .

" المسألة الكامنة " هنا هي لماذا تسلّح الولايات المتحدة و حكومات غربيّة أخرى و تموّل إسرائيل وسياسيّا تدعمها و حتى ترسل لها المزيد من المستعمرين؟ لماذا يصرّحون بأنّ قوّتهم العسكريّة ستقف دوما إلى جانب إسرائيل و " حقّها فى الدفاع عن نفسها " رغم خلافات مناسباتيّة بينهم ؟ لأنّ ما يدافعون عنه هو الثكنة العسكريّة الرئيسيّة التى تعوّل عليها الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، كأسا من أسس السيطرة الإمبريالية على المنطقة و شعوبها . و ما يسمّى ب" اللوبي اليهودي " ليس هو ما يدفع الولايات المتحدة نحو دعم إسرائيل إذ هو يساعد على خلق رأي عام لا أكثر لتبرير ذلك . فالدور الضروري لأسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة هو السبب الجوهري للعدوان الصهيوني الذى لا ينتهى ،وعنفه المفتخر به و غروره الذى لا حدود له.

" المسألة الكامنة " الأساسيّة هي الإضطهاد . هذه وجهة النظر التى منها يجب على أساسها أن نقيّم حماس . لا يمكن دعم حماس لأنّها لا تمثّل تحريرا من الإضطهاد . فبرنامجها الإجتماعي و الإيديولوجي برنامج رجعي و مناهض لمصالح الغالبيّة العظمى من الفلسطينيين و شعوب العالم . و تقف حماس من أجل نظرة ظلاميّة و حكم ديني و إخضاع النساء .

و بدلا من أن نظلّ مكتوفي الأيدي أو يشلّنا هذا التعقيد ، فإن غهما صحيحا للمسائل الكامنة يتعيّن أن يجعل من الممكن بصفة لا تقاوم القيام بحركة سياسيّة ، لا سيما فى معارضة العدوان الإسرائيلي الذى لا يمكن أبدا و مهما كانت الظروف أن يبرّر على أنّه " دفاع عن النفس " . مع فهم أنّ الصهيونيةّ ليست عنصريّة و حسب و إنّما هي أداة أساسيّة بيد الإمبريالية ، يمكن أن نفضح الأيادي الأمريكيّة و الأوروبيّة التى تسند دولة إسرائيل القائمة على التطهير العرقي و التى تسمح لهؤلاء المجرمين بإرتكاب مجازر فى

حقّ فلسطينيين عُزّل مرارا و تكرارا ، سواء كانوا أطفالا أم شبابا يقتلون فى المسيرات فى الضفّة الغربيّة أم أسر بأكملها يقضى عليها فى غزّة .

و إضافة إلى ذلك ، بهذا الفهم ، ينبغى أن نساند مطلب رفع الحصار عن غزّة – وهو مطلب عام للشعب الفلسطيني – كمسألة عدالة و تضامن أساسيين مع سكّان غزّة و جميع الفلسطينيين.

" المسألة الكامنة " فى العراق ، مواصلة لذات المنهج ، هي أيضا الإمبريالية . كيف لأوباما أن يتحدّث عن تقديم " مساعدة إنسانية " لليزيديين و الأكراد أو أيّ شخص آخر فى حين أنّ الولايات المتحدة هي التى جعلت ممكنة الكارثة الإنسانيّة فى غزّة (حتى لا نذكر أفغانستان و ليبيا و الهايتي و كلّ مكان تدخّلت فيه الولايات المتحدة) ؟ إنّ الحصار الأمريكي و إلقاء القنابل و الغزو و الإحتلال خلقوا وضعا فوضويّا فى العراق ، و الآن يودّ أوباما و أشباهه فى إنجلترا و فرنسا إلقاء مزيد من القنابل و مزيد نهب العراق . يجب إيقاف هذا .

أمّا بالنسبة للإنقسامات الدينيّة و الأثنيّة فى العراق التى يدّعى الغربيّون بأنّها تتطلّب تدخّلهم ، منذ زمن إتّفاقيّة سايكس - بيكو خلال الحرب العالميّة الأولى عندما تقاسمت فرنسا وبريطانيا العظمى المنطقة بينهما ، قدّم الإمبرياليّون أفضل ما لديهم لتركيز نظم إستعماريّة وشبه إستعماريّة تقوم على الإنقسامات الأثنيّة والدينيّة فى فلسطين و لبنان و سوريا و العراق ،متحالفين مع نخب رجعية فى الحكم ، إلى يومنا هذا .

و ظهور الأصوليّة الإسلامية إفراز لتظافر عدّة عوامل منها التغيّرات الإقتصاديّة و الإجتماعيّة الناجمة عن عولمة الإقتصاد الإمبريالي ، و القرف من النفاق و الإفرس الأخلاقي خلف القيم التى يشجّع عليها الإمبرياليّون الغربيّون و خدمهم و المحتالون المحلّيون ، و عدم قدرة الحركات القوميّة العربيّة الماضية على القطع الصريح مع السوق الإمبريالية العالمية ، و التشويه الذى يعلمه غالبيّة الناس للثورتين الروسيّة و الصينيّة ، والسنوات التى قضتها الولايات المتحدة و قوى أخرى فى دعم المجموعات الإسلاميّة خدمة لمصالحها المباشرة الخاصّة (مثل المساندة السلبيّة و أحيانا الإيجابيّة التى قدّمتها المخابرات الإسرائيليّة لحماس فى لمواجهة حركة التحرّر الوطني العلمانيّة فى فلسطين). و فى حين أنّ التيّارات الإسلامية خرجت عن السيطرة و غدت نشاطاتها تمثّل مشكلا حقيقيّا لهذه القوى اليوم ، فإنّ إنتشار تأثير الأصوليّة الإسلامية فى صفوف المضطهَدين يمثّل أيضا مشكلا من وجهة نظر تحرير شعوب الشرق الأوسط و العالم .

ما يطلق عليه الدولة الإسلامية (داعش) آفة نكب بها الشعبين العراقي و السوري و كلّ من يحاجج خلاف ذلك عليه أن يشرح كيف أنّ قطع الرؤوس لفرض الإرهاب الديني و التطهير العرقي و الحكم البطرياركي / النظام الأبوي يمكن أن يوحّد شعوب الشرق الأوسط فى قتال الأعداء الحقيقيين . و فى نفس الوقت ، قد قضى الإمبرياليّون بأسلحتهم المتطوّرة جدّا تقنيّا على أعداد مضاعفة من البشر أكثر من أي شخص آخر يحمل سيفا ، هذا بالرغم من خطابهم " الديمقراطي " و " المتحضّر " الذى يستخدمونه لتبرير جرائمهم . و هذا الوضع مثال بالغ الدلالة عن حقيقة أساسية هي : الأصوليّة الإسلامية والإمبريالية الغربيّة يخوضان معركة حقيقيّة ، لكن مساندة أيّا منهما تنتهى بنا إلى مساندة كليهما .

يجب أن نفضح القوى الإمبريالية و نظامها الذى هو مصدر المشكل و نبنى مقاومة لمزيد تدخّلاتها الدامية التى ساهمت مساهمة كبرى فى إيصال الشرق الأوسط إلى حيث هو اليوم ،و يجب كذلك فضح الأصوليّة الإسلامية (والحكم الديني عامة) ، التى لم تكن لتملك تلك القوّة التى تملك الآن فى العالم لولا سير النظام الإمبريالي و جرائمه .

و من المهمّ بصفة عامة أن يخوض الناس فى الوقائع ليفهموا الوضع كما هوحقّا ، و الذين لديهم بعض الفهم يتوجّب عليهم التحرّك بطريقة واسعة لإبلاغ رؤيتهم للجماهير و تحريكها على نحو واسع ليصبحوا نقطة وحدة للمقاومة و مصدر أمل فى وضع يكون خلاف ذلك مظلم . وزيادة على ذلك ، الناس فى حاجة أكيدة جدّا إلى رفع رايات الثورة فى معارضة كلّ من الإمبريالية و القوى الدينيّة التى لا تبحث إلاّ عن إدخال تعديلات على النظام الإضطهادي العالمي لصالحها و لصالح نظرتها إلى العالم و لا تهدف إلى تغييره تغييرا تحريريّا . إنّ بروز حركات حقيقيّة و حيوية و نامية مصمّمة على أفطاحة بالنظام القديم وبناء سلطة دولة جديدة ، و نظرة جديدة لمجتمعات تحريريّة تماما و جديدة جذريّا حيث يرغب الناس فى كلّ مكان العيش فيها ، قد يمكّن من الشروع فى إفتكاك المبادرة من أعداء الشعوب. / .

ملحق 3 :

فهارس كتب شادي الشماوي

18 كتابا

متوفّرا للتنزيل من مكتبة الحوار المتمدّن

(الماوية : نظرية و ممارسة - من العدد 1 إلى العدد 18)

شكر :

و من الشكر جزيله إلى كلّ من ساهم و يساهم بشكل أو آخر فى نشر أعمالنا و نقدها نقدا بنّاء و تقديم المقترحات ... خدمة للثورة البروليتارية العالمية و لقضيّتنا و هدفنا الأسمى ، الشيوعية على المستوى العالمي .

فهرس الكتاب الأوّل :

علم الثورة البروليتارية العالمية : الماركسية – اللينينية - الماوية

ملاحظتان لا بدّ منهما :

1- الترجمة غير رسمية .

2- الفصل الأول معتمد على ترجمة قديمة أعدّها رفاق جرى العمل على ضبطها قدر الإمكان.

5- القطع مع النموذج السوفياتي.

6- الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي.

7- هزيمة الصين الإشتراكية و الدروس المستخلصة للمستقبل.

8- البناء على أساس الموجة الأولى من الثورات الإشتراكية .

<u>خاتمة :</u>

- هدف الماركسية هو الشيوعية.

<u>ملاحظة :</u> المقدّمة العامة و الخاتمة العامّة وملحق الفصل الأوّل بقلم المترجم. و نصوص الفصلين الأوّل و الثاني مقالات وردت فى "الثورة" لسان حال الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية أمّا الفصل الثالث فهو محاضرة لريموند لوتا نشرت فى "الثورة " و ترجمها إلى الفرنسية و نشرها رفاق الكندا على حلقات فى " الأرسنال أكسبريس ".

فهرس الكتاب الثالث :

لندرس الثورة الماوية فى النيبال و نتعلّم منها

(من أهمّ وثائق فترة 1995- 2001)

فهرس الكتاب الرابع :

الثورة الماوية فى الصين : حقائق و مكاسب و دروس

5- الفصل الرابع : من تحرير المرأة إلى إستعبادها :

1- كسر سلاسل التقاليد جميعها .

2- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

3- النساء فى الصين : السوق الحرة الرأسمالية القاتلة.

4- النساء فى الصين : عبودية السوق الحرة .

5- النساء فى الصين : منبوذات السوق الحرة .

6- الفصل الخامس : من مكاسب الثورة الماوية فى الصين :

1- المكاسب الإقتصادية و الإجتماعية فى ظل ماو.

2- المعجزات الإقتصادية للصين الماوية، حين كانت السلطة بيدي الشعب.

3- كيف قضت الثورة الماوية على الإدمان على المخدرات فى الصين.

4- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

5- كسر سلاسل التقاليد جميعها.

6- معطيات و أرقام من كتاب "25 سنة من الصين الجديدة ".

7- الفصل السادس : إلى الأمام على الطريق الذى خطّه ماو تسى تونغ

8 – خاتمة

المراجع : بإستثناء-1- نصّ "مقتطفات من وثيقة صيغت..." و " إلى الأمام...."وهي نصوص للحركة الأممية الثورية صدرت فى "عالم نربحه" و-2- "خرافات حول الماوية " للرفيق أريك سميث من كندا ، و "معطيات و أرقام من كتاب " 25 سنة من الصين الجديدة"، و-3- المقدّمة العامة و مقدّمة "حقيقة ماو تسى تونغ والثورة الشيوعية فى الصين" و مقال "من صين ماو الإشتراكية إلى صين دنك الرأسمالية..." للمترجم ،

فإن بقية الوثائق مرجعها "الثورة" جريدة الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب الخامس :

الثورة الماوية فى النيبال و صراع الخطين صلب الحركة الأممية الثورية .

1- **" ثورة النيبال : نصر عظيم أم خطر عظيم ! "** ،

الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني- الماوي).

2- **وثائق الحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية :**

مقال "الثورة "عدد160 : بصدد التطورات فى النيبال و رهانات الحركة الشيوعية :

- بعض الخلفية التاريخية.

- الوضع الراهن.

- التحوّل إلى التحريفية ، جذوره وإنعكاساته.

- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) يردّ على الحزب الشيوعي الثوري ،الولايات المتحدة الأمريكية عمليا و نظريا.

- سويسرا جنوب آسيا أم قاعدة إرتكاز للثورة؟

- مساومة مع التحريفية فى الوقت الذى يحتاج فيه إلى قطيعة راديكالية .

- رهانات هذا الصراع و الحاجة الآن إلى تقديمه إلى العالم.

رسائل الحزب الشيوعى الثوري ،الولايات المتحدة:

-1: **فى رسالة جانفى 2009**، بعد عرض مقتضب جدا لما سبق من مراسلات و صراع منذ 2005 ، تعلم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري الولايات المتحدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) عزمها نشر الرسائل علنيا إذا لم تتصل بردّ شافي أو بسبب مقنع فى حدود منتصف فيفري2009.

-2 : **رسالة أكتوبر 2005** إلى الحزب الشيوعي النيبالى (الماوي) :

- الديمقراطية : الشكل و المضمون.

- الديمقراطية الشكلية فى ظلّ الإشتراكية.

- الجمهورية الشعبية أم أشكال إنتقالية؟

- التكتيك و الإستراتيجيا.

- إقتراح يبعث على التساؤل.

- حول "المجتمع الدولي".

- النيبال و النظام الإمبريالي العالمي.

- الديمقراطية و الفئة الوسطى.

ملاحق رسالة أكتوبر 2005 :

- ملحق 1: "التطوير الخلاق للماركسية-اللينينية-الماوية ، ليس للتحريفية".

- ملحق 2 : "مزيدا من التفكير حول : الدولة الإشتراكية بما هي دولة من نوع جديد".

-3 : **رسالة 19 مارس 2008** إلى أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية :

- تكتيكات مربكة تطبيقا لخطّ إيديولوجي و سياسي خاطئ.

- ما الهدف : "إعادة هيكلة الدولة " أم "تحطيمها"؟

- الديمقراطية البرجوازية و الديمقراطية الجديدة.

- الديمقراطية البرجوازية "النسبية " أم نظام الديمقراطية الجديدة ؟

- الأرض لمن يفلحها.

- حول الدستور و الحكم الطبقي.

- الممارسة الثورية.

- من يخدع من ؟

- تسليح الجماهير بالحقيقة أم نسج الإرتباك عمدا؟

- توغلياتي و توريز.

- إعادة كتابة تاريخ الحزب.

- مزيد التنكّر للحقائق التاريخية.

- البعد العالمي.

- "مزج الإثنين فى واحد " أم "إزدواج الواحد" ؟

- الدفاع عن الإنتقائية.

- جوهر المسألة - الخطّ الإيديولوجي و السياسي.

- ما هو نوع التلخيص الإيديولوجي الذى نحتاج إليه؟

رسالة نوفمبر 2008 إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و إلى كافة أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية:

- المشكلة هي خطّ الحزب

- الديمقراطكية الجديدة والإشتراكية حجرين أساسيين فى الطريق نحو الشيوعية.

- معجزة الإنتخابات؟

-"دون جيش شعبي لن يكون هناك شيئ للشعب "

- جزء من إعادة بعث الشيوعية الثورية أم جزء من قبرها ؟

- تلخيص جديد أم ديمقراطية برجوازية قديمة ممجوجة ؟

- "محرّرو الإنسانية" أم مشيّدو سويسرا جديدة ؟

- صراع خطّين أم صراع " الخطوط الثلاثة" ؟

- خلاصة القول : لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة !

3- رسالة الحزب الشيوعى النيبالى (الماوى) إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الثورى،الولايات المتحدة الأمريكية:

1 جويلية 2006

-الإطار التاريخي.

- التجربة التاريخية و جهودنا.

- الدولة ، الديمقراطية و دكتاتورية البروليتاريا.

- الجمهورية الديمقراطية- شكل إنتقالي.

- الإستراتيجيا و التكتيك.

- الجمهورية الديمقراطية الجديدة للنيبال و الجيش .

- نقاط ملخصة.

- خاتمة

4-" لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة فى النيبال"، الشيوعيون الثوريون الألمان :.

1- دور النظرية و الأخطاء الإستراتيجية التاريخية.

2- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و النظرة المادية للمجتمع و التاريخ.

3- الهجوم الإستراتيجي ، "حلّ سياسي" و المنهج العلمي الشيوعي.

4- مسألة الإستراتيجيا ،إتفاق السلام الشامل وإفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها.

5- الواقع وواقع المزج القاتل بين الإختزالية و البراجماتية.

6- الخاتمة.

5- رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعى النيبالى الموحّد (الماوى) من الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) : 7-

1- تحديد طبيعة الدولة فى النيبال و آفاق إنهاء الثورة.

2- بصدد الحكومة الإئتلافية.

3- بصدد قواعد الإرتكاز و نزع سلاح جيش التحرير الشعبي.

4- بصدد ديمقراطية القرن الواحد و العشرين.

5- بصدد طريق الثورة فى البلدان شبه المستعمرة شبه الإقطاعية : نظرية المزج.

6- بصدد مرحلة الثورة فى النيبال.

7- بصدد فهم الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) للتوسعية الهندية.

8- بصدد الفيدرالية السوفياتية لجنوب آسيا.

9- بصدد طريق برانشندا.

10- بصدد الأممية البروليتارية.

11- لن يتمكّن خط ثوري من إعادة تركيز نفسه و إنجاز الثورة النيبالية إلاّ عبر خوض صراع صارم ضد الخطّ الإنتهازي اليميني الذى تتبعه قيادة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي).

6- ملاحق :

1- حول طرد الحزب الشيوعي النيبالي (ماشال) من الحركة الأممية الثورية.

2- بعض الوثائق النيبالية المتصلة بالإنتخابات و نتائجها فى النيبال:

3- تصريحات ماويين آخرين حول النيبال:

فهرس الكتاب السادس :

جمهورية إيران الإسلامية : مذابح للشيوعيين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب

فهرس الكتاب السابع :

مدخل لفهم حرب الشعب الماوية فى الهند

فهرس الكتاب الثامن :

تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتارية العالمية :

الماركسية –اللينينية –الماوية.

1- واقع يستدعى الثورة.

2- الإعداد للثورة الشيوعية مستحيل دون النضال ضد إضطهاد المرأة ! و تحرير المرأة مستحيل دون بلوغ المجتمع الشيوعي!

3- مساهمات فى تغيير الواقع ثوريا.

الفصل الخامس : الثورة البروليتارية و تحرير النساء

1- الثورة البروليتارية و تحرير النساء ...

2- بيان : من أجل تحرير النساء و تحرير الإنسانية جمعاء.

فهرس الكتاب التاسع :

المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية

(من أهمّ وثائق الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية)

فهرس الكتاب العاشر :

الثورة البروليتارية فى أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة و فى البلدان الإمبريالية – تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب 11 :

الماوية تدحض الخوجية ومنذ 1979.

1- **بإحترام و حماس ثوريين عميقين، نحيّي القائد الخالد للبروليتاريا الصينية، الرفيق ماو تسى تونغ، فى الذكرى الثالثة لوفاته! – الحزب الشيوعى التركى / الماركسي- اللينيني، جويلية 1979.**

2- **دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ؛ وثيقة تبنّاها مؤتمر إستثنائى للحزب الشيوعى بسيلان إنعقد فى جويلية 1979 .**

(و إضافة إستثنائية: **" دحض أنور خوجا "** ؛ **ن. ساموغاتاسان، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان - 1980.)**

3- "***تقييم عمل ماو تسى تونغ"؛*** **للحزب الشيوعي الثوري الشيلي**- جويلية 1979.

4-**" فى الردّ على الهجوم الدغمائي - التحريفي على فكر ماو تسى تونغ " بقلم ج. وورنار؛** ماي 1979.

فهرس الكتاب 12 :

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ

مقدّمة لشادي الشماوي ناسخ الكتاب و معدّه للنشر على الأنترنت

.

المحتويات :

17- خدمة الشعب.

18- الوطنية و الأممية.

19- البطولة الثورية.

20- بناء بلادنا بالعمل المجد و الإقتصاد فى النفقة.

21- الإعتماد على النفس و النضال الشاق.

22- أساليب التفكير و أساليب العمل.

23- التحقيقي و الدراسة.

24- تصحيح الأفكار الخاطئة.

25- الوحدة و التضامن.

26- النظام.

27- النقد و النقد الذاتي.

28- الشيوعيون.

29- الكوادر.

30- الشباب.

31- النساء .

32- الثقافة و الفنّ.

ملحق أعدّه شادي الشماوي:

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ بصدد الثورة الثقافية

==

فهرس الكتاب 13 :

الماوية تنقسم إلى إثنين

و ب - " ردّ أولي على مقال" دراد نوت" بشأن " الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان"، سوزندا آجيت روبا سنغى ، رئيس الحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) ، 18 أفريل 2012.

الفصل الرابع : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (1): ردّ من أفغانستان.

ردّ على رسالة غرّة ماي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

(الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني)

الفصل الخامس : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (2): ردّ من المكسيك.

الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضي .

المنظمة الشيوعية الثورية ، المكسيك – ماي 2012

الفصل السادس : خلافات عميقة بين الحزبين الماويين الأفغاني و الإيراني :

أ- الحزب الشيوعى الإيرانى (الماركسى – اللينينى – الماوى) سقط فى تيه طريق " ما بعد الماركسية – اللينينية – الماوية ".

ب- نظرة على الإختلافات بين الحزب الشيوعى الإيرانى (الماركسى – اللينينى – الماوى) و الحزب الشيوعى (الماوى) الأفغانى .

فهرس الكتاب 14 :

برنامج الحزب الشيوعى الإيرانى
(الماركسى - اللينينى – الماوي)
(2000)

السياسة و الثقافة و الإقتصاد فى المجتمع الإشتراكى

II / الثورة فى إيران و البرنامج الأدنى

لمحة عن إيران المعاصرة

الهيمنة الإمبريالية :

الرأسمالية البيروقراطية :

شبه الإقطاعية :

ثلاثة جبال و علاقات إنتاج مهيمنة على المجتمع :

الدولة شبه المستعمرة فى إيران :

الجمهورية الإسلامية و ثورة 1979 :

الطبقات و موقعها فى سيرورة الثورة فى إيران

طبقات البرجوازية – الملاكين العقاريين :

البرجوازية الوسطى (أو البرجوازية الوطنية) :

البرجوازية الصغيرة المدينية :

المثقّفون :

الفلاحون :

الفلاحون الأغنياء :

الفلاّحون المتوسّطون :

الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا (أشباه البروليتاريا فى الريف) :

شبه البروليتاريا المدينية :

الطبقة العاملة :

بعض التناقضات الإجتماعية المفاتيح

النساء :

القوميات المضطهَدَة :

الشباب :

طبيعة الثورة و آفاقها

فى المجال السياسى :

فى المجال الإقتصادى :

فى المجال الثقافى :

الخطوات الفورية و إرساء إتجاه التغيير

بشأن العمّال :

بشأن الفلاحين :

بشأن النساء :

بشأن القوميات المضطهَدة :

بشأن التعليم :

عن بعض أمراض المجتمع

طريق إفتكاك السلطة فى إيران

مكانة المدن فى حرب الشعب :

الأزمة الثورية عبر البلاد بأسرها :

حول إستراتيجيا الإنتفاضة المدينية :

حرب شاملة و ليست حربا محدودة :

لنتقدّم و نتجرّأ على القتال من أجل عالم جديد!

فهرس الكتاب 15 / 2014 :

مقال " ضد الأفاكيانية " و الردود عليه

- الهوامش.

2- حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير .

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع.

لريموند لوتا

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :

مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

4- ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي .

فهرس الكتاب 16 / 2014

الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته

الملحق 1 : رسالة مفتوحة إلى الشيوعيين الثوريين و كلّ شخص يفكّر جدّيا فى الثورة بصدد دور بوب أفاكيان و أهمّيته.

الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي .

==

فهرس الكتاب 17 / 2014

قيادات شيوعية ، رموز ماوية

مقدّمة :

الفصل الأوّل : تشانغ تشنغ : الطموحات الثورية لقائدة شيوعيّة

18- لنتجرّا على أن كون مثل تشانغ تشنغ

الفصل الثاني : تحيّة حمراء لشانغ تشن – تشياو أحد أبرز قادة الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى الماويين

1- التجرّأ على صعود الجبال من أجل تحرير الإنسانية (جريدة " **الثورة** ")

2- عاصفة جانفي بشنغاي (جريدة " **الثورة** ")

3- بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية (تشانغ تشن- تشياو)

4- على رأس الجماهير و فى أقبية سجون العدوّ : مدافع لا يلين عن الشيوعية.(أخبار "**عالم نربحه** ".)

الفصل الثالث : إبراهيم كايباكايا قائد بروليتاري شيوعي ماوي

1- لن ننسى الرفيق إبراهيم كايباكايا

2- موقف حازم إلى جانب حقّ الأمّة الكردية التى تعاني من الإضطهاد القومي الوحشي فى تركيا ، فى تقرير مصيرها

3- خطّ كايباكايا هوطليعتنا – مقتطف من الماوية تحيى و تناضل ، تكسب و تواصل الكسب

4- بصدد الكمالية (مقتطف)

5- المسألة القومية فى تركيا

الفصل الرابع : شارو مازومدار أحد رموز الماوية و قائد إنطلاقة حرب الشعب فى الهند

1- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة

2- لننجز الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال ضد التحريفية

3- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟

4- لنستغلّ الفرصة

5- مهامنا فى الوضع الراهن

6- لنقاتل التحريفية

7- المهمّة المركزيّة اليوم هي النضال من أجل بناء حزب ثوري حقيقي عبر النضال بلا مساومة ضد التحريفية

8- حان وقت بناء حزب ثوري

الفصل الخامس : تحيّة حمراء للرفيق سانموغتسان الشيوعى إلى النهاية

و ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي .

==

فهرس الكتاب 18 / 2015

الماوية : نظرية و ممارسة – 18 –

من ردود أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعية على مقال " ضد الأفاكيانية " لآجيث

2- الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية :

مقدّمة

الجزء الأوّل : الوضع اليوم و إدعاءات الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي

الجزء الثاني : الحركة الشيوعية العالمية و الحزب الجديد

المنعرج اليميني فى النيبال : مناسبة للغبطة لدى بعض المراكز

ملاحظات مقتضبة ختاميّة عن الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و الصراع صلب الحركة الأممية الثورية ، و الخلاصة الجديدة للشيوعية :

ملحق من إقتراح المترجم

الثورة النيبالية و ضرورة القطيعة الإيديولوجية و السياسية مع التحريفية .

كلمة للمترجم :

مفترق طرق حاسم : رسالة مناصر للحزب الشيوعي الثورى ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعي النيبالي – الماوى المعاد تنظيمه .

3- الشيوعية أم القومية ؟

مقدّمة

1- موقفان متعارضان ، هدفان مختلفان و متعارضان جوهريا :

2- مواصلة تطوير علم الشيوعية أم التمسك بأخطاء الماضى و تمجيدها ؟

3- النظام الرأسمالي – الإمبريالي نظام عالمي :

4- فى البلدان المضطهَدَة : القتال من أجل بلد رأسمالي مستقلّ أم من أجل ثورة تتبع الطريق الإشتراكي كجزء من الإنتقال إلى الشيوعية العالميّة ؟

5- إدماج بلدان فى النظام الرأسمالي – الإمبريالي جعل الثورة الإشتراكية ممكنة فى البلدان الأقل تطوّرا رأسمالياّ :

6- البروليتاريا : طبقة أمميّة فى الأساس أم " بصفة خاصة قوميّة شكلا و مميّزات " ؟

7- الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية :

8- عدم قدرة القوميّة الضيّقة على تصوّر السيرورة العالميّة و تفاعلها الجدلي مع التناقضات الداخليّة للبلدان :

9- ما الذى تعلمنا إيّاه التجربة التاريخية الحقيقيّة للثورة البلشفيّة ؟

10 – هل أنّ حملة الحروب الإمبريالية محدّدة أساسا بخصوصيّات كلّ بلد ؟

11- القوميّة و الإقتصادويّة بإسم " الخصوصيّات " أم تغيير الظروف إلى أقصى درجة ممكنة للقيام بالثورة ؟

12- الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل :

13- فى البلدان الإمبريالية " نداء العزّة القوميّة " أم تطبيق الإنهزاميّة الثوريّة ؟

14- الإيديولوجيا الشيوعية فى البلدان المضطهَدَة يجب أن تكون أيضا الشيوعية و ليس القومية :

15- التغيير التاريخي – العالمي من النظام الرأسمالي – الإمبريالي إلى النظام الشيوعي العالمي :

16- الشيوعية أم القوميّة ؟

الهوامش :

4- آجيث – صورة لبقايا الماضى

I - تمهيد : طليعة المستقبل أم بقايا الماضي

II - الثورة الشيوعية و الشيوعية كعلم و مهمّة البروليتاريا ولماذا الحقيقة هي الحقيقة :

- رفض آجيث للشيوعية كعلم

- الماديّة التاريخية : نقطة محوريّة فى الماركسية

- المنهج العلمي فى كلّ من العلوم الطبيعية و الإجتماعية

- آجيث يرفض المنهج العلمي فى العلوم الإجتماعية

- آجيث وكارل بوبر

III - الموقع الطبقي و الوعي الشيوعي :

- " مجرّد المشاعر الطبقية " و الوعي الشيوعي

- دفاع آجيث عن تجسيد البروليتاريا

- مساهمة لينين الحيوية فى الوعي الشيوعي

- البروليتاريا وكنس التاريخ

- القومية أم الأممية ؟

- التبعات السلبيّة للتجسيد فى الثورات الإشتراكية السابقة

IV - هل للحقيقة طابع طبقي ؟

- " الحقيقة الطبقية " كنزعة ثانوية فى الثورة الثقافية

- آجيث و التحزّب الطبقي

V - إستهانة آجيث بالنظريّة :

- نظرة ضيّقة للممارسة و الواقع الإجتماعي

- " الممارسة المباشرة " لماركس و إنجلز لم تكن مصدر تطوّر الماركسية

- يجب على التحزّب أن يقوم على العلم

- الدروس المكلفة ل" الحقيقة السياسيّة "

VI - بعض النقاط عن الفلسفة و العلم :

- مكانة الفلسفة فى الماركسية

- آجيث يفصل بين الفلسفة و العلم

- مقاربة آجيث شبه الدينيّة للمبادئ الأساسية للماركسية

- الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبيّة و تقدّم المعرفة

- إلى أي مدى يمكن أن نكون متأكّدين من معرفتنا ؟

VII - الثورة الشيوعية ضرورية و ممكنة لكنّها ليست حتميّة ... ويجب إنجازها بوعي :

- ماركس و أفاكيان بصدد " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني

- الديناميكية الحقيقية للتاريخ و النظرات الخاطئة صلب الحركة الشيوعية

- الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة

- فهم آجيث الخاطئ للحرّية و الضرورة

- قفزة لكن ليس إلى حرّية **مطلقة**

- لا جبريّة فى الثورة

- كيف نفهم القوانين التاريخية ؟

VIII - آجيث يجد نفسه بصحبة ما بعد الحداثة و الدين :

- تقييم أفاكيان الجدلي للتنوير
- هجوم آجيث على التنوير و تشويهه لوجهات نظر أفاكيان
- عن موقف ماركس تجاه الحكم البريطاني فى الهند
- معارضة آجيث ل " الوعي العلمي "
- العلم و المعرفة التقليدية
- آجيث يسقط فى أحضان ما بعد الحداثة
- تعويض الحقيقة ب " رواية شخصية "
- نقد غير علمي للرأسمالية
- معانقة آجيث لمدرسة فرانكفورت
- آجيث و التقليد الكانطي

IX – آجيث يدافع دفاعا بشعا و معذّبا عن الدين و سلاسل التقاليد :

- وضع حجاب على إضطهاد النساء
- التذيّل للقومية و تجميل الأصولية
- أفاكيان بشأن الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و الصراع الإيديولوجي مع الدين
- الإختيار بين الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " أم التقدّم بطريقة أخرى ؟

X - الخاتمة

مارس 2015

==============